الطبعة الثانية منقحة

تهذيب مناقب الإمام أحمد بن حنبل

للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي

هـذبـه

د.عبدالقادر بن محمَّد الغامدي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

تهذيب مناقب الإمام أحمد بن حنبل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٢]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزَاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فهذا كتاب انتخبته من كتاب "**مناقب الإمام أحمد بن حنبل**" للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، وهو من أوسع وأفضل ما كتب في ترجمة الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومما بلغت شهرته الآفاق.

والذي حملني على تهذيبه أمور منها: حاجة الأمة المستمرة لسيرة سلفنا الصالح عموماً وهذا الإمام وأمثاله خصوصاً، وحاجتها لما يرفع همتها، ويبين لها أيضاً منهجية أهل السنة في التعامل مع الأحداث والنوازل. وما أحوجنا اليوم لدراسة ترجمة هذا الإمام وموقفه من المحنة ومنهجه في الإنكار على ولاة الأمور المسلمين من غير إفراط ولا تفريط، من غير غيبة لولي الأمر، وترك نصيحته، ومن غير ترك

الدعاء له بالصلاح، ومن غير دعوة لفتنة وفساد وخروج ومظاهرات، ومن غير ترك كلمة الحق مهما كلف الثمن.

فالواجب علينا وعلى المسلمين في كل مكان، التأسي بسلفنا، وعدم الخروج عن منهاجهم، وتغيير ما بأنفسنا ليغير الله تعالى ما بنا، كما قال تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فإذا فعلنا ذلك جاء النصر والتمكين لنا في الأرض.

وقد حذفت من كتاب ابن الجوزي الأسانيد، والمنكرات، وما يظهر منه الوضع، وكذا البدع ونحوها.

والكتاب جله في المناقب، والإسناد في المناقب وسير الصالحين والعلماء زينة لها وليس شرطا في تأديتها، كما ذكر ذلك الخطيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامعه.

وقد قال ذو النون المصري: إسناد الحكمة وجودها، وعندما سئل الحسن البصري عن خبر: عمن؟ فقال: وما تصنع بعمن؟ أما أنت فقد نالتك موعظته، وقامت عليك حجته.

وأما في غير ذلك فالاسناد من الدين، ولولا هو لقال من شاء ما شاء، وفي زماننا خاصة تزداد أهمية الاهتمام بالإسناد وعلم الحديث بجميع شعبه وعلومه، من الجرح والتعديل، والعلل، ونحوهما.

لأننا أمام موجة عارمة، من المتكلمين وأذنابهم، ومن تأثر بهم، يزهدون الناس في علوم الحديث، وبعضهم في أقسام العقيدة أو الفقه أو التفسير أو غيرها في هذه البلاد أو خارجها، ويظن بعضهم أن علم

العقيدة مثلاً لا حاجة فيه إلى الإسناد، أو أنه يمكن أن يتخصص أحد في علم العقيدة أو غيره من العلوم الشرعية وهو لا يعرف شيئًا عن علم الحديث، وهذه مصيبة عظمى، فإن علوم الشريعة وخاصة العقيدة أهم العلوم وأحوجها إلى المحدثين وعلم الحديث، لأنه لا قياس فيها، بل مصدرها النقل.

ومن أسباب التزهيد في علم الحديث، مجالسة ومناقشة وإشراف أهل الكلام من أشاعرة وغيرهم على الطلاب في مراحل الماجستير والدكتوراة خلافا لمنهج الأئمة في التعامل مع أهل الكلام.

ولكن هناك أسباب أخر سببت الزهد في علم الحديث لا بد من ذكرها من باب الإنصاف، وهو أن بعض من اشتغلوا بعلم الحديث ليسوا من المتمرسين فيه، فخاضوا في التخريج وهجموا في الحكم على الأحاديث هجومًا، وانتسبوا للأثر ولم الأثر، وهم ليسوا من أهل هذا الفن، ولـمَّا لم يُنْتَقَدوا وخرجت كتبهم للناس، وتخريجاتهم وتحقيقاتهم، ظنوا أنهم على شيء، فأعجبوا بأنفسهم، وأصيبوا بداء الغرور، وظنوا أنهم أضافوا إلى تخصصهم العلم بالحديث، ومناهج المحدثين وطرقهم، مع أنهم لم يشتغلوا به إلا وقتا قصيرا من الزمان وبلا مشورة وصبر وطول زمان، وإن كان هؤلاء أحمد عاقبة ممن تأثر بالمتكلمين، لأنه لا بد أن يكون للحديث أثرا عليهم، مع أن علم الحديث من العلوم التي لا يجيدها إلا القليل، ومن وهبه الله قوة خارقة في الذكاء والفهم، والصبر والجلد، وأفنى فيه العمر، وشاخ فيه، وكانت له الأمور المحرقة، وإلى الله المشتكى في هذا الزمان من جلد الفاجر وعجز الثقة.

فعندما أصاب هؤلاء الغرور، الا من رحم الله احتقروا غيرهم، ولم ينصفوهم، وقد يكون بعض من لم يُنصَف أشد ذكاء منهم وإنصافًا، فنفر هؤلاء منهم وزهدوا في طريقتهم وسطحيتهم، وظنوا أن هذا بسبب علم الحديث، وما علموا أنهم لم يروا بأعينهم محدثًا في هذا الزمان، فإنهم أندر من الكبريت الأحمر.

ومن أسباب الزهد في علوم الحديث أيضا نشوء آخرون، اهتموا بشيء من علم الحديث -أقصد علم المصطلح فقط، علم الآلة-، واشتغلوا به، لكنهم أخذوه عن الكتب، وربما أن نيتهم كانت فاسدة، فنسوا الثمرة المرجوة والمقصودة من ذلك والغاية وهي: فهم المتن بعد صحته، والتعمق في فهم معانيه الذي يحتاج مع شدة الذكاء، والإلمام بعلوم الآلة، إلى الإخلاص والصدق والعبادة والتضرع، التي هي أسباب فتح الله تعالى، ثم العمل به، فأكسبهم ذلك قسوة في قلوبهم، وجلافة وغلظة، وفضاضة وتنطع، وتكبر وقلة ورع وبلادة، ونحو ذلك، وسموا أنفسهم أهل الحديث والسلفيين، حاشا وكلا، وبدعوا غيرهم وضللوهم وصاروا اصحاب أهواء، فانفض الناس من حولهم، وبعض الناس كرهوا علم الحديث، والمحدثين وعلوم السلف بسبب هؤلاء وما علموا أيضا أنهم ما رأوا محدثًا، وقد كان سيتبين هذا لهم لو أنهم قرؤوا في سير الأئمة العلماء والجهابذة والنقاد، وفي كتاب «سير أعلام النبلاء»، ومقدمة الجرح والتعديل لابن ابي حاتم، ونحوها ما يكفي في هذا ويشفي العليل ويروي الغليل، أو جالسوا البقية الباقية، من أهل العلم والدين.

وكان سبب نشوء هؤلاء الشباب هو بعدهم عن أهل العلم والتلقي من أفواههم، وثني الركب في مجالسهم، والاستفادة من أخلاقهم وآدابهم، وقليل من الأدب خير من كثير من العلم.

وقديمًا قيل:

أيها الطالب علمًا ... ائت حماد بن زيد
فاستفد علمًا وحلمًا ... ثم قيده بقيد

فكان هؤلاء سبب آخر من أسباب زهد الكثير في هذا العلم الشريف.

مع أن الحق ما انشد عبد اللّهِ بن أَحْمَدَ بن حنْبَلٍ عن أبيه:

ديـنُ الـنـبي مُحـمَّـدٍ أثـار ... نـعْـمَ الْمـطِـيَّـةُ لِـلْـفـتَى الْأخْـبَـارُ
لا تُخْدعَـنَّ عـن الحـديـث وأَهْـلِـهِ ... فـالـرَّأْيُ ليْلٌ والْحَـدِيـثُ نهَـارُ
ولَـرُبَّـمَا جـهِـلَ الْفـتَى طـرُقَ الْهُدى ... والـشَّـمْـسُ طـالِـعَـةٌ لها أنْـوَارُ

ولِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ:

الْـعـلْـمُ قـال الـلّـهُ قـال رسُـولُـهُ ... قـال الـصّـحَـابَـةُ ليس خـلْـفٌ فـيه
ما الْعِلْمُ نصْبُكَ لِلْخِلافِ سفَاهَةً ... بـين الـنّـصُـوصِ وبَـيْنَ رأْيِ سـفِـيـهِ
كـلَّا ولَا نـصْـبُ الْخِـلافِ جـهَـالَـةً ... بـين الـرّسُـولِ وبَـيْنَ رأْيِ فـقِـيـهِ

وأقول لمن زهد في الحديث بسبب من هؤلاء: لا عليكم من هؤلاء الخلوف المنتسبين إلى الحديث زورًا وبهتانًا، فإن صاحب الحديث هو الذي يعمل بالحديث كما قال الإمام أحمد في هذا الكتاب، وهم أحسن الناس خلقا، وابرهم قلوبا، وأعمقهم علما، وأقلهم تكلفا، وأكثرهم عدلا، والزموا أنتم الصراط المستقيم وابحثوا عن سيرة سلفكم، وسيروا على نهجهم وطريقهم وخشوعهم، وتعبدهم

وورعهم، وإنكارهم المنكر، وإمامتهم، لتكونوا أنتم ممن يجدد علم الحديث، ويعيد الناس إلى محبة السنة والأثر ويحببهم فيها لتكونوا من الفرقة الناجية.

تنبيه: ما كان في حاشية هذا التهذيب من تعليق فإن أتبعته بهذين الحرفين (ح) (ت)، فهذا يعني أنه مستفاد من كلام محقق الأصل وهو الشيخ الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي جزاه الله خيرا، وحرف (ت) يعني أني تصرفت في النقل.

وإن أتبعت التعليق بحرف (ح) وحده، فهذا يعني أنه كلام الشيخ بكامله.

فإن خلا التعليق من هذه الأحرف فهو من تعليق المهذِّب.

وبعد: فهذا التهذيب هو أمنية لكثير من أهل العلم وطلابه أرجو أن تكون قد تحققت بإذن الله تعالى، وقد استللت زبدة الأصل وثماره، وما كان في فعلي من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان. نفعني الله وإياكم به كما نفع بأصله وجعله خالصًا لوجهه موافقا لسنة نبيه ﷺ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبها

د. عبد القادر بن محمد الغامدي

Aa3ggg@gmail.com

❐ ❐ ❐

مقدمة المؤلف

قال الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، الفقيه، الواعظ، الأديب، عالم العراق، وواعظ الآفاق أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي[١] - رحمه الله تعالى -:

الحمد لله الذي أنشأ فأحسن الإنشاء، ثم قدَّم وأخَّر كما شاء، اختار من العالم الإنسي المرسلين والأنبياء، ثم ورثتهم الصالحين العلماء، ثم أجزل لبعضهم من الفضل والعطاء، وصلى الله على محمد أشرف راكب نزل البيداء، وعلى أصحابه الذين نالوا بصحبته العلاء، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى أن يعيد الناقض البناء، وسلم تسليمًا كثيرًا.

اعلموا إخواني وفقكم الله أن الله ﷻ فضَّل محمدًا ﷺ على سائر الخلق، وقدَّم أمته على جميع الأمم، وجعل سبب التفضيل العلم والعمل به، فمن سَبَر حال نبينا ﷺ علِم فضله على جميع الأنبياء في العلم والعمل، ومن نظر في علوم أئمتنا رأى من علوم علمائهم ما يعجز عنه الأحبار، ومن عبادة متعبديهم ما يقصر عنه الرهبان، ولا نظر إلى صورة الترهبن، فإن التعبد بموافقة المشروع ومخالفة الهوى أشد وأعظم.

فالعلم والعمل بحمد الله في أمتنا فاش كثير، غير أني بحثت عن نائلي مرتبة الكمال في الأمرين - أعني العلم والعمل - من التابعين ومن بعدهم، فلم أجد من تم له الأمران على الغاية التي لا يخدش وجه كمالها نوع نقص[٢]، سوى ثلاثة أشخاص: الحسن البصري، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل.

---

(١) مستلة من ترجمتي الإمامين الذهبي وابن رجب رحمهما الله تعالى له.

(٢) هذه مبالغة، فإن النقص من طبيعة البشر، ولا معصوم إلا الأنبياء ﷺ فيما يبلغون عن الله.

وقد جمعت كتاباً يحوي مناقب الحسن[١]، وكتاباً يجمع فضائل سفيان[٢]، ثم رأيت أحمد بن حنبل أولى بذلك منهما؛ لأنه جمع من العلوم ما لم يجمعا، وحمل من الصبر على إقامة الحق ما لم يحملا، وإني رأيت جماعة قد جمعوا مناقبه، فمنهم من قصَّر فيما نقل، ومنهم من لم يرتِّب ما حصَّل، فرأيت أن أصرف بعض زمني إلى تهذيب كتاب يشتمل على مناقبه وآدابه، ليعرف المقتدي قدر من اقتدى به. والله الموفق.

❐ ❐ ❐

(١) لابي الفرج ابن الجوزي كتاب مطبوع بعنوان: (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه) فلعه هو.
(٢) لم أقف عليه.

الباب الأول
في ذكر مولده وأصله

- عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: ولد -يعني أباه- في سنة أربع وستين ومئة، في ربيع الأول، وجيء به من مَرْوَ حملاً.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: ولدت سنة أربع وستين ومئة.

- وعن حنبل بن إسحاق ابن عم الإمام أحمد، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: ولدت سنة أربع وستين ومئة.

- وعن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، قال: وأحمد بن محمد بن حنبل يكنى أبا عبد الله، سدوسي من أنفسهم، بصري من أهل خراسان، ولد ببغداد ونشأ بها، ثقة ثبت في الحديث، فقيه في الحديث، متبع للآثار، صاحب سنة وخير، نزِه النفس.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبي يقول: قدمت بي أمي حاملاً من خراسان، وولدت سنة أربع وستين ومئة.

- وعن أبي زرعة، قال أحمد بن حنبل أصله بصري، وخِطته[(١)] بمرو.

- وعن صالح بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: ولدت في سنة أربع وستين في أولها في ربيع الأول. قال صالح: وجيء به حملاً من مَرو وتوفي أبو أحمد بن حنبل وله ثلاثون سنة فوليته أمه -أراد كان عمر أبي

(١) الخطة -بالكسر- الأرض والدار يختطها الرجل في أرض غير مملوكة ليتحجرها ويبني فيها، وذلك إذا أذن السلطان لجماعة من المسلمين أن يختطوا الدور في موضع بعينه ويتخذوا فيها مساكن لهم كما فعلوا بالكوفة والبصرة وبغداد (اللسان). (ح) (ت).

أحمد ثلاثين سنة ثم مات وأحمد طفل - يدل عليه:

- عن أبي بكر المرُّوذِي[١]: أن أبا عبد الله قال له: قُدِم بي من خراسان وأنا حمل، وولدت ها هنا، ولم أر جدي ولا أبي.

- وعن محمد بن حاتم يقول: أحمد بن محمد بن حنبل أصله من مرو، حمل من مرو وأمه به حامل، وجده حنبل بن هلال ولي سرخس، وكان من أبناء الدعوة[٢].

❐ ❐ ❐

(١) لابن الجوزي كتاب مطبوع بعنوان: (آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه) فلعه هو.

(٢) نسبة إلى مرو الروذ. هو أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبدالعزيز أبو بكر المروذي، كانت أمه مروذيه وأبو خوارزميا، وهو المقدم من أصحاب أحمد لورعه وفضله، وكان أحمد يأنس به وينبسط إليه، وهو الذي تولى إغماضه لما مات وغسله وقد روى عنه مسائل كثيرة. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٥٦).

الباب الثاني
في ذكر نسبه

- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عطابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أد بن أدد بن الهَمَيْسع بن حمل بن النَّبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

- وعن حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله وجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، أمِل علي نسبك، قال: قم إلى عمي حتى يملي عليك نسبي، قال عصمة: أملى علينا حنبل فقال: فذكره كما في رواية عبد الله إلى نزار.

- وعن الفضل بن زياد، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل، فذكره إلى آخره.

قال ابو الفرج: فقد وقعت الموافقة في هاتين الروايتين، إلا أن في هذه الرواية «مليح» مكان «حمل».

- وعن عمر بن شاهين، قال: هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، فذكر مثل ما ذكرنا في الروايتين إلى الهَمَيْسع.

وقد بان بهذه الروايات أن أحمد رضي الله عنه من ولد شيبان بن ذهل بن ثعلبة، لا من ولد ذهل بن شيبان. وذهل بن ثعلبة، هو عم ذهل بن شيبان. وقد غلط أقوام، فجعلوه من ولد ذهل بن شيبان.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: وجدت في بعض كتب أبي نسبه وهو: أحمد بن محمد بن حنبل، فذكره إلى أن قال: ابن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة[١].

- وعن أحمد بن علي بن ثابت[٢]، قال: حدثني من أثق به من العلماء بالنسب، قال: مازن بن ذهل بن ثعلبة - هو ابن عُطابة بن صعب - وهي قبيلة أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وهذا هو ذهل الذي منه دغْفل بن حنظلة، والقعقاع بن شور، ومحارب بن دثار، وعمران بن حطان. وهو بطن كثير العلماء والخطباء والشعراء والنسابين.

قال: وذُهل الأكبر هو ابن أخي هذا، وسمي الأكبر، لأن العدد في ولده، وهو ذهل بن شيبان بن ثعلبة، ومنه المثنى بن حارثة، وفي ولده العدد والشرف والفخر.

قلت: كذا حكى الخطيب، والصواب ذهل الأصغر هو ابن أخي ذهل الأكبر، وقد ذكره على الصحة فقال: ذهل بن ثعلبة هو عم ذهل بن شيبان.

- وعن عبد الله بن عطاء، قال: قد اجتمع أحمد بن حنبل والنبي ﷺ في نزار، لأن النبي ﷺ مُضري، من ولد مُضر بن نزار، وكل قريش من

---

(١) قال ابن الجوزي: هذه الرواية عن صالح رويت لنا على الصحة. وبين أن الرواية الأخرى عن صالح التي فيها: ذهل بن شيبان، غلط من الناقل عنه، يؤيد ذلك ضبط هذه الرواية عن صالح، وضبط عبد الله بن أحمد، وهو متقن، وضبط أبي بكر الخلال وهو أعلم الناس بما يتعلق بأحمد، وضبط ابن المنادي، وأبو بكر عبد العزيز، وابن شاهين، وابن نعيم، وأبي بكر الخطيب، فدل على أنه صحيح. وممن انقلب الاسم عندهم أيضا من شيبان بن ذهل إلى ذهل بن شيبان: العباس بن محمد الدوري، وعبد الله بن أبي داود.

(٢) هو الخطيب البغدادي.

مُضر، وأحمد بن حنبل ربعي من ولد ربيعة بن نزار، وهو أخو مضر بن نزار، وولد نزار أربعة: مضر بن نزار، وربيعة بن نزار، وإياد بن نزار، وأنمار بن نزار.

ومن هؤلاء الأربعة تشعبت بطون العرب كلها.

- وعن الأصمعي قال: أبو عبد الله أحمد بن حنبل من ذُهل، وكان أبوه قائدًا.

- وعن عبد الله بن الرومي، قال: كنت كثيرًا ما أرى أبا عبد الله أحمد بن حنبل وهو بالبصرة يأتي مسجد بني مازن فيصلي فيه، فقلت له: يا أبا عبد الله، إني أراك كثيرا ما تصلي في هذا المسجد! فقال: إنه مسجد آبائي.

- وعن أبي عبد الله بن بطة، قال: كانت أم أبي عبد الله أحمد شيبانية، واسمها صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني من بني عامر، كان أبوه نزل بهم وتزوج بها، وكان جدها عبد الملك بن سوادة بن هند الشيباني من وجوه بني شيبان، وكان ينزل عليه قبائل العرب فيضيفهم.

❐ ❐ ❐

الباب الثالث
في ذكر منشئه في صباه

قال ابو الفرج: قد ذكرنا أن الإمام أحمد ﷺ ولد ببغداد، ونشأ بها، وطلب العلم والحديث بها من شيوخها، ثم رحل بعد ذلك في طلب العلم إلى البلاد.

- عن أبي نصر بن كردي قال: دجلة العوراء خلف منزل أحمد بن حنبل.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قال لي أبو عفيف -وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل- فقال: كان في الكُتَّاب معنا وهو غليم نعرف فضله، وكان الخليفة بالرقة، فيكتب الناس إلى منازلهم الكتب، فيبعث نساؤهم إلى المعلم: ابعث إلينا بأحمد بن حنبل، ليكتب لهم جواب كتبهم، فيبعثه، فكان يجيء إليهم مطأطئ الرأس، فيكتب جواب كتبهم، فربما أملين عليه الشيء من المنكر، فلا يكتبه لهن.

قال المروذي: قال لي أبو سراج بن خزيمة: كنا مع أبي عبد الله في الكتاب، فكان النساء يبعثن إلى المعلم: ابعث إلينا بابن حنبل ليكتب جواب كتبهم، فكان إذا دخل إليهن لا يرفع رأسه ينظر إليهن.

قال أبو سراج: فقال أبي -وذكره- فجعل يعجب من أدبه، وحسن طريقته. فقال لنا ذات يوم: أنا أنفق على ولدي وأجيئهم بالمؤدِّبين على أن يتأدبوا فما أراهم يفلحون، وهذا أحمد بن حنبل غلام يتيم، انظر كيف يخرج!! وجعل يعجب.

قال أبو بكر المروذي: وقال لي أبو عبد الله: كنت وأنا غليم أختلف إلى الكتاب، ثم أختلف إلى الديوان وأنا ابن أربع عشرة سنة.

- وعن أبي المُنَبه: قال: أول شيء عرف من أحمد بن حنبل، أن عمه كتب جواب كتاب بعث به السلطان، فدفعه إلى أحمد بن حنبل يدفعه إلى الرسول، فلم يدفعه أحمد إليه، ووضعه في طاق في منزلهم، وطلب الرسول الجواب. فقال عمه: قد وجهت به إليك. ثم قال لأحمد: أين الكتاب الذي أمرتك أن تدفعه إلى الرسول على الباب؟ فقال له: كان عليه قباء[(١)]، وهو ذا الكتاب في الطاق.

- وعن داود بن بسطام، قال: أبطأت علي أخبار بغداد، فوجهت إلى عم أبي عبد الله بن حنبل: لم تصل إلينا الأخبار اليوم! وكنت أريد أن أحررها وأوصلها إلى الخليفة. فقال لي: قد بعثت بها مع أحمد بن أخي. قال: فبعث عمه، فأحضر أبا عبد الله وهو غلام فقال: أليس بعثت معك الأخبار؟ قال: نعم، قال: فلأي شيء لم توصلها؟ قال: أنا كنت أرفع تلك الأخبار! رميت بها في الماء. قال: فجعل ابن بسطام يسترجع ويقول: هذا غلام يتورع، فكيف نحن.

- وعن يونس المؤدب قال: رأيت أحمد بن حنبل في أيام هشيم[(٢)] وله قدر.

قال المروذي: سمعت أبا عبد الله يقول: مات هشيم ولي عشرون سنة.

---

(١) هم مما يلبسه من لهم علاقة بالسلطان وقد يكون من حرير وذهب ونحوه، فكأن أحمد تورع عن التعامل معه.

(٢) هشيم بن بشير بن أبي خازم السلمي الواسطي، قال الذهبي: الحافظ الكبير محدث العصر، توفي سنة ١٨٣ هـ.

- وعن أبي بكر الأثرم قال: أخبرني بعض من كان يطلب الحديث مع أبي عبد الله بن حنبل، قال: ما زال أبو عبد الله بائنا من أصحابه، قال: ولقد فقدته يوما عند إسماعيل بن علية، فدخل وهو ابن أقل من ثلاثين سنة فما بقي في البيت أحد إلا وسع له وقال: هاهنا هاهنا.

❐ ❐ ❐

الباب الرابع
في ذكر ابتدائه في طلب العلم ورحلته فيه

ابتدأ أحمد ﷺ في طلب العلم من شيوخ بغداد، ثم رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، وكتب عن علماء كل بلد.

- عن أحمد بن حنبل يقول: أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف[(١)].

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: قال أبي: طلبت الحديث وأنا ابن ست عشرة سنة، ومات هشيم وأنا ابن عشرين، وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين ومئة.

- وعن حنبل بن إسحاق قال: قال أبو عبد الله -يعني أحمد بن حنبل-: طلبت الحديث في سنة تسع وسبعين وأنا ابن ست عشرة سنة، وهي أول سنة طلبت الحديث، فجاءنا رجل فقال: مات حماد بن زيد، ومات مالك بن أنس في تلك السنة، وكنا عند عبد الرزاق باليمن، فجاءنا موت سفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى بن سعيد سنة ثمان وتسعين ومائة.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: سمعت من سليمان بن حرب بالبصرة سنة أربع وتسعين، ومن أبي النعمان عارم في تلك السنة، ومن أبي عمر الحوضي أيضا.

- وعن علي بن الحسن الهِسِنْجاني، قال: قال أحمد بن حنبل:

(١) صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى (ت سنة ١٨٢هـ).

طلبت العلم سنة تسع وسبعين.

- وعن زياد بن أيوب، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: طلبت الحديث سنة تسع وسبعين، وأتيت مجلس ابن المبارك وقد قام، وقدم علينا سنة تسع وسبعين.

- وعن عبد الله بن أحمد قال: قال أبي: سمعت من علي بن هاشم ابن البريد سنة تسع وسبعين من أول سنة طلبت الحديث، ثم عدت إليه في المجلس الآخر وقد مات، وهي السنة التي مات فيها مالك بن أنس.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي، قال: مات خالد بن عبد الله -يعني الطحان- وأبو الأحوص، ومالك بن أنس، وحماد بن زيد، في سنة تسع وسبعين، إلا أن مالكا مات قبل حماد بقليل، وفي تلك السنة طلبت الحديث، كنا على باب هشيم وهو يملي علينا إما قال: الجنائز، أو المناسك، فجاء رجل بصري، فقال: مات حماد بن زيد.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: طلبت العلم وأنا ابن ست عشرة سنة، وأول سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين، وكان ابن المبارك قدم في هذه السنة، وهي آخر قدمة قدمها، وذهبت إلى مجلسه، فقالوا: قد خرج إلى طرسوس[1] وتوفي سنة إحدى وثمانين،

(١) مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. (معجم البلدان) (١٢٨/٤). وفي موسوعة (ويكيبيديا): هي مدينة تركية تقع جنوب البلاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تابعة لمحافظة مرسين، وتبعد حوالي ١٥ كم عن مدينة مرسين و ٤٠ كم عن مدينة أضنة. بلغ عدد سكانها عام ٢٠٠١م حوالي ٣٤٨ ألف نسمة. كانت عاصمة لإقليم قيليقية. تقع في الطرف الغربي للأقاليم السورية الشمالية التي أخضعت لتركيا بموجب معاهدة سيفر بين تركيا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، وتضم هذه الأقاليم أضنة ومرسين ومرعش وماردين وجزيرة ابن عمر واورفة وديار بكر وعنتاب وكلس.

وكتبت عن هشيم سنة تسع وسبعين ولزمناه سنة ثمانين وإحدى وثمانين واثنين وثلاث، ومات في سنة ثلاث وثمانين، كتبنا عنه كتاب «الحج» نحوا من ألف حديث، وبعض التفسير وكتاب «القضاء» وكتبًا صغارًا. قلت: تكون ثلاثة آلاف؟ قال: أكثر، وجاءنا موت حماد بن زيد ونحن على باب هشيم، وهشيم يملي علينا «الجنائز» فقالوا: مات حماد بن زيد، وسمعت من عبد المؤمن بن عبد الله بن خالد أبي الحسن العبسي سنة اثنين وثمانين قبل موت هشيم، وحدثنا علي بن مجاهد الكابُليّ في سنة اثنين وثمانين -من أهل الري أبو مجاهد- هي أول سنة سافرت فيها، وقدم عيسى بن يونس الكوفة بعدي بأيام، وأول خرجة خرجت إلى البصرة سنة ست وثمانين، وخرجت إلى سفيان بن عيينة في سنة سبع وثمانين، قدمنا وقد مات فضيل بن عياض، وهي أول سنة حججت، وكتبت عن إبراهيم بن سعد وصليت خلفه غير مرة، وكان يسلم واحدة. ولو كان عندي خمسون درهما كنت قد خرجت إلى الري إلى جرير بن عبد الحميد، فخرج بعض أصحابنا ولم يمكني الخروج.

قال: وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت وتحت رأسي لبنة[1]، فحممت فرجعت إلى أمي رحمها الله.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: لو كان عندي خمسون درهما كنت قد خرجت إلى الري، إلى جرير بن عبد الحميد، فخرج بعض أصحابنا ولم يمكنني الخروج، لأنه لم يكن عندي شيء.

- وعنه قال: قال أبي: خرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لبنة فحممت، فرجعت إلى أمي ولم أكن استأذنتها.

(١) المراد أنه كان يتوسد اللبنة بدلاً من الوسادة لقلة ذات يده. (ح) (ت).

- وعن عبد الصمد بن محمد العباداني، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: دخلت عبادان سنة ست وثمانين في العشر الأواخر من رجب، وكنت رحلت إلى المعتمر[١] تلك السنة، وكان بها رجل يتكلم، قلت له: هدَّاب. قال: نعم، وكان بها أبو الربيع وكتبت عنه.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: كنت ربما أردت البكور في الحديث فتأخذ أمي بثيابي وتقول: حين يؤذِّن الناس أو حتى يصبحوا. وكنت ربما بكرت إلى مجلس أبي بكر بن عياش وغيره.

- وعنه قال: سمعت أبي يقول: كنت مقيما على يحيى بن سعيد القطان، ثم خرجت إلى واسط، فسأل يحيى بن سعيد عني، فقالوا: خرج إلى واسط. فقال: أي شيء يصنع بواسط؟ قالوا: مقيم على يزيد بن هارون. قال: وأي شيء يصنع عند يزيد بن هارون؟! قال أبوعبد الرحمن: أي هو أعلم منه.

- وعنه قال: سمعت أبي يقول: دخلت البصرة خمس دخلات، دخلتها في أول رجب سنة ست وثمانين ومئة سمعت من المعتمر بن سليمان، ودخلت الثانية سنة تسعين، ودخلت الثالثة في سنة أربع وتسعين، وقد مات غندر، [وخرجت في سنة خمس وتسعين][٢]، فأقمت على يحيى بن سعيد ستة أشهر، ودخلت سنة مئتين.

- وعن إبراهيم بن هاشم يقول: لما قدم جرير بن عبد الحميد - يعني بغداد - نزل على ابن المسيب، فلما عبر إلى الجانب الشرقي جاء المد، فقلت لأحمد بن حنبل: تعبر؟ فقال: أمي لا تدعني، فعبرت أنا فلزمته.

---

(١) ابن سفيان التميمي أحد الأئمة الحفاظ (ت سنة ١٨٧هـ).

(٢) تكملة من تهذيب الكمال، (١/ ٤٤٦). (ح).

- قلت[١]: قد سمع أحمد بن حنبل من جرير إلا أنه لم يتفق له الإكثار عنه، وهذا المد في سنة ست وثمانين ومئة في أيام الرشيد زادت دجلة زيادة بينة لم يُر قبلها مثلها، ونزل الرشيد بأهله وحرمه وأمواله إلى السفن، قال أبو علي البرداني: وكان السندي ابن شاهك - وشاهك هي أمه - يلي إمارة بغداد فمنع الناس من العبور إشفاقا عليهم.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: كتبنا عن سليمان بن حرب وابن عيينة حي.

- وعنه، قال: خرج أبي إلى طرسوس ماشيا على قدميه.

- وعن حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قدم علينا عبد الرحمن بن مهدي سنة ثمانين وأبو بكر هاهنا - يعني ابن عياش - وقد خضب، وهو ابن خمس وأربعين سنة، وكنت أراه في المسجد الجامع، ثم قدم بغداد، فأتيناه ولزمناه، وكتبت عنه هاهنا نحوًا من ست مئة سبع مئة، وكان في سنة ثمانين يختلف إلى أبي بكر بن عياش.

- وعن ابن منيع يقول: سمعت جدي يقول: مر أحمد بن حنبل جائيًا من الكوفة، وبيده خريطة فيها كتب، فأخذت بيده فقلت: مرة إلى الكوفة ومرة إلى البصرة، إلى متى؟ إذا كتب رجل ثلاثين ألف حديث لم يكفه؟ فسكت، ثم قلت: ستين ألف؟ فسكت. فقلت: مئة ألف؟ فقال: حينئذ يعرف شيئًا. قال أحمد بن منيع: فنظرنا فإذا أحمد كتب ثلاث مئة ألف عن بَهْز بن أسد وعفان، وأظنه قال: وروح بن عبادة.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال أبي: ذهبت إلى إبراهيم ابن عقيل وكان عسرا لا يوصل إليه، فأقمت على بابه باليمن يوما أو يومين

(١) القائل أبو الفرج بن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ.

حتى وصلت إليه، فحدثني بحديثين وكان عنده أحاديث وهب عن جابر، فلم أقدر أن أسمعها من عسره، ولم يحدثنا بها إسماعيل بن عبد الكريم، لأنه كان حيًا، فلم أسمعها من أحد.

- وعن يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: خرج أبي وأحمد بن حنبل في البحر في طلب العلم، فكسر بهما [المركب] فوقعا في جزيرة فقرءا على صخرة مكتوبًا: غدًا بين الغنى والفقر إذا انصرف المنصرفون من بين يدي الله ﷻ إما إلى جنة وإما إلى نار.

- وعن خُشْنام بن سعد يقول: قلت لأحمد بن حنبل: أكان يحيى بن يحيى إمامًا؟ قال: كان يحيى بن يحيى عندي إماما، ولو كانت عندي نفقة لرحلت إلى يحيى بن يحيى.

- وعن صالح بن أحمد قال: عزم أبي على الخروج إلى مكة يقضي حجة الإسلام، ورافق يحيى بن معين، وقال له: نمضي إن شاء الله فنقضي حجنا، ثم نمضي إلى عبد الرزاق إلى صنعاء نسمع منه. قال أبي: فدخلنا مكة وقمنا نطوف طواف الورود، فإذا عبد الرزاق في الطواف يطوف، وكان يحيى بن معين قد رآه وعرفه، فخرج عبد الرزاق لما قضى طوافه، فصلى خلف المقام ركعتين ثم جلس، فقضينا طوافنا وجئنا فصلينا خلف المقام ركعتين، فقام يحيى بن معين، فجاء إلى عبد الرزاق فسلم عليه، وقال له: هذا أحمد بن حنبل أخوك، فقال: حياه الله وثبته فإنه يبلغني عنه كل جميل. قال له يحيى، نجيء إليك غدًا إن شاء الله حتى نسمع ونكتب، قال: وقام عبد الرزاق فانصرف، فقال أبي ليحيى بن معين: لم أخذت على الشيخ موعدا؟ قال: لنسمع منه، قد أربحك الله مسيرة شهر ورجوع شهر والنفقة.

فقال أبي: ما كان الله يراني وقد نويت نية لي أفسدها بما تقول نمضي فنسمع منه. فمضى حتى سمع منه بصنعاء.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: فاتني مالك، فأخلف الله علي سفيان بن عيينة، وفاتني حماد بن زيد فأخلف الله علي إسماعيل بن عُليَّة.

- وعن أحمد بن سنان، قال: قدم علينا أحمد بن حنبل مع جماعة من البغداديين إلى يزيد بن هارون، واستقرضوني كلهم وردوا، إلا أحمد بن حنبل لم يستقرضني أعطاني فروة له، فبعتها بسبعة دراهم.

- وعن عبد الله بن الوليد الحراني، يقول: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ما رأيت بالرَّقة أفضل من فياض بن محمد بن سنان مولى قريش، ومنزله ملاصق مسجد الجامع، مات بالرقة بعد المئتين.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: رأى رجل مع أبي مِحْبَرَة، فقال له: يا أبا عبد الله أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين. فقال: "مع المِحْبَرَة إلى المقبرة".

- وعن عبد الله بن محمد البغوي، يقول: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر.

- وعن محمد بن إسماعيل الصائغ، قال: كنت أصوغ مع أبي ببغداد، فمر بنا أحمد بن حنبل وهو يعدو ونعلاه في يده، فأخذ أبي هكذا بمجامع ثوبه، فقال: يا أبا عبد الله، ألا تستحي، إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان؟ قال: إلى الموت.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: نزلنا بمكة دارًا وكان فيها شيخ يكنى بأبي بكر بن سماعة -وكان من أهل مكة- قال: نزل علينا

أبو عبد الله في هذه الدار وأنا غلام، فقالت لي أمي: الزم هذا الرجل فاخدمه فإنه رجل صالح، فكنت أخدمه. وكان يخرج يطلب الحديث فسرق متاعه وقماشه، فجاء فقالت له أمي: دخل عليك السراق فسرقوا قماشك. فقال: ما فعلت الألواح؟ فقالت له أمي: في الطاق. وما سأل عن شيء غيرها.

- وعن عبد الله بن أحمد قال: خرج أبي إلى طرطوس ماشيًا، وخرج إلى اليمن ماشيًا.

قال عبد الله: وقال أبي: ما كتبنا عن عبد الرزاق من حفظه شيئًا إلا المجلس الأول، وذلك أنا دخلنا بالليل، فوجدناه في موضع جالسًا، فأملى علينا سبعين حديثًا ثم التفت إلى القوم فقال: لولا هذا ما حدثتكم - يعني أبي -.

- وعن أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: لما قدم أحمد بن حنبل مكة من عند عبد الرزاق، رأيت به شحوبًا وقد تبين عليه أثر النصب والتعب، فقلت: يا أبا عبد الله، لقد شققت على نفسك في خروجك إلى عبد الرزاق، فقال: ما أهون المشقة فيما استفدنا من عبد الرزاق، كتبنا عنه حديث الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه، وحديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة.

- وعن أبي بكر بن الخلال، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: كنت أحفظ القرآن، فلما طلبت الحديث اشتغلت، فقلت: متى، فسألت الله ﷻ أن يمن علي بحفظه ولم أقل في عافية، فما حفظته إلا في السجن والقيود، فإذا سألت الله حاجة فتقول: في عافية.

❐ ❐ ❐

الباب الخامس
في تسمية من لقي من كبار العلماء وروى عنهم

لقي الإمام أحمد وروى عن كثير من كبار العلماء قد ذكرهم أبو الفرج رَحِمَهُ اللَّهُ. وبلغ عدد من ذكرهم أربعمائة وثلاثين عالما وإماماً رتبهم على الحروف.

وقال: وقد رأى أحمد خلقا كثيرًا لم يكتب عنهم، وقد خرق أحاديث خلق من الضعفاء ولم يرو عنهم. قال: وقد لقي أحمد خلقا من الصالحين الزهاد، وقد ذكرنا بعضهم فيمن سمع منهم، وبعضهم لم يسمع منه، وفيهم من كان مشغولا بالتعبد عن رواية الحديث.

وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أحمد بن حنبل. يقول: ما أعدل بالفقر شيئا، أتدري الصبر على الفقر أي شيء هو؟ قد رأيت قومًا صالحين، لقد رأيت عبد الله بن إدريس وعليه جبة لبود، وقد أتى عليه السنون والدهور، ولقد رأيت أبا داود الحفري وعليه جبة مخرقة، قد خرج القطن منها، يصلي بين المغرب والعشاء ويترجح من الجوع، ورأيت أيوب بن النجار بمكة، وقد خرج مما كان فيه ومعه رشاء يستقي به بمكة، وقد خرج من كل ما يملكه وكان من العابدين، وكان في دنيا فتركها في يدي يحيى القطان، وقد رأيت ابن بجالة العابد وكنت أسمع صوت خفه في الطواف بالليل، ولقد كان في المسجد رجل يقال له العَرَفي، يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكي، قال: فاشتهيت النظر إليه فإذا هو شاب مُصفر، ولقد رأيت حسينًا الجعفي، وكان يُشبّه بالراهب، ما رأيت بالكوفة أفضل من حسين الجعفي، وسعيد بن عامر بالبصرة.

❐ ❐ ❐

الباب السادس
في ذكر تأدبه عند مشايخه احترامًا للعلم

- عن عمرو الناقد، قال: كنا عند وكيع، وجاء أحمد بن حنبل فقعد - وجعل يصف من تواضعه بين يديه - قال عمرو: فقلت يا أبا عبد الله، إن الشيخ يكرمك فما لك لا تتكلم؟ قال: وإن كان يكرمني! فينبغي لي أن أجِلَّه.

- وعن مهنا بن يحيى الشامي، قال: رأيت أحمد بن حنبل قدام سفيان وقدامة عبد الرازق، فقلت: تراهم يدرون من عندهم؟ أي: من فضله.

- وعن قتيبة بن سعيد، يقول: قدمت بغداد وما كانت لي همة أن ألقى أحمد بن حنبل، فإذا هو قد جاءني مع يحيى بن معين، فتذاكرنا، فقام أحمد بن حنبل وجلس بين يديَّ، وقال: أمل علي هذا، ثم تذاكرنا، فقام أيضًا وجلس بين يدي، فقلت: يا أبا عبد الله، اجلس مكانك، فقال: لا تشتغل بي، إنما أريد أن آخذ العلم على وجهه.

- وعن إسحاق الشهيد، قال: كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه علي بن المديني، والشاذكوني، وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم، يسألونه عن الحديث وهم قيام على أرجلهم، إلى أن تحين صلاة المغرب، لا يقول لأحد منهم: اجلس، ولا يجلسون هيبة وإعظامًا.

- وعن خلف، قال: جاءني أحمد بن حنبل يسمع حديث أبي عوانة، فاجتهدت أن أرفعه فأبى، وقال: لا أجلس إلا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه.

❐ ❐ ❐

الباب السابع
في ذكر إقباله على العلم واشتغاله به

كان ﷺ شديد الإقبال على العلم، سافر في طلبه السفر البعيد وَوَفر على تحصيله الزمان الطويل، ولم يتشاغل بكسب ولا نكاح حتى بلغ منه ما أراد.

- عن أبي بكر المروذي حدَّث: أن أبا عبد الله قال له: ما تزوجت إلا بعد الأربعين.

- وعن أحمد الدَّوْرَقي، يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: نحن كتبنا الحديث من ستة وجوه وسبعة وجوه، لم نضبطه، كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد؟! أو نحو هذا الكلام. وقد روى صالح بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: كتبت بخطي ألف ألف حديث، سوى ما كُتب لي.

❐ ❐ ❐

الباب الثامن
في ذكر حفظه وقدر ما كان يحفظ

- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبا زُرعة يقول: كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث، فقيل له: ما يدريك؟ قال: ذاكرته فأخذت عليه الأبواب.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قال أبي: جاء إنسان إلى باب ابن عُلَيَّة ومعه كتب هشيم، فجعل يلقيها عليه وأنا أقول: هذا إسناده كذا، فجاء المعيطي وكان يحفظ، فقلت له: أجبه فيها، فبقي[1]. قال أبي: وأعرف من حديثه ما لم أسمع.

- وعن حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، يقول: حفظت كل شيء سمعته من هشيم، وهشيم حي قبل موته.

- وعن ابن أبي حاتم، قال: قال يوما سعيد بن عمرو البَرذعي لأبي زُرْعة: يا أبا زرعة، أنت أحفظ أم أحمد بن حنبل؟ قال: بل أحمد بن حنبل، قال: وكيف علمت ذلك؟ قال: وجدت كتب أحمد بن حنبل ليس في أوائل الأجزاء ترجمة أسماء المحدثين الذين سمع منهم، فكان يحفظ كل جزء ممن سمعه، وأنا لا أقدر على هذا.

- وعن أحمد بن محمد بن سليمان التستَري، قال: قيل لأبي زرعة: من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ؟ فقال: أحمد بن حنبل، حُزِرت كتبه في اليوم الذي مات فيه فبلغت اثنى عشر حملاً وعِدلاً، ما كان على ظهر كتاب منها « حديث فلان » ولا في بطنه « حدثنا فلان »، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلب.

---

(١) أي فبقي ساكتًا لا يجيب.

- وعن أبي زرعة قال: أتيت أحمد بن حنبل فقلت: أخرج إلي حديث سفيان، فأخرج إلي أجزاء كلها «سفيان» «سفيان» ليس على حديث منها: حدثنا فلان، فظننت أنها عن رجل واحد، فجعلت أنتخب، فلما قرأ علي جعل يقول في الأحاديث: حدثنا وكيع ويحيى وحدثنا فلان. قال: فعجبت من ذلك.

قال أبو زرعة: فَجَهدتُ في عمري أن أقدر على شيء من هذا فلم أقدر.

- وعن أبي بكر المرُّوذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: كنت أذاكر وكيعًا بحديث الثوري، فكان إذا صلى العشاء الآخرة، خرج من المسجد إلى منزله، فكنت أذاكره، فربما ذكر تسعة أحاديث أو العشرة فأحفظها، فإذا دخل قال لي أصحاب الحديث: أملَّ علينا، فأملها عليهم، فيكتبونها.

- وعن قتيبة بن سعيد، قال: كان وكيع إذا صلى العَتَمة ينصرف معه أحمد بن حنبل، فيقف على الباب، فيذاكره وكيع، فأخذ وكيع ليله بعِضادتي الباب، ثم قال: يا أبا عبد الله، أريد أن ألقي عليك حديث سفيان، قال: هات، فقال: تحفظ عن سفيان عن سلمة بن كُهَيل كذا وكذا؟ فيقول أحمد: نعم، حدثنا يحيى، فيقول: سلمة كذا وكذا؟ فيقول حدثنا عبد الرحمن، فيقول: سفيان عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول أنت حدثتنا، حتى يفرغ من سلمة.

ثم يقول أحمد: فتحفظ عن سلمة كذا وكذا؟ فيقول وكيع: لا، فلا يزال يلقي عليه ويقول وكيع: لا، ثم يأخذ في حديث شيخ شيخ، قال: فلا يزال قائما حتى جاءت الجارية فقالت: قد طلع الكوكب، أو قالت: الزهرة.

- وعن حنبل، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: كان وكيع يحدث بأحاديث بإسناد واحد كأنه قد حفظها، فكنت أتحفظ منها عشرة خمسة عشر، أتحفظها بالليل.

- قال الخلال: وسمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: قال لي أبي: خذ أي كتاب شئت من كتب وكيع من المصنف، فإن شئت أن تسألني عن الكلام حتى أخبرك بالإسناد، وإن شئت بالإسناد حتى أخبرك أنا بالكلام.

❐ ❐ ❐

الباب التاسع
في بيان غزارة علمه وقوة فهمه وفقهه

- عن أحمد بن محمد الخلَّال قال: سمعت أبا القاسم الجَبُّلي - وكفاك به - يقول: أكثر الناس يظنون أن أحمد بن حنبل إنما كان أكثر ذكره لموضع المحنة، وليس هو كذاك، كان أحمد بن حنبل إذا سئل عن المسألة كأن علم الدنيا بين عينيه.

- وعن إبراهيم الحربي، قال: أدركت ثلاثة لم يُرى مثلهم، تعجز النساء أن يلدن مثلهم، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ما مثَّلتُه إلا بجبل نفخ فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث فما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد بن حنبل كأن الله جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف، يقول ما شاء ويُمسك ما شاء.

- وعن أحمد بن سعيد الدارمي، يقول: ما رأيت أسود الرأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ولا أعلم بفقهه ومعانيه، من أبي عبد الله أحمد بن حنبل.

- وعن إسحاق بن راهويه، يقول: كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأصحابنا، فكنا نتذاكر الحديث من طريق وطريقين وثلاثة، فيقول يحيى بن معين من بينهم: وطريق كذا، فأقول: أليس قد صح هذا بإجماع منا؟ فيقولون: نعم. فأقول: ما مراده؟ ما تفسيره؟ ما فقهه؟ فيبقون كلهم إلا أحمد بن حنبل.

- وعن أبي عاصم - وذكر الفقه - فقال: ليس ثمة - يعني ببغداد - إلا ذلك الرجل - يعني أحمد بن حنبل - ما جاءنا من ثمَّ أحد مثله يحسن الفقه، فذكر له علي بن المديني، فقال بيده ونفضها.

- وعن يحيى بن معين، وسأله رجل عن مسألة سكني في دكان، فقال: ليس هذا بابتنا، هذا بابةُ أحمد بن حنبل.

قال الخلال: وكان أحمد قد كَتَبَ كُتُب الرأي وحفظها، ثم لم يلتفت إليها، وكان إذا تكلم في الفقه، تكلم كلام رجل قد انتقد العلوم، فتكلم عن معرفة.

قال حُبيش بن مُبشر وعده من الفقهاء: نحن نناظر ونعترض في مناظراتنا على الناس كلهم، فإذا جاء أحمد فليس لنا إلا السكوت.

- وعن إبراهيم الحربي، قال: سُئل أحمد عن الرجل المسلم يقول للرجل النصراني: أكرمك الله، قال: نعم، يقول: أكرمك الله، وينوي بالإسلام.

قال وسُئل أحمد عن رجل حلف بالطلاق ثلاثًا أنه لا بد أن يطأ امرأته الليلة، فوجدها حائضًا، قال: تطلق منه امرأته، ولا يطأها، قد أباح الله الطلاق، وحرم وطء الحائض.

قال أبو الوفاء علي بن عقيل[(١)] رضي الله عنه: ومن عجيب ما تسمعه عن هؤلاء الأحداث الجهال أنهم يقولون: أحمد ليس بفقيه، لكنه محدث. وهذا غاية الجهل، لأنه قد خرج عنه اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرهم، وخرج عنه من دقيق الفقه ما ليس نراه لأحد منهم، وانفرد بما سلموه له من الحفظ، وشاركهم وربما زاد على كبارهم،

(١) في لسان الميزان (٤/٢٤٣): علي بن عقيل بن محمد أبو الوفاء الظفري الحنبلي، أحد الأعلام وفرد زمانه علما ونقلا وذكاء وتفننا، وهذا الرجل من كبار الأئمة، نعم كان معتزليا ثم اشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك وصحت توبته ثم صنف في الرد عليهم، وقد أثنى عليه أهل عصره ومن بعدهم وأطراه بن الجوزي وعول على كلامه في أكثر تصانيفه، وكان مولده سنة ثلاثين وأربع مائة أو بعدها بسنة، ومات في جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة وخمس مائة.

ومن دقيق ما خرج عنه أنه اختلفت الرواية عنه في قسمة الدين إذا كان في ذمة اثنين، ولم تختلف في نفي صحة القسمة، إذا كان في ذمة واحد، وكأن المعنى فيه إذا كان في ذمة[1] أنه لا تتأتى قسمته لأن الملتزم له واحد وليس لمن له الدين من الشريكين إلا حق المطالبة له بحقه مع الاشتراك، ولا يكون له إلا ذلك فكيف يتأتى الانقسام؟ وليس كذلك إذا كان على اثنين؛ لأنه يمكن أن ينفرد أحد الشريكين المستحقين للدين، بما في ذمة أحد الاثنين المستحق عليهما الدين، فتصح القسمة، لامتياز أحد المحلين عن الآخر وعلى الرواية التي منع من القسمة وإن كان الدين على اثنين إنما منع؛ لأن الذمم تختلف ولا تتكافأ غالبًا.

قال: ومما وجدنا من فقه أحمد ودقة علمه أنه سُئل عن رجل نذر أن يطوف بالبيت على أربع، فقال: يطوف طوافين، ولا يطوف على أربع.

فانظر إلى هذا الفقه، كأنه نظر إلى الانكباب، فرآه مُثلة وخروجا عن صورة الحيوان الناطق إلى التشبه بالبهيم، فصانه وصان البيت والمسجد عن الشهرة، ولم يُبطل حكم لفظه بالمشي على اليدين، فأبدلها بالرجلين التي هي آلة المشي.

قال ابن عقيل: وقد سُئل أحمد عن رجل مات وخلَّف ولدًا وجارية مغنية، فاحتاج الصبي إلى بيعها؟ فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة، فقيل له: تساوي مغنية ثلاثين ألفًا، وساذجة عشرين دينارًا. فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة. قال: وهذا فقه حسن من أحمد؛ لأن الغناء في الجارية كالتأليف في آلة اللهو، وذلك لا يقوم في

(١) أي: في ذمة واحد. والله أعلم.

الغصب، فلو غصب جارية مغنية، فنسيت الغناء لم يغرم.

قال: وسئل أحمد عن سِمسِم مبلول ماتت فيه فأرة؟ قال: يُعلف النواضح[١]. فقيل له: يغسل مرارًا حتى يذهب الماء عنه، فقال: أليس قد ابتل؟!

وهذا فقه دقيق من أحمد، لأن البلل الذي حصل فيه لا يدخل عليه الماء الذي يُفاض عليه، لأن الماء لا يُخْرج الماء، فانظروا فقه هذا الرجل ودقته.

قال: وسئل أحمد عن تشميس دود القزِّ ليموت في ذلك المنسوج عليه كيلا يعود فيقرض ما عليه من القز، فقال: إذا لم يجدوا منه بدًا، ولم يريدوا بذلك أن يعذبوه بالشمس، فليس به بأس. وهذا من أحمد فقه كبير، حيث اعتبر في جواز التعذيب عدم قصدهم نفس التعذيب.

قال ابن عقيل: ولقد كانت نوادرُ أحمد نوادرَ بالغٍ في الفهم إلى أقصى طبقة، فمن ذلك أن أبا عُبيد قصده، فقام من مجلسه، فقال: يا أبا عبد الله - أليس قد روي: «المرء أحق بمجلسه»؟ فقال: بلى، يجلس ويُجلس فيه من أحب، فما يكون على هذا الفهم مزيد من سرعة التأويل.

قال: ومن هذا فقهه واختياراته يحسن بالمنصف أن يغض منه في هذا العلم؟! وما يقصد هذا إلا مبتدع، قد تمزق فؤاده من خمول كلمته، وانتشار علم أحمد، حتى إن أكثر العلماء يقولون: أصلي أصل أحمد، وفرعي فرع فلان. فحسبك بمن يُرضى في الأصول قدوة.

❐ ❐ ❐

(١) أي: الجمال التي يستقى عليها، وهي غير صالحة للحرب.

الباب العاشر
في ذكر ثناء مشايخه عليه

اعلم أن مخايل الإنسان تبين في صباه، ويتلمح في بدء أمره منتهاه، وقد كانت مخايل العلم والتُّقى تظهر على أحمد في بدايته، ولذلك أثنى عليه مشايخه وقدموه.

- عن أبي العباس النسائي، قال: كان أحمد بن حنبل إذا جاء إلى المحدث استأذن لأصحاب الحديث حتى يسمعوا بسببه.

■ **وممن أثنى عليه من مشايخه:**

يزيد بن هارون

- عن محمد بن عبد الملك بن زنجويه، قال: رأيت يزيد بن هارون يصلي، فجاء إليه أبو عبد الله أحمد بن حنبل، فلما سلَّم يزيد من الصلاة، التفت إلى أحمد بن حنبل، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في العارية؟ قال: مؤداة، فقال له يزيد: أخبرنا حجاج بن الحكم قال: ليس مضمونة. فقال له أحمد: قد استعار النبي ﷺ من صفوان بن أمية أدراعًا، فقال له: عارية مؤداة؟ فقال له النبي ﷺ: «**العارية مؤداة**»[(١)]، فسكت يزيد. وصار إلى قول أحمد بن حنبل.

- وعن خلف بن سليمان، قال: كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح يزيد مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فضرب يزيد بيده على جبينه وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٧٩٧٩).

- وعن أحمد بن سنان، قال: ما رأيت يزيد بن هارون لأحد أشد تعظيمًا منه لأحمد بن حنبل، ولا رأيته أكرم أحد إكرامه لأحمد بن حنبل، وكان

يقعده إلى جنبه إذا حدثنا، وكان يوقِّر أحمد بن حنبل ولا يمازحه، ومرض أحمد بن حنبل، فركب إليه يزيد بن هارون وعاده.

- وعن أبي بكر المرُّوذي، قال: قلت لأبي عبد الله: أي شيء كان سبب يزيد بن هارون حين عادك؟ قال: كنت بواسط، وكنت أجلس بالقرب منه إذا حدَّث، فكان يعرفني، فقال يوما: حدثني يحيى بن سعيد، قال: سمعت سالم بن عبد الله يقول، فقلت له: ليس في هذا «سمعت»، وإنما هو «إن سالما» فدخل فأخرج الكتاب، فإذا هو «أن سالما»، فقال: من رد علي؟ فقالوا: أحمد بن حنبل. فقال: صيروه كما قال، فكان إذا جلس يقول: يا ابن حنبل ادن هاهنا. قال: وجاءني فعادني، وكان بي عرق مديني، ولم أكن في دارنا هذه، كان فيها أعمامي، فخرجت عنهم وتركت الدار، وكانت دارنا خارج.

ومنهم: إسماعيل بن عُليَّة

- عن أبي بكر بن أبي عون ومحمد بن هشام، قالا: رأينا إسماعيل بن علية إذا أقيمت الصلاة، قال: هاهنا أحمد بن حنبل؟ قولوا له يتقدم.

- وعن عبد الله بن المبارك -شيخ سمع منه قديمًا- وليس بالخراساني، قال: كنت عند إسماعيل بن علية، فتكلم إنسان فضحك بعضنا، وثم أحمد بن حنبل، قال: فأتينا إسماعيل فوجدناه غضبان، فقال: أتضحكون وعندي أحمد بن حنبل؟!.

عبد الرزاق بن همام

- عن محمد بن سهل بن عسكر، قال: قال عبدالرزاق: ما رأيت أفقه من أحمد بن حنبل ولا أورع.

- وعن أبي بكر محمد بن أبان: كنت وأحمد وإسحاق عند عبد الرزاق، فكان إذا استفهمه واحد منا، قال: أنا لا أحدثكم، إنما أحدث هؤلاء الثلاثة، أحمد وإسحاق وابن أبان.

- وعن محمد بن مُشكان، قال: قال عبد الرزاق: ما قدم علينا أحد كان يشبه أحمد بن حنبل.

- وعنه، قال: سمعت عبد الرزاق يقول: ما قدم علينا مثل أحمد بن حنبل.

- وعن الحسن بن محمد الخلال، قال: قال عبد الرزاق: رحل إلينا من العراق أربعة من رؤساء الحديث، الشاذكوني وكان أحفظهم للحديث، وابن المديني وكان أعرفهم باختلافه، ويحيى بن معين وكان أعلمهم بالرجال، وأحمد بن حنبل وكان أجمعهم لذلك كله.

- قال أبو يعقوب الحافظ: ما رُحِلَ إلى أحد بعد رسول الله ﷺ ما رُحل إلى عبد الرزاق.

- وعن علي بن هاشم، قال: قال عبد الرزاق: كتب عني ثلاثة ما أبالي ألا يكتب عني غيرهم، ابن الشاذكوني من أحفظ الناس، ويحيى بن معين من أعرف الناس بالرجال، وأحمد بن حنبل من أزهد الناس.

- وعن ابن عسكر، قال: سمعت عبد الرزاق يقول: إن يعش هذا الرجل يكن خلفا من العلماء - يعني أبا عبد الله -.

- وعن الباوردي، قال: سمعت عبد الرزاق يقول: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل.

- وعن أبي بكر بن زنجويه، قال: قلت لعبد الرزاق: أنا جار لأحمد بن حنبل، قال: إذن أزورك.

- وعن عبد الله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عبد الرزاق بأحاديث في المهدي، فلما فرغ منها التفت إلي وقال: لولا هذا - أو لولاه، يعنيني - ما حدثتكم بها.

وكيع بن الجراح

- عن إبراهيم بن شماس، قال: سمعت وكيعًا يقول: ما قَدِم الكوفة مثل ذلك الفتى - يعني أحمد بن حنبل -.

- وعنه، قال: سألت وكيعًا عن خارجة بن مُصعب يحدثنا عنه، فقال: لست أحدث عنه، نهاني أحمد بن حنبل أن أحدث عنه.

حفص بن غياث

- عن إبراهيم بن شماس، قال: سمعت حفص بن غياث يقول: ما قدم الكوفة مثل ذلك الفتى - يعني: أحمد بن حنبل -.

أبو الوليد هشام بن عبد الملك الطيالسي

- عن البخاري، قال: ضُرب أحمد بن حنبل وكنت بالبصرة فجاء الخبر، فقال أبو الوليد: لو كان هذا في بني إسرائيل لكانت أحدوثة.

- وعن شجاع بن مخلد، قال: كنت عند أبي الوليد الطيالسي فورد عليه كتاب أحمد بن حنبل، فسمعته يقول: ما بالمصرين - يعني البصرة والكوفة - أحد أحب إلي من أحمد بن حنبل، ولا أرفع قدرًا في نفسي منه.

- وعن أبي العوام البزار، قال: كنا عند أبي الوليد، وأبو الوليد مُنبسط، فقالوا: قد جاء أحمد بن حنبل، فتحرك له أبو الوليد، وسكت حتى جلس، فسأله أحمد فحدثه - أراه قال: وأقبل عليه - فلما قام، قال أبو العوام: قلت - يعني في نفسه -: نحن شيوخ، فلما جاء هذا تحرك له أبو الوليد؟.

حسين الجعفي

- عن أبي بكر بن سماعة، قال: كنا عند ابن أبي عمر العدني بمكة، فجعلنا نذكر أحمد بن حنبل وهو ساكت، فلما أكثرنا قال ابن أبي عمر: من مضى من الناس كانوا أعرف بحق أحمد بن حنبل منكم، جاء أحمد إلى حسين الجعفي ومعه كتاب - كأنه يقول: شفاعة - يحدثه، فقال له: يا أحمد، لا تجعل فيما بيني وبينك منعَّما، فليس تحمل عليَّ بأحد إلا وأنت أكبر منه.

عبد الرحمن بن مهدي

- عنه أنه رأى أحمد بن حنبل أقبل إليه - أو قام من عنده - فقال: هذا أعلم الناس بحديث سفيان الثوري.

- وعن حميد بن يزيد الطحان، قال: قال عبد الرحمن بن مهدي: ما نظرت إلى أحمد بن حنبل إلا تذكرت به سفيان الثوري.

- وعن إبراهيم بن شماس يقول: كنا عند عبد الرحمن بن مهدي فإذا أحمد بن حنبل قد قام - أو أقبل - فقال عبد الرحمن: من أراد أن ينظر إلى ما بين كتفي الثوري، فلينظر إلى هذا.

- وعن أبي صالح السَّمرقَندي، قال: بلغني عن عبد الرحمن بن

مهدي، قال: كاد هذا الغلام أن يكون إمامًا من بطن أمه - يعني أحمد بن حنبل -.

يحيى بن سعيد القطان

- عن عبيد الله بن عمر الجشمي، قال: قال لي يحيى بن سعيد القطان: ما قدم علي مثل أحمد بن حنبل.

- وعن عبيد الله بن عمر القواريري، قال: قال لي يحيى بن سعيد القطان: ما قدم علي مثل هذين الرجلين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

- وعن عبيد الله بن عمرو، يقول: قال لي يحيى بن سعيد - يعني القطان -: ما قدم علينا مثل أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين.

- وعن محمد بن يعقوب الكرابيسي، قال: لما قدم أحمد بن حنبل البصرة، ساء ابن الشاذكوني مكانه، فكأنه ذكره عند يحيى بن سعيد القطان، فقال له يحيى بن سعيد: حتى أراه، فلما رأى أحمد بن حنبل، قال له: ويلك يا سليمان، أما اتقيت الله! تذكر حبرًا من أحبار هذه الأمة؟!.

- وعن عبيد الله بن عمر القواريري، قال: سمعت يحيى بن سعيد، يقول: ما قدم علي من بغداد أحب إلي من أحمد بن حنبل.

- وعن علي بن المديني، يقول: جاء يحيى وأحمد وخلف إلى يحيى بن سعيد القطان. فقال: يا علي، من هذا؟ قلت: يحيى بن معين. قال: فمن هذا؟ قلت: خلف. قال: فمن هذا؟ قلت: أحمد بن حنبل. قال: إن كان منهم أحد، فهذا.

- وعن أحمد بن الحسن الترمذي، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد.

أبو عاصم النَّبيل، واسمه الضحاك بن مَخْلَد

- عن عبد الله بن أحمد، قال: حضر قوم من أصحاب الحديث في مجلس أبي عاصم الضحاك بن مخلد، فقال لهم: ألا تتفقهون؟ وليس فيكم فقيه، وجعل يذمهم. فقالوا: فينا رجل، فقال: من هو؟ فقالوا: الساعة يجيء، فلما جاء أبي. قالوا: قد جاء، فنظر إليه فقال له: تقدَّم، فقال: أكره أن أتخطى الناس، فقال أبو عاصم: هذا من فقهه، وسعوا له، فوسعوا فدخل، فأجلسه بين يديه، فألقى عليه مسألة فأجاب، فألقى ثانية فأجاب، وثالثة فأجاب، ومسائل فأجاب، فقال أبو عاصم: هذا من دواب البحر، ليس هذا من دواب البر -أو من دواب البر، ليس من دواب البحر-.

- وعن العباس بن محمد، قال: سمعت أبا عاصم النبيل، يقول: جاء أحمد بن حنبل إلينا، فسمعت الناس يقولون: جاء ابن حنبل، جاء ابن حنبل، فقلت: أروني ابن حنبل هذا، فقالوا: هو ذاك، فقلت له: يا هذا، ما أنصفتنا، قدمت بلدنا فلم تعرفنا نفسك فنكرمك ونأتي من حقك ما أنت له أهل. فقال: يا أبا عاصم، إنك لتفعل، وإنك لتحمل على نفسك وتحدث.

قال: فرأيت له حياء وصدقًا ما أخلقه، سيبلغ ما بلغ الرجال.

- وعنه قال: سمعت أبا عاصم النبيل يقول -وذكر عنده احمد بن حنبل- فقال: قد رأيته، ثم التفت، فقال: من تعدون اليوم في الحديث ببغداد؟ فقالوا له: يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وأبو خيثمة، والمعيطي والسويدي ونحوهم من أصحاب الحديث، فقال: فمن تعدون بالبصرة عندنا؟ قلنا: علي بن المديني، وابن الشاذكوني، وابن عرعرة، وابن أبي

خدويه، ونحوهم، قال: فمن تعدون بالكوفة؟ قلنا: ابن أبي شيبة، وابن نمير ونحوهم، فقال: أبو عاصم وتنفس: هاه هاه هاه، ما من هؤلاء أحد إلا وقد جاءنا وقد رأيناه، فما رأينا في القوم مثل هذا الفتى، أحمد بن حنبل.

قال عباس: يقول لنا هذا الكلام قبل أن يمتحن أحمد بن حنبل.

- وعن أحمد بن منصور، قال: قال لي أبو عاصم النبيل لما ودعته: أقرئ الرجل الصالح أحمد بن حنبل السلام.

أبو اليمان الحكم بن نافع

- عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، قال: سمعت أبا اليمان، يقول: كنت أشبه أحمد بن حنبل بأرطأة بن المنذر.

يحيى بن آدم

- وعن إسحاق بن راهويه، يقول: سمعت يحيى بن آدم يقول: أحمد بن حنبل إمامنا.

سليمان بن حرب

- عن محمد بن ابي حماد قال: سمعت رجلا يقول لمحمد بن الهيثم: قال لي سليمان بن حرب: سل أحمد بن حنبل ما يقول في هذه المسألة، فإنه عندنا إمام.

عفان بن مسلم الصفَّار

- وعن عيسى بن عفان، قال: كانوا يجيئون يسمعون من أبي: يحيى

بن معين، وأبو خيثمة، ومن ذكر معهم وجاء أحمد بن حنبل فسمع من أبي ثم خرج، فقال لي أبي: هذا سوى أولئك -يعني من فضله-.

الهيثم بن جميل أبو سهل البغدادي

- عن أبي عثمان الرقي، قال: سمعت الهيثم بن جميل يقول: إن عاش هذا الفتي سيكون حجة على أهل زمانه -يعني أحمد بن حنبل-.

- وعن أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت الهيثم بن جميل، يقول: إن لكل زمان رجلا يكون حجة على الخلق، وإن فضيل بن عياض حجة على أهل زمانه، وأظن إن عاش هذا الفتى -أحمد بن حنبل- سيكون حجة على أهل زمانه.

- وعن يوسف بن مسلم، قال: حدث هيثم بن جميل بحديث عن هشيم فوهم فيه، فقيل له: خالفوك في هذا، فقال: من خالفني؟ قالوا: أحمد بن حنبل، قال: وددت أنه نقص من عمري فزاد في عمر أحمد بن حنبل.

- وعن أسدا الخشاب يقول: سمعت الهيثم بن جميل يقول: أسأل الله أن يزيد في عمر أحمد بن حنبل وأن ينقص من عمري، ثم قال لرجل: قل لي: لم قلت؟ هذا خليق أن ينتفع به المسلمون.

أبو نعيم الفضل بن دُكين

- وعن الرمادي، يقول: كنا عند أبي نُعَيْم نسمع مع أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وكان أبو نعيم إذا قعد في تلك الأيام للحديث، كان أحمد عن يمينه، ويحيى عن يساره، فجاءني يحيى يومًا ومعه ورقة قد كتب فيها أحاديث من أحاديث أبي نعيم، وأدخل في خللها ما ليس من حديثه، فقال: أعطه بحضرتنا حتى يقرأ فلما خف المجلس ناوله الورقة فنظر فيها

كلها، ثم تأملني، ونظر إليهما، ثم قال -وأشار إلى أحمد-: أما هذا فأدين من أن يفعل هذا، وأما أنت فلا تفعل، وليس هذا إلا من عمل هذا، ثم رفس يحيى رفسة رماه إلى أسفل السرير، وقال: عليَّ تعمل؟! فقام يحيى وقبله، وقال: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، مثلك من يحدث، إنما أردت أن أجربك.

- وعن أحمد بن منصور، يقول: خرجت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين إلى عبد الرزاق خادمًا لهما، فلما عدنا إلى الكوفة قال يحيى بن معين لأحمد بن حنبل: أريد أن أختبر أبا نعيم، فقال له أحمد بن حنبل: لا تُرِد، الرجل ثقة. فقال يحيى: لا بد لي، فأخذ ورقة وكتب فيها ثلاثين حديثًا من حديث أبي نُعَيْم، وجعل على رأس كل عشرة منها حديثًا ليس من حديثه، ثم جاءوا إلى أبي نُعَيْم، فدقوا عليه الباب، فخرج فجلس على دكان طين حذاء بابه، فأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، فأخذ يحيى بن معين الطبق فقرأ عليه عشرة أحاديث، وأبو نعيم ساكت، ثم قرأ الحادي عشر، فقال له أبو نعيم: ليس من حديثي، اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم ليس من حديثي، فاضرب عليه. ثم قرأ العشر الثالث، وقرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، وأقبل على يحيى بن معين، فقال له: أما هذا -وذراع أحمد في يده- فأورع من أن يعمل هذا، وأما هذا -يريدني- فأقل من أن يفعل مثل هذا، ولكن هذا من فعلك يا فاعل. ثم أخرج رجله فرفس يحيى بن معين فرمى به من الدكان وقام فدخل داره، فقال أحمد ليحيى: ألم أمنعك من الرجل وأقل لك: إنه ثَبْتٌ؟ فقال: والله لرفسته لي أحب إليَّ من سفري.

قتيبة بن سعيد

- عن قتيبة بن سعيد، قال: خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب. فقال له أبو بكر الرازي: ومن الشاب يا أبا رجاء؟ قال: ابن حنبل، قال: تقول شاب وهو شيخ أهل العراق! قال: لقيته وهو شاب.

- وعنه انه قال: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه إماما الدنيا.

- وعنه انه قال: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة.

- وعنه، يقول: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة.

- وعنه، يقول: لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثوري، ومالك، والأوزاعي، والليث بن سعد، لكان هو المقدم.

- وعنه، يقول: لو أدرك أحمد بن حنبل عصر الثوري، ومالك، والأوزاعي، والليث بن سعد، لكان هو المقدم، قلت لقتيبة: تضم أحمد إلى التابعين؟ قال: إلى كبار التابعين.

- وعن أحمد بن سلمة النيسابوري، قال: ذكرت لقتيبة بن سعيد يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، فقال: أحمد بن حنبل أكبر ممن سميتهم كلهم.

- وعن عبد الله بن أحمد بن شبويه، قال: سمعت قتيبة، يقول: لولا الثوري، لمات الورع، ولولا أحمد بن حنبل، لأحدثوا في الدين. قلت لقتيبة: تضم أحمد بن حنبل إلى أحد التابعين؟ فقال: إلى كبار التابعين.

- وعن قتيبة، يقول: لولا سفيان الثوري، لمات الورع، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين ما شاؤوا. فقيل له: يا أبا رجاء، تعده مع التابعين؟ قال: نعم مع كبارهم.

- وعنه، يقول: يموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع.

فصل

قال ابو الفرج: وقد أثنى على أحمد جماعة ممن هم في مراتب شيوخه ولم يسمع منهم مثل أبي مسهر الدمشقي.

- عن الحارث بن العباس، قال: قلت لأبي مسهر: هل تعرف أحدا يحفظ على هذه الأمة أمر دينها؟ قال: لا أعلمه إلا شابا في ناحية المشرق - يعني أحم بن حنبل -.

وسيأتي في غضون هذا الكتاب من هذا الجنس ما يقدر إن شاء الله تعالى.

❐ ❐ ❐

الباب الحادي عشر
في ذكر من حدث عنه من مشايخه ومن الأكابر

فمنهم: عبد الرزاق بن همام الصنعاني

- عن عبد الرزاق، قال: أخبرنا أحمد بن حنبل، عن الوليد - يعني ابن مسلم - عن زيد بن واقد، قال، سمعت نافعا مولى ابن عمر، أن ابن عمر كان إذا رأى مصليًا لا يرفع يديه في الصلاة حصبه وأمره أن يرفع.

ومنهم: إسماعيل بن علية

ذكر أبو بكر الخلال أنه روى عن أحمد.

ومنهم وكيع بن الجراح

وقد ذكرنا عنه أنه قال: نهاني أحمد أن أحدث عن فلان.

ومنهم: عبد الرحمن بن مهدي

- عن عبد الرحمن بن مهدي، قال: كان أحمد بن حنبل عندي، فقال: نظرنا فيما كان يخالفكم فيه وكيع، أو فيما يخالف وكيع الناس، فإذا هي نيف وستون حرفا.

ومنهم: محمد بن إدريس الشافعي

- فعن الشافعي، قال: أخبرنا الثقة - وهو أحمد بن حنبل - عن عبد الله بن الحارث عن مالك بن أنس، عن يزيد بن قسيط، عن سعيد بن

المسيب: أن عمر وعثمان قضيا في الملطاة[١] بنصف دية الموضحة.

- وعنه، قال: حدثنا الثقة من أصحابنا، عن يحيى بن سعيد القطان، عن شعبة بن الحجاج، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، أن عمر بن الخطاب، قال: إنما الغنيمة لمن شهد الوقعة.

قال الخطيب: قال لي أبو الفضل علي بن حسين الفلكي الحافظ: الرجل الذي لم يسمه الشافعي، هو أحمد بن حنبل.

ومنهم: معروف الكرخي

- عن يحيى بن أكثم القاضي، قال: سمعت معروفًا - وذُكر عنده أحمد بن حنبل - قال: رأيت أحمد بن حنبل فتى عليه آثار النسك، فسمعته يقول كلامًا جمع فيه الخير، سمعته يقول: من علم أنه إذا مات نُسِي، أحسن ولم يسئ.

ومنهم: أسود بن عامر المعروف بشاذان

- عنه، يقول: أرسلت إلى أبي عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - أستأذنه أن أحدث بحديث حماد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «**رأيت ربي** ﷻ» فقال: قل له: قد حدث به العلماء، حدث به.

ومنهم حسن بن موسى الأشيب

- عن الحسن الأشيب، قال: حدثنا شيبان، عن ليث، عن عطاء عن عائشة، قالت: «أفطر الحاجم والمحجوم».

---

(١) هي السمحاق، ويقال: الملطأة، والملطى، وهي القشرة الرقيقة بين عظم الرأس ولحمه، فيبقى فيها بين انكشاف العظم ستر رقيق.

قال الحسن الأشيب: وحدثني أحمد بن حنبل، عن هاشم أبي النضر، عن شيبان. .عن النبي ﷺ بهذا.

ومنهم: داود بن عمرو الضبي

- عن داود بن عمرو، يقول: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: وأنعما. قال: وأهلاً. قلت: الإشارة إلى الحديث المعروف «وإن أبا بكر وعمر منهم وأنْعمَا».

ومنهم: أبو زكريا يحيى بن عبد الحميد الحُمَّاني

- عن الحُماني، قال: حثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا إسحاق بن الأزرق، عن شريك، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم، عن المغيرة بن شعبة، قال: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ الظهر بالهاجرة، فقال لنا: «أبردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم».

ومنهم: خلف بن هشام البزار

- عن خلف البزار، قال: سألت أحمد: أي الأسانيد أثبت؟ قال: أيوب عن نافع عن ابن عمر. وإن كان من حديث حماد بن زيد فيا لك.

ومنهم: قتيبة بن سعيد

- عن قتيبة، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبيد الله بن طلحة، عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص، أنه دُعي إلى ختانٍ فأبى، وقال: كنا على عهد رسول الله ﷺ لا نأتي الخِتان ولا ندعى إليه.

ومنهم: علي بن المديني

- عن علي بن المديني، قال: حدثني أحمد بن حنبل، قال: حدثنا علي بن عياش الحمصي، قال: حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله رسول الله ﷺ: « **من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له الشفاعة** ».

- وعنه، قال: قال لي سيدي أحمد بن حنبل: لا تحدث إلا من كتاب.

- وعن عثمان بن سعيد الدارمي، قال: سمعت علي بن المديني، يقول: صح في « أفطر الحاجم والمحجوم » حديث شداد وثوبان. وأقول: أفطر الحاجم والمحجوم. قيل: فما عليه؟ قال: يقول أبو عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - عليه قضاء يوم. قال عثمان: وسمعت أحمد يقول: عليه قضاء يوم، قد صح عندنا فيه حديث ثوبان وشداد.

ومنهم: الحارث بن سريج النقال

- عن الحارث بن سريج، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: أخبرني صاحب لي - قد سماه - قال: كنت عند ابن المبارك وهو بالرقة مريض، فدخل عليه أبو المليح يعوده. فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إني دخلت أنا وصالح بن مسمار على مريض نعوده، فسمعت صالحا يقول: يا هذا، إن ربك يَسْتَعْتِبك فَأَعْتِبْه.

ومنهم: أبو جعفر محمد بن الحسين البُرْجُلاني

- عن محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا

إبراهيم بن خالد، قال: حدثنا رباح بن زيد: أن النبي ﷺ قال لجبريل: «لم تأتني إلا وأنت صار بين عينيك! قال: إني لم أضحك منذ خلقت النار»[(١)].

ومنهم: محمد بن يحيى بن أبي سَمينَة

- عنه، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا الوليد عن زيد بن واقد عن نافع، أن ابن عُمر كان إذا رأى رجلاً لا يرفع يَديه في الصلاة حصبه.

ومنهم: أبو عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن أبان القرشي الكوفي

- عنه، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا عامر بن صالح بن عبد الله بن عروة بن الزبير، قال: حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، عن النبي ﷺ، أنه أمر ببناء المساجد في الدور، وأمر بها أن تُنظف وتُطيب.

ومنهم: محمد بن المصفى

- عنه، قال: حدثنا أحمد بن حنبل، قال: حدثنا روح بن عبادة، عن شعبة، عن سيار، عن الشعبي، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تناجشوا ولا تصروا[(٢)] الإبل والبقر».

---

(١) الحديث معضل، فإن رباح بن زيد مات سنة (١٨٧هـ).

(٢) التصرية في الإبل والبقر، أن يحبس لبنها في الضرع أياما، لا تحلب، ثم تباع، فيكون الضرع كبيرا، فيظن المشتري أن ذلك من عادتها، ففي هذا غش وخداع له، والله أعلم.

ومنهم: أحمد بن أبي الحواري

- عنه، قال: أشهد على أحمد بن حنبل أنه قال: الثبت عندنا بالعراق وكيع ويحيى بن سعيد.

- وعنه، قال: قال لي أحمد بن حنبل: متى مولدك؟ قلت: سنة أربع وستين. قال: وهي مولدي.

ومنهم: أبو سعيد عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي المعروف بدُحيم

- عن أبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو النَّضري، قال: حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، عن أحمد بن حنبل، قال: لما مات الحسن جلس قتادة بعده، فأقام ثمان سنين، فمات سنة ثمان عشرة ومئة، ثم جلس بعده مَطَر، ثم جلس بعده سعيد بن أبي عَرُوبة، قلت لعبد الرحمن: أحمد حكاه لك؟ قال: نعم.

❐ ❐ ❐

الباب الثاني عشر
في ذكر من حدَّث عن أحمد على الإطلاق من الشيوخ والأصحاب

قال ابو الفرج: رتبتهم على الحروف ثم رتبتهم على أسماء الآباء، ليكون أسهل لطلبهم ثم ذكرهم أبو الفرج بهذا الترتيب الذي ألتزمه، وقد بلغ عدد من ذكرهم، خمسمائة وسبع وسبعين محدثا من الشيوخ والأصحاب.

ذكر من روى عنه من النساء

حُسن جارية أحمد بن حنبل، خديجة أم محمد، ريحانة بنت عم أحمد بن حنبل، وهي زوجته أم عبد الله، عباسة بنت الفضل زوجة أحمد بن حنبل، وهي أم صالح، مخَّة أخت بشر الحافي.

❐ ❐ ❐

الباب الثالث عشر
في ذكر ثناء نظرائه وأقاربه ومقاربيه في السن

فمنهم أكبر منه ومنهم أصغر منه
محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه

- عن الشافعي قال: خرجت من بغداد وما خلفت بها أحدا أورع ولا أتقى ولا أفقه - وأظنه قال - ولا أعلم من أحمد بن حنبل.

- وعن المزني، قال: سمعت الشافعي يقول لي: ثلاثة من العلماء من عجائب الزمان: عربي لا يعرب كلمة، وهو أبو نور، وأعجمي لا يُخطئ في كلمة، وهو الحسن الزعفراني، وصغير كلما قال شيئًا صدقه الكبار، وهو أحمد بن حنبل.

- وعن حرملة بن عمران، يقول: سمعت الشافعي يقول عند قدومه إلى مصر من العراق: ما خلفت بالعراق أحدًا يشبه أحمد بن حنبل.

- وعن الشافعي قال: ما رأيت أعقل من رجلين: أحمد بن حنبل، وسليمان بن داود الهاشمي.

أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي

- عنه قال: ما دمت بالحجاز، وأحمد بالعراق، وإسحاق بخراسان، لا يغلبنا أحد.

ابن أبي أويس

- عن محمد بن ياسين البلدي، قال: سمعت بن أبي أويس - وقد قال عنده بعض أصحاب الحديث: ذهب أصحاب الحديث.

فقال ابن أبي أويس: ما أبقى الله أحمد بن حنبل، فلم يذهب أصحاب الحديث.

علي بن المديني

- عنه قال: اتخذت أحمد بن حنبل إماما فيما بيني وبين الله، ومن يقوى على ما يَقوى عليه أبو عبد الله؟

- وعنه يقول: أحمد بن حنبل سيدنا.

- وعن إبراهيم بن إسماعيل، يقول: قَدِم علينا علي بن المديني، فاجتمعنا عنده فسألناه الحديث، فقال: إن سيدي أحمد بن حنبل، أمرني ألا أحدث إلا من كتاب.

- وعن محمد بن عبدويه، قال: سمعت علي بن المديني - وذكر أحمد بن حنبل - فقال: هو أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه، لأن سعيدا كان له نظراء، وأن هذا ليس له نظير، أو كما قال.

- وعن علي بن المديني يقول: ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب ولنا فيه أسوة حسنة.

- وعنه قال: لأن أسأل أحمد بن حنبل عن مسألة، أحب إلي من أن أسأل أبا عاصم وعبد الله بن داود، العلم ليس هو بالسن.

- وعن محمد بن العباس بن خالد، قال: سمعت علي بن المديني - وذكر عنده أحمد بن حنبل - فقال: حفظ الله أبا عبد الله؛ أبو عبد الله اليوم حجة الله على خلقه.

- وعن ابن المديني، يقول: إن الله ﷻ أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث؛ أبو بكر الصديق يوم الردة، وأحمد بن حنبل يوم المحنة.

- وعن الميموني، قال: سمعت علي بن المديني، يقول: ما قام أحد بأمر الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ما قام أحمد بن حنبل. قلت: يا أبا الحسن، ولا أبو بكر الصديق؟ قال: ولا أبو بكر الصديق، إن أبا بكر الصديق كان له أعوان وأصحاب، وأحمد بن حنبل لم يكن له أعوان ولا أصحاب.

- وعن أبي بعلى الموصلي، قال: سمعت علي بن المديني، يقول: إن الله أعز هذا الدين برجلين، ليس لهما ثالث إلى يوم القيامة، بأبي بكر الصديق يوم الرِّدَّة، وأحمد بن حنبل يو م المحنة - وفي لفظ آخر -: وقد كان لأبي بكر الصديق أعوان وأصحاب وأحمد ليس له أعوان ولا أصحاب.

- وعن علي، يقول: أعرف أبا عبد الله منذ خمسين سنة يزداد خيرًا.

- عن يحيى بن سعيد، يقول: الناس يلومونني في قعودي مع علي، وأنا أتعلم من علي أكثر مما يتعلم مني.

أبو عبيد القاسم بن سلاَّم

- عن أبي عبيد القاسم بن سلام يقول: انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه، وإلى ابن أبي شيبة وهو أحفظهم له، وإلى علي بن المديني وهو أعلمهم به، وإلى يحيى بن معين وهو أكتبهم له.

- وعنه، قال: أحمد بن حنبل إمامنا، إني لأتزيَّن بذكره.

- وعن أبي بكر الأثرم، قال: كنا عند أبي عبيد وأنا أناظر رجلاً عنده، فقال لي الرجل: من قال بهذه المسألة؟ قلت: من ليس في شرق ولا غرب مثله قال: من؟ قلت: أحمد بن حنبل، قال أبو عبيد: صدق، من ليس في شرق ولا غرب مثله؛ ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة منه.

- وعن الميموني، قال: قال أبو عبيد القاسم بن سلام: جالست أبا يوسف القاضي ومحمد بن الحسن - وأكثر علمي أنه قال: ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي - فما هبت أحدًا في مسألة ما هبت أبا عبد الله أحمد بن حنبل.

- وعن أبي عبيد القاسم بن سلَّام، قال: زرت أحمد بن حنبل يومًا في بيته فأجلسني في صدر داره وجلس دوني، فقلت: يا أبا عبد الله، أليس يقال: صاحب البيت أحق بصدر بيته؟ فقال: نعم، يَقْعد ويُقْعد من يريد. قال: فقلت في نفسي: خذ إليك يا أبا عبيد فائدة، قال: ثم قلت له: يا أبا عبد الله، لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم، فقال: لا تقل؛ إن لي إخوانًا لا ألقاهم إلا في كل سنة مرة، أنا أوثق بمودتهم ممن ألقى كل يوم. قال: قلت: هذه أخرى يا أبا عبيد، فلما أردت القيام، قام معي، فقلت: لا تفعل يا أبا عبد الله. فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه. قال: قلت: يا أبا عبيد، هذه ثالثة، قال: فمشى معي إلى باب الدار وأخذ بركابي.

- وعن محمد بن أبي بشر، قال: أتيت أحمد بن حنبل في مسألة، فقال: ائت أبا عبيد فإن له بيانا لا نسمعه من غيره، فأتيت أبا عبيد فسألته فشفاني جوابه، وأخبرته بقول أحمد، فقال: يا ابن أخي، ذاك رجل من عمال الله، نشر الله رداء عمله في الدنيا، وذخر له عنده الزلفى، أما تراه محببا ألوفا مألوفا، ما رأت عيناي بأرض العراق رجلا اجتمعت فيه خصال هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم، ثم قال: وإنه لكما قال مطرية.

يـزيـنـك إمـا غـاب عـنـك فـإن دنـا رأيـت لـه وجـهـًا يـسُـرك مـقـبـلاً
يعلِّم هذا الخلق ما شذَّ عنهمُ من الأدب المجـهـول كـهـفًـا ومـعـقـلاً
ويَجْـسُـر في ذات الإلـه إذا رأى مضيمًا لأهـل الحق لا يـسأم البَلا
وإخـوانـه الأدنـون كـلٌّ مـوفـق بصير بـأمـر الـلـه يـسـمـو إلى العـلا

يحيى بن معين

- عن يحيى، قال: ما رأيت أحدًا يُحدِّث لله إلا ثلاثة: يعلى بن عبيد، والقعنبي، وأحمد بن حنبل.

- وعنه، قال: ثقات الناس أو أصحاب الحديث أربعة: وكيع، ويعلى بن عبيد، والقعنبي، وأحمد بن حنبل.

- وعن عباس بن محمد، يقول: سمعت يحيى بن معين يقول وذكروا أحمد بن حنبل: والله ما نقوى على ما يقوى عليه أحمد، ولا على طريقة أحمد.

- وعن يحيى بن معين، قال: أراد الناس أن أكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله! لا أكون مثل أحمد أبدًا.

- وعن محمد بن الحسين الأنماطي، قال: كنا في مجلس فيه يحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب وجماعة من كبار العلماء، فجعلوا يثنون على أحمد بن حنبل ويذكرون فضائله، فقال رجل: لا تكثروا، بعض هذا القول، فقال يحيى بن معين: وكثرة الثناء على أحمد تستكثر! لو جلسنا مجلسنا بالثناء عليه ما ذكرنا فضائله بأكملها.

أبو خيثمة زهير بن حرب

- عن زهير بن حرب، قال: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل أشد قلبا منه أن يكون قام ذلك المقام، ويرى ما يمر به من الضرب والقتل،

قال: وما قام أحد مثل ما قام أحمد امتحن كذا سنة وطُلب، فما ثبت أحد على ما ثبت عليه.

إسحاق بن راهويه

- عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي - وذكر أحمد بن حنبل - فقال: لا يُدرَك فضله.

- وعنه، قال: أحمد بن حنبل حجة بين الله وبين عبيده في أرضه.

- وعنه، قال: لولا أحمد بن حنبل وبذل نفسه لما بذلها له، لذهب الإسلام.

بشر بن الحارث الحافي

- عن بشر بن الحارث - وسُئل عن أحمد بن حنبل فقال -: أنا أسأل عن أحمد! إن ابن حنبل أُدخل الكير فخرج ذهبًا أحمر.

- وعن علي بن خشرم، يقول: سمعت بشر بن الحارث يقول: أدخل أُحمد بن حنبل الكير فخرج ذهبةً حمراء، قال علي: فبلغ ذلك أحمد، فقال: الحمد لله الذي رَضَّى بشرًا بما صنعْنا.

- وعن أبي نصر التمار، يقول: لما ضُرب أحمد بن حنبل أيام المحنة دخل علي بشر، فقال: يا أبا نصر، إن هذا الرجل قام اليوم بأمر عجز عنه الخلق، وأرجو أن يكون ممن نفعه الله بالعلم.

- وعن محمد بن الشاه، قال: سُئل بشرُ بن الحارث عن أحمد بن حنبل بعد المحنة، فقال: إمام من أئمة المسلمين.

- وعن إبراهيم بن الحارث، قال: قال أصحاب بشر بن الحارث حين ضرب أحمد بن حنبل: يا أبا نصر، لو أنك خرجت فقلت: إني على

قول أحمد بن حنبل. فقال بشر: أتريدون أن أقوم مقام الأنبياء؟ إن أحمد بن حنبل قام مقام الأنبياء.

- وعن عبد الله بن محمد بن فضل الأسدي، قال: لما حُمل أحمد بن حنبل ليُضرب، جاءوا إلى بشر بن الحارث، فقالوا له: قد حُمل أحمد وحُمِلت السياط، وقد وجب عليك أن تتكلم. فقال: تريدون مني مقام الأنبياء؟ ليس ذا لي، حفظ الله أحمد بن حنبل من بين يديه.

- وعن أبي الهيثم العابد، قال: كنت عند بشر بن الحارث فجاءه رجل فقال: ضرب أحمد بن حنبل إلى الساعة سبعة عشر سوطًا. قال: فمد بشر رجله وجعل ينظر إلى ساقه ويقول: ما أقبح هذا الساق أن لا يكون القيد فيه نصرة لهذا الرجل.

- وعن إبراهيم بن هانئ النيسابوري، قال: صليت مع بشر بن الحارث فجعلت أرفع للصلاة، قال: فلما سلم الإمام قال: يا أبا إسحاق، العجب منك ومن صاحبك أبي عبد الله أحمد بن حنبل، ترفعون في الصلاة، حدثنا هشيم عن مغيرة عن إبراهيم: أنه كان يأمر بإرسال اليدين في الصلاة، قال: فرجعت إلى أحمد فقلت له: يا أبا عبد الله، أبو نصر يقول -وذكر ما حدثه به- فقال أبو عبد الله: سبعة عشر من أصحاب رسول الله ﷺ رفعوا، ثم قرأ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ثم قال: الرفع زين الصلاة. قال: فرجعت إلى بشر فأخبرته، فقال: ومن أنا من أبي عبد الله، ومن أنا من أبي عبد الله، ذلك أعلم مني، ذلك أعلم مني.

- وعن الجهم العُكبري، -وكان جهم هذا يغشى أبا عبد الله وبشر بن الحارث- قال: أتيت يومًا أحمد بن حنبل فدخلت عليه وهو مُتَّشح، فوقع أحد عطفي إزاره عن منكبه، فنظرت إلى موضع الضرب

- أحسبه قال: فدمعت عيني، ففطن فردَّ الثوب إلى منكبه. قال: ثم صرت إلى بشر بن الحارث فحدثته الحديث. قال: فقال لي: ويحك! إنَّ أحمد بن حنبل طار بحظها وغنائها في الإسلام، قال محمد بن جعفر: فحدثت به أبا بكر المروذي فاستحسنه وكتبه عني.

- وعن بشر بن الحارث، قال: سمعت المعافى بن عمران يقول: سُئل سفيان الثوري عن الفتوَّة، فقال: الفتوة العقل والحياء، ورأسها الحفاظ، وزينتها الحلم والأدب، وشرفها العلم والورع، وحليتها المحافظة على الصلوات، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وبذل المعروف، وحفظ الجار، وترك التكبر، ولزوم الجماعة، والوقار، وغض البصر عن المحارم، ولين الكلام وبذل السلام، وبر الفتيان العقلاء الذين عقلوا عن الله تعالى أمره ونهيه، وصدق الحديث، واجتناب الحلف والأيمان، وإظهار المودة، وإطلاق الوجه، وإكرام الجليس، والإنصات للحديث، وكتمان السر، وستر العيوب، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، والوفاء بالعهد، والصمت في المجالس من غير عي، والتواضع من غير حاجة، وإجلال الكبير والرفق بالصغير والرأفة والرحمة بالمسلمين، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، وكمال الفتوة: الخشية لله ﷻ، فينبغي للفتى أن تكون فيه هذه الخصال، فإذا كان كذلك كان فتى بحقه، قال بشر بن الحارث: وكذلك كان أحمد بن حنبل فتى، لأنه قد جمع هذه الخصال كلها، وكان يلبس إزارًا مفتولاً.

الحارث المحاسبي

- وعن الفتح بن شُخْرف، قال: ذكر أبو عبد الله أحمد بن حنبل عند الحارث بن أسد، قال الفتح: فقلت للحارث: سمعت عبد الرزاق يقول:

سمعت سفيان بن عيينة يقول: علماء الأزمنة ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه. قال الفتح: فقلت أنا للحارث: وأحمد بن حنبل في زمانه، فقال لي الحارث: أحمد بن حنبل نزل به ما لم ينزل بسفيان الثوري والأوزاعي.

ذو النون المصري

- وعن أبي بكر المرَّوذي، يقول: دخلت على ذي النون السجن ونحن بالعسكر. فقال لي: أي شيء حال سيدنا؟ - يعني أحمد بن حنبل -.

أبو زرعة الرازي

- عن الحسن بن أحمد بن الليث، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول - وذكر له إنسان فقال: بالري رجل يحدث يُقال له أبو زرعة، نكتب عنه؟ فقال له أحمد مجيبا له كالمنِكر عليه: أبو زرعة، أبو زرعة أستودعه الله، حفظه الله، أعلى الله كعبه، نصره الله على أعدائه، مع دعاءٍ كثير دعا له، فذكرت ذلك لأبي زرعة بعد قدومي عليه، فقال: ما وقعت بعد في بليةٍ إلا ذكرت هذا الدعاء فقلت: يخلصنا الله ويسلمني منهم وأنجو بعد دعاء أحمد لي.

- وعن أبي زُرعة، قال: ما رأت عيني مثل أحمد بن حنبل. فقلت له: في العلم؟ فقال: في العلم والزهد والفقه والمعرفة وكل خير، ما رأت عيناي مثله.

- وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: سمعت أبا زُرعة، يقول: لم أزل أسمع الناس يذكرون أحمد بن حنبل، ويقدمونه على يحيى بن معين، وعلي بن المديني وأبي خيثمة، وما أعلم في أصحابنا أسود الرأس أفقه من أحمد بن حنبل، وما رأيت أحدًا أجمع منه، فقيل له: إسحاق بن

راهويه؟ فقال: أحمد بن حنبل أكثر من إسحاق وأفقه، وقد رأيت الشيوخ فما رأيت أحدًا أكمل منه، فقد اجتمع فيه زهد وفضل وفقه وأشياء كثيرة.

أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي

- عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، قال: سألت أبي عن علي بن المديني وأحمد بن حنبل، أيهما كان أحفظ؟ قال: كانا في الحفظ متقاربين، وكان أحمد أفقه.

قال: وسمعت أبي يقول: إذا رأيتم الرجل يحب أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة، وسمعت أبي يقول: رأيت قتيبة بن سعيد بمكة يجيء ويذهب ولا يُكتب عنه، فقلت لأصحاب الحديث: كيف تغفلون عن قتيبة وقد رأيت أحمد بن حنبل في مجلسه، فلما سمعوا مني أخذوا نحوه وكتبوا عنه.

- وعن أبي حاتم الرازي، قال: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة. وهو المحنة بيننا وبين أهل البدع.

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني
صاحب الشافعي

- عن المزني، قال: أحمد بن حنبل يوم المحنة: أبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صفين.

أبو يعقوب البُويطي

- عن الربيع بن سليمان، يقول: كتب إلي البُويطي من بغداد من السجن: إني لأرجو أن يجري الله ﷻ أجر كل ممتنع في هذه المسألة

لسيدنا الذي ببغداد، أحمد بن حنبل.

أبو ثور

- عن المرُّوذي قال: حضرت أبا ثور - وقد سُئل عن مسألة - فقال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل شيخنا وإمامنا فيها كذا وكذا.

- وعن أبي ثور إبراهيم بن خالد، قال: أحمد بن حنبل أعلم - أو أفقه - من الثوري.

- وعنه، قال: لو أن رجلا قال: إن أحمد بن حنبل من أهل الجنة، ما عُنف على ذلك؛ وذاك أنه لو قصد رجل خراسان ونواحيها لقالوا: أحمد بن حنبل رجل صالح، وكذلك لو قصد الشام ونواحيها لقالوا: أحمد بن حنبل رجل صالح، وكذلك لو قصد العراق ونواحيها لقالوا: أحمد بن حنبل رجل صالح، فهذا إجماع، ولو عُنف هذا على قوله بطل الإجماع. وفي رواية عن أبي ثور أنه قال: كنت إذا رأيتَ أحمد بن حنبل خُيِّل إليك أن الشريعة لوح بين عينيه.

أبو عبد الله محمد بن يحيى الذُّهْلي

- عن الذهلي، قال: قد جعلت أحمد بن حنبل إماما فيما بيني وبين الله تعالى.

- وعنه، قال: إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

سفيان بن وكيع

- عن سفيان، قال: أحمد بن حنبل محنة، من عاب عندنا أحمد بن حنبل فهو فاسق.

أحمد بن صالح المصري

- عن أحمد بن صالح، قال: ما رأيت بالعراق مثل هذين الرجلين: أحمد بن حنبل ببغداد، ومحمد بن عبد الله بن نمير بالكوفة، رجلين جامعين لم أر مثلهما بالعراق.

- وعن أبي بكر بن زنجويه، يقول: قدمت مصر، فأتيت أحمد بن صالح، فسألني: من أين أنت؟ قلت: من بغداد. قال: أين منزلك من منزل أحمد بن حنبل؟ قلت: أنا من أصحابه، قال: تكتب لي موضع منزلك فإني أريد أن أوافي العراق حتى تجمع بيني وبين أحمد بن حنبل فكتبت له فوافى إلى عفان فجمعت بينه وبين أحمد بن حنبل، فتذاكرا، فذكر أحمد بن حنبل حديثا، فقال له: سألتك بالله إلا أمليته علي، فقال أحمد: من الكتاب. فدخل فأخرج الكتاب وأملاه عليه، فقال أحمد بن صالح: لو لم أستفد بالعراق إلا هذا الحديث كان كثيرا، ثم ودَّعه وخرج.

أبو عمر هلال بن العلاء الرقي

- عن أبي عمر، قال: مَنَّ الله على هذه الأمة بأربعة: بأبي عبيد فسَّر غريب حديث رسول الله ﷺ، وبالشافعي تفقه على حديث رسول الله، ويحيى بن معين نفى الكذب عن حديث رسول الله ﷺ، وأحمد بن حنبل ثبَت في المحنة؛ لولا أحمد لكفر الناس.

أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسائي

- عن أبي عبدالرحمن النسائي، قال: لم يكن في عصر أحمد بن حنبل مثل هؤلاء الأربعة: علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأحمد بن

حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأعلم هؤلاء الأربعة بالحديث وعلله علي بن المديني، وأعلمهم بالرجال وأكثرهم حديثاً يحيى بن معين، وأحفظهم للحديث والفقه إسحاق بن راهويه، إلا أن أحمد بن حنبل كان عندي أعلم بعلل الحديث من إسحاق، وجمع أحمد المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر.

نصر بن علي

- عن نصر بن علي، قال: كان أحمد بن حنبل أفضل أهل زمانه.

أبو مَعمر إسماعيل بن إبراهيم الهذلي القطيعي

- عن أبي الأزهر الرقي بكر بن محمد، قال: سمعت أبا مَعْمَر منذ أربع وثلاثين سنة -أو أكثر- يقول: ما رأيت منذ خمسين سنة مثل أحمد بن حنبل مذ كان غلاماً إنما كان يتزيد.

عمرو بن محمد النَاقد

- عن عمرو الناقد قال: إذا وافقني أحمد بن حنبل على حديث فلا أبالي من خالفني.

أحمد بن الحجاج

- عنه، قال: لم تر عيني مثل أحمد بن حنبل قط، لو كان في زمن ابن المبارك كنا نؤثره عليه.

محمد بن مهران الجمال

- عنه، وذكر أحمد بن حنبل، فقال: ما بقي غيره، إني لأدير قلبي

نحو مكة والمدينة فيرجع إليه، وأديره نحو البصرة والكوفة فيرجع إليه، وأديره نحو الشام والجزيرة فيرجع إليه، وأديره نحو خراسان فيرجع إليه.

محمد بن مسلم بن واره القومسي

- عنه، قال: أحمد بن صالح بمصر، وأحمد بن حنبل ببغداد، والنفيلي بحران، ومحمد بن عبد الله بن نمير بالكوفة، هؤلاء أركان الدين.

- وعن ابن أبي حاتم، قال: سمعت محمد بن مسلم بن واره - وسئل عن علي بن المديني ويحيى بن معين - أيهما كان أحفظ؟ قال: كان علي أسرد وأتقن، ويحيى أفهم بصحيح الحديث وسقيمه، وأجمعهما كان أبو عبد الله أحمد بن حنبل، كان صاحب فقه، وصاحب حفظ، وصاحب معرفة.

أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل النفيلي

- عنه، قال: كان أحمد بن حنبل من أعلام الدين.

محمد بن مصعب العابد

- عنه، قال: لسوط ضُرب به أحمد بن حنبل في الله أكبر من أيام بشر بن الحارث.

الحسن بن محمد بن الصباح البزار

- عن أبي حاتم، قال: كان الحسن بن محمد بن الصبَّاح إذا بلغه أن إنسانا ذكر أحمد بن حنبل جمع المشايخ وأتاه وقال: أستعدي عليه.

- وعن الحسن، قال: أحمد بن حنبل شيخنا وسيدنا.

يعقوب بن سفيان

- عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن إسحاق النهاوندي، قال: سمعت يعقوب بن سفيان، يقول: كتبت عن ألف شيخ، حجتي فيما بيني وبين الله تعالى رجلان، قلت له: يا أبا سفيان، من حجتك؟ وقد كتبت عن الأنصاري، وحبان بن هلال، والأجلَّة، قال: حجتي أحمد بن حنبل، وأحمد بن صالح المصري.

محمد بن يحيى الأزدي البصري

- عنه، قال: إنا نقول بقول أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وإنه إمامنا وهو بقية المؤمنين، ولا نخالفه وقد رضينا به إماما، فيه خلف من العلماء، ونتبرأ ممن خالفه، فليس يخالفه إلا مخذول مبتدع.

أبو همام الوليد بن شجاع السكوني

- عن، قال: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، ولا أرى أحد مثله.

أبو عمير بن النحاس الرملي الفلسطيني

- عنه وذكر أحمد بن حنبل، قال: رَحِمَهُ اللَّهُ؛ عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عُرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.

- وعن أبي حاتم، قال: كان أبو عمير بن النحاس الرملي من عُبَّاد المسلمين، فدخلت عليه يوماً فقال لي: كتبتَ عن أحمد بن حنبل شيئًا؟ قلت: نعم، قال: فأمل علي، فأمليت عليه ما حفظت من حديث أحمد بن حنبل، ثم سألني فقرأت عليه.

محمد بن إبراهيم البُوشَنْجي

- عنه، قال: ما رأيت أجمع في كل شيء من أحمد بن حنبل، ولا أعقل.

- وعنه، وذكر أحمد بن حنبل، فقال: هو عندي أفضل وأفقه من سفيان الثوري، وذلك أن سفيان لم يُمتحن من الشدة والبلوى بمثل ما امتحن به أحمد، ولا عِلْمُ سفيان ومن تقدم من فقهاء الأمصار كعلم أحمد بن حنبل، لأنه كان أجمع لها وأبصر بمتقنيهم، وغالطيهم، وصدوقهم، وكذوبهم منه. ولقد بلغني عن بشر بن الحارث أنه قال: قام أحمد مقام الأنبياء، وأحمد عندنا امتُحِن بالسراء والضرء، وتداوله أربعة خلفاء، بعضهم بالضراء، وبعضهم بالسراء، فكان فيها مُستعصماً بالله ﷻ.

تداوله المأمون والمعتصم والواثق، بعضهم بالضرب والحبس وبعضهم بالإخافة والترهيب، فما كان في هذه الحال إلَّا سليم الدين غير تارك له من أجل ضرب ولا حبس. ثم امتحن أيام المتوكل بالتكريم والتعظيم وبسطت الدنيا عليه فما تركن إليها، ولا انتقل عن حالته الأولى رغبة في الدنيا ولا رغبة في الذكر، فهذه الحالات لم يمتحن بمثلها سفيان. ولقد حكي لنا عن المتوكل أنه قال: إن أحمد ليمنعنا من بر ولده.

حجاج بن الشاعر

- عن حجاج، قال: ما كنت أحب أن أُقتل في سبيل الله ولم أصل على أحمد بن حنبل.

- وعنه، قال: منَّ الله على هذه الأمة بأحمد بن حنبل، ثبت في القرآن ولولاه لهلك الناس.

- وعنه، قال: قبَّلت يوماً بين عيني أحمد بن حنبل، وقلت: يا أبا عبد الله، بلَّغك الله مبلغ سفيان ومالك، ولم أظن في نفسي أني بقيت غاية، فبلغ والله في الإمامة أكثر من مبلغهما.

- وعنه ومرَّ به المرُّوذي فقام إليه، وقال: سلام عليك يا خادم الصديقين.

- وعنه، يقول: ما رأت عيناي روحا في جسد أفضل من أحمد بن حنبل.

- وعنه، قال: كنت أكون عند أحمد بن حنبل فأنصرف بالليل، فأذكره في الطريق فأبكي -أو قال-: فيجيئني البكاء شوقا إليه.

إبراهيم بن عَرْعَرة

- عنه وذكروا علي بن عاصم، فقال: أحمد بن حنبل يضعِّفه. فقال رجل: وما يضره من ذلك إذا كان ثقة؟ فقال إبراهيم بن عرعرة: والله لو تكلم أحمد بن حنبل في علقمة والأسود لضرَّهما.

إسماعيل بن خليل

- عنه، قال: لو كان أحمد بن حنبل في بني إسرائيل، لكان آيةً.

علي بن شعيب الطوسي

- عن علي بن شعيب، قال: كان أحمد بن حنبل عندنا المثَل الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل حتى إن**

المنشار ليوضع على مفرق رأسه ما يصرفه ذلك عن دينه»، ولولا أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل قام بهذا الشأن لكان عارا علينا إلى يوم القيامة، أن قوما سبكوا فلم يخرج منهم أحد.

محمد بن نصر المروَزي

- عن أبي العباس محمد بن عثمان بن سلم، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن نصر المروزي - وقلت له -: لقيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل؟ فقال: صرت إلى داره مرارا واجتمعت معه، وسألته عن مسائل، فقيل له:

كان أحمد أكثر حديثًا أم إسحاق بن راهويه؟ فقال: أحمد، فقلت له: فأحمد كان أضبط أم إسحاق؟ فقال: أحمد، فقيل: أكان أحمد أفقه أم إسحاق؟ فقال: أحمد، فقيل له: كان أحمد أورع أم إسحاق؟ فقال: أي شيء تقول؟! أحمد فاق أهل زمانه.

أبو عمير الطالقاني عن مشايخه

- عنه، يقول: سمعتهم يقولون: أحمد بن حنبل قرة عين المسلمين والإسلام.

فصل

قال أبو الفرج: وقد روى عن جماعة المشايخ والنظراء والمقارنين والأتباع مدحُ أحمدَ بن حنبل. فالرجل - بحمد الله - مسألة إجماع أقر له الكل حتى الخصوم.

- عن إدريس بن عبد الكريم المقرئ، قال: رأيت علماءنا مثل الهيثم

بن خارجة، ومصعب الزبيري، ويحيى بن معين، وأبي بكر بن أبي شيبة، وعثمان بن أبي شيبة، وعبد الأعلى بن حماد النرسي، ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وعلي بن المديني، وعبيد الله بن عمر القواريري، وأبي خيثمة زهير بن حرب، وأبي معمر القطيعي، ومحمد بن جعفر الوركاني، وأحمد بن محمد بن أيوب صاحب المغازي، ومحمد بن بكار الريان، وعمرو بن محمد الناقد، ويحيى بن أيوب المقابري العابد، وشريح بن يونس، وخلف بن هشام البزاز، وأبي الربيع الزهراني، فيمن لا أحصيهم من أهل العلم والفقه يعظِّمون أحمد بن حنبل ويُجلُّونه ويوقرونه ويبجلونه، ويقصدونه للسلام عليه.

- وعن عبد بن حميد، يقول: كنا في مسجد وأصحاب الحديث يتذاكرون وأحمد يومئذ شاب إلا أنه المنظور إليه من بينهم.

- وعن محمد بن مسلم، قال: انصرفت من عند الهيثم بن جميل أريد محمد بن المبارك الصوري، فأتاني نعي أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، وقيل لي: صلى عليه أحمد بن حنبل. قال أبو محمد: كان علماء حمص متوافرين في ذلك الزمان، فقدموا أحمد بن حنبل وهو شاب لجلالته عندهم.

- وعن محمد بن شدَّاد، قال: كنا على باب إسماعيل بن عُلية جماعة، منهم أسود بن سالم وجماعة من أصحاب الثوري، إذ طلع أحمد بن حنبل فجاء وسلم، فسألوه عن مسألة فأجاب، فلما ولى، أجمع القوم أنه ما يأتي باب إسماعيل بن علية رجل أفضل منه.

❐ ❐ ❐

الباب الرابع عشر
في ذكر ثناء كبار أتباعه عليه بما عرفوه منه في صحبته

أبو داود السجستاني

- عن أبي داود، قال: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة.

- وعنه، قال: لقيت مئتين من مشايخ العلم، فما رأيت مثل أحمد بن حنبل، لم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس، فإذا ذُكر العلم تكلم.

إبراهيم الحربي

- عنه إبراهيم الحربي، قال: أنا أقول سعيد بن المسيب في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه، وأحمد بن حنبل في زمانه.

- وعنه، قال: انتهى علم رسول الله ﷺ ما رواه أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة وأهل الشام إلى أربعة، انتهى إلى أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب، وأبي بكر بن أبي شيبة، قال إبراهيم: وكان أحمد أفقه القوم.

- وعن محمد بن عبد الله الشافعي: لما مات سعيد بن أحمد بن حنبل، جاء إبراهيم الحربي إلى عبد الله بن أحمد، فقام إليه عبد الله فقال: تقوم إلي، فقال: لم لا أقوم إليك، والله لو رآك أبي لقام إليك. فقال إبراهيم: والله لو رأى ابن عيينة أباك لقام إليه.

- وعن إبراهيم الحربي، قال: يقول الناس: أحمد بن حنبل بالتوهم، والله ما أجد لأحد من التابعين عليه مزية، ولا أعرف أحدًا يقدر قدره، ولا يعرف من الإسلام محله، ولقد صحبته عشرين سنة صيفا وشتاءً، حرًا وبردًا، ليلاً ونهارًا، فما لقيته لقاة في يوم إلا وهو زائد عليه بالأمس، ولقد كان يقدم أئمة الإسلام والعلماء من كل بلد، وإمام كل مصر منهم بجلالتهم ما دام الرجل منهم خارجا من المسجد، فإذا دخل المسجد صار غلامًا متعلمًا.

- وعن أبي بكر محمد بن أيوب العُكْبَري، قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: التابعون كلهم عندي واحد، وآخرهم أحمد بن حنبل - وهو عندي أجلهم - يقولون: من حلف بالطلاق أن لا يفعل شيئًا ثم فعله وهو ناس، كلهم يلزمونه الطلاق.

وسئل إبراهيم عن القوم يصلون عُراة إذا انكسرت بهم السفينة، فقال: أما التابعون يقولون - وأحمد وهو سيدهم يقول معهم -: يصلون وإمامهم وسطهم يومئون إيماء لا يركعون ولا يسجدون، وأنا لا أعبأ بمن خالف التابعين وأحمد معهم.

- وعن إبراهيم الحربي، قال: قد رأيت رجالات الدنيا لم أر مثل ثلاثة: أحمد بن حنبل - وتعجز النساء أن تلد مثله - ورأيت بشر بن الحارث من قرنه إلى قدمه مملوءا عقلاً، ورأيت أبا عبيد القاسم بن سلَّام كأنه جبل نفخ فيه علم. قال عمر بن أحمد: رأى الثلاثة ولم يُحدث إلا عن أحمد.

أبو بكر الأثرم

- عن أبي بكر الأثرم، قال: ناظرت رجلاً فقال لي: من قال بهذه المسألة؟ فقلت: من ليس في شرق ولا غرب مثله، قال: من؟ قلت: أحمد بن حنبل.

عبد الوهاب الوراق

- عنه، قال: لما قال النبي ﷺ: «فردوه إلى عالمه» رددناه إلى أحمد بن حنبل، وكان أعلم أهل زمانه.

- وعنه، قال: أبو عبد الله إمامنا وهو من الراسخين في العلم، إذا وقفت غدا بين يدي الله ﷻ، فسألني: بمن اقتديت؟ أقول: بأحمد بن حنبل. وأي شيء ذهب على أبي عبد الله من أمر الإسلام وقد بلي عشرين سنةً في هذا الأمر.

- وعنه، قال: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل. قيل له: وأي شيء بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت؟ قال: رجل سئل عن ستين ألف مسألة فأجاب فيها بأن قال: حدثنا وأخبرنا.

مهنا بن يحيى الشامي

- عن مهنا، قال: ما رأيت أحدًا أجمع لكل خير من أحمد بن حنبل، وقد رأيت سفيان بن عيينة، ووكيعًا، وعبد الرازق، وبقية بن الوليد، وضمرة بن ربيعة، وكثيرا من العلماء؛ فما رأيت مثل أحمد بن حنبل في علمه وفقهه وزهده وورعه.

قال أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله: اقتصرنا على هؤلاء لقلة

ما يروون عنه من زهده وتعبده وتركنا من يروي الكثير كالمروذي؛ لأن ما يرويه يأتي في غضون الكتاب إن شاء الله تعالى.

❐ ❐ ❐

الباب الخامس عشر
في ذكر تنويه ذكره

قال ابو الفرج: قد ذكرنا في منشئه أنه كان مرتفع الذكر في زمن الصبا.

- عن أبي بكر المروذي، قال: قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعي لك!

قال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، بأي شيء هذا؟ وقلت لأبي عبد الله: إن رجلاً قدم من طرسوس فقال لي: إنا كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل رفعوا أصواتهم بالدعاء: ادعوا الله لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق ونرمي عنه، ولقد رمي عنه بحجر والعلج على الحصن متترس بدرقة، فذهب برأسه وبالدرقة، فتغير وجهه، وقال: ليته لا يكون استدراجا؛ ثم قال: ترى هذا استدراجا؟ قلت له: كلا.

قال الخلال: وحدثنا أحمد بن علي الأبار، قال: سرنا في نهر بلخ أياما وفني زادنا فخرجت إلى نحو بخارى أشتري طعاما، فإذا رجل أشقر أحمر فقال: يا فتيان من أنتم؟ قلنا: من أهل بغداد، قال: فما فعل أحمد بن حنبل؟ قلنا: تركناه في الحياة، فرفع رأسه يقول: اللهم - يدعو له - فقلت لرفيقي: بقي لك شيء؟ هذا أقصى عمل الإسلام، هذا موضع الترك.

قال الخلال: وحدثنا أبو بكر المروذي قال: قلت لأبي عبد الله: إن رجلاً قال لي: إنه من بلاد الترك إلى هاهنا يدعون لك، فكيف تؤدي شكر ما أنعم الله عليك وما بث لك في الناس؟ فقال: أسأل الله ألا يجعلنا مرائين.

- وعن محمد بن سعيد الترمذي قال: كنا عند وهب بن جرير وثم أبو عبد الله، فقال لي: اقرأ، فلم أقرأ، فقيل له: ولم؟ قال: كرهت أن أقرأ، فيقول شيئًا، أو يظهر منه شيء يُتحدث به.

قال الخلال: أخبرني أحمد بن الحسين بن حسان قال: سمعت رجلاً من خراسان، يقول: عندنا بخراسان يرون أن أحمد بن حنبل لا يشبه البشر يظنون أنه من الملائكة.

قال الخلال: وحدثنا أبو بكر المروذي، قال: سمعت علي بن الجهم يقول: كنت ناشئا شابا، فرأيت الناس يمرون أفواجا، فسألت، فقالوا: هاهنا رجل رأى أحمد بن حنبل، فقلت له: أرأيت أحمد بن حنبل؟ فقال: صليت في مسجده.

قال المروذي: وسمعت نوح بن حبيب القومسي يقول: إن امرأتين مجوسيتين وقع بينهما اختلاف في ميراث، فاحتكمتا إلى عالم، فقضى على إحداهن، فقالت: إن كنت قضيت بقضاء أحمد بن حنبل قبلت؛ وإلا لم أرض، فقال: نعم بقضاء أحمد بن حنبل، فقبلت.

قال المروذي: رأيت بعض النصارى المطببين قد خرج من عند أبي عبد الله ومعه بعض القسيسين -أو الرهبان- فسمعت المتطبب يقول: إنه سألني أن يجيء معي حتى ينظر إلى أبي عبد الله.

قال المروذي: وأدخلت نصرانيًا على أبي عبد الله يعالجه، فقال: يا أبا عبد الله، إني أشتهي أن أراك منذ سنتين، وليس بقاؤك صلاح أهل الإسلام وحدهم، بل هو للخلق جميعا، وليس من أصحابنا أحد إلا قد رضي بك.

قال المرُّوذي: فقلت لأبي عبد الله: إني لأرجو أن يكون يدعى لك في جميع الأمصار، فقال: يا أبا بكر، إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس.

- وعن محمد بن عبد الله الصيرفي، قال وهو يخاطب المتعلمين لمذهب الشافعي: اعتبروا بهاذين: حسين الكرابيسي، وأبي ثور؛ والحسين في علمه وحفظه، وأبو ثور لا يعشره في علمه، فتكلم فيه أحمد بن حنبل في باب اللفظ فسقط، وأثنى على أبي ثور فارتفع للزومه السنة.

- وعن إسحاق بن راهويه، قال: دخلت على عبد الله بن طاهر، فقال لي: ما رأيتُ أعجب من هؤلاء المرجئة، يقول أحدهم: إيماني كإيمان جبريل، والله ما أستجيز أن أقول: إيماني كإيمان يحيى، ولا كإيمان أحمد بن حنبل.

- وعن محمد بن يحيى، قال: ما رأيت بِرا أنفق من بر أحمد بن حنبل، كنت أسمع منه بالغداة وأملي بالعشي.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: لما قدمت صنعاء اليمن أنا ويحيى بن معين في وقت صلاة العصر، فسألنا عن منزل عبد الرزاق، فقيل: إنه بقرية يقال لها الرمادة، فمضيت لشهوتي للقائه، وتخلف يحيى بن معين، وبينها وبين صنعاء قريب، حتى إذا سألت عن منزله، قيل: هذا منزله، فلما ذهبت أدق الباب، قال لي بقال تجاه داره: لا تدق فإن الشيخ مهوب؛ فجلست حتى إذا كان قبل صلاة المغرب خرج لصلاة المغرب، فوثبت إليه وفي يدي أحاديث قد انتقيتها، فقلت له: سلام عليكم، تحدثني بهذه رحمك الله، فإني رجل غريب، فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا أحمد بن حنبل، قال: فتقاصر ورجع وضمني إليه،

وقال: بالله أنت أبو عبد الله؟ ثم أخذ الأحاديث، فلم يزل يقرؤها حتى أشكل علي الظلام، فقال للبقال: هلم المصباح، حتى خرج وقت المغرب - وكان يؤخرها - قال عبد الله: فكان أبي إذا ذكر أنه نُوِّه باسمه عند عبد الرزاق بكى.

- وعن أبي العباس الحطاب، قال: كتبت رقاعاً والناس يومئذ متوافرون، أسود بن سالم، وبشر بن الحارث، وأحمد بن حنبل - وذكر جماعة - وكتبت اسم كل رجل في رقعة، وصليت ركعتين ودعوت الله ﷻ أن يخرج لي رجلاً أقتدي به وخلعت الرقاع وجعلتها تحت شيء؛ ثم ضربت بيدي، فخرج أحمد بن حنبل، فبقيت أعجب. ثم صليت ركعتين وذكرت الله، وخلطت الرقاع، فخرج أحمد بن حنبل حتى فعلت الثالثة كذلك.

❐ ❐ ❐

الباب السادس عشر
في ذكر اعتقاده في الأصول

■ سياق مذهبه في الإيمان:

- عن أحمد، قال: الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص، البر كله من الإيمان، والمعاصي تنقص من الإيمان.

■ سياق قوله في القرآن:

- وعنه وسئل عمن يقول: إن القرآن مخلوق؟ فقال: كافر. وفي رواية: فقال: كفر. وفتح الكاف. وفي رواية: فقال: ك ف ر - مقطع -.

- وعنه، وسئل عمن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؟ فقال: جهمي.

- وعنه وسئل: القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود؟ فقال: منه بدأ علمه، وإليه يعود حكمه.

- وعن صالح بن أحمد، قال: تناهى إلي أن أبا طالب يحكي عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فأخبرت أبي بذلك، فقال: من أخبرك؟ فقلت: فلان، فقال: ابعث إلى أبي طالب، فوجهت إليه، فجاء وجاء فوران، فقال له أبي: أنا قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟! وغضب، وجعل يرعد. فقال: قرأت عليك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فقلت لي: ليس هذا بمخلوق، فقال له: فَلِمَ حكيت عني أني قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني أنك وضعت ذلك في كتاب وكتبت به إلى قوم، فإن كان في كتابك فامحه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت لهم أني لم أقل ذلك.

فجعل فوران يعتذر إليه، وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد -

أبو طالب - فذكر أنه قد كان حك ذلك من كتابه، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي في الحكاية.

■ **سياق مذهبه في الصفات:**

- عن عبد الله بن أحمد، قال: قال أبي: هذه الأحاديث نرويها كما جاءت.

- وعن أحمد بن حنبل، قال: من صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة، إرجاء ما غاب عنه من الأمور إلى الله، كما جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ: «**إن أهل الجنة يرون ربهم**»، فيصدقها ولا يضرب لها الأمثال، هذا ما اجتمع عليه العلماء في الآفاق.

■ **سياق مذهبه في الكلام وأهله:**

- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كتب أبي إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان: لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب أو حديث عن رسول الله ﷺ، أو عن أصحابه، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود.

- وعن أحمد، قال: لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة.

■ **سياق مذهبه في أهل البدع من الجهمية واللفظية والواقفة والقدرية:**

- عن أحمد، قال: اللفظية شر من الجهمية.

قال ابن الليث: وسُئل أحمد بن حنبل - وأنا حاضر - عن الواقفة، فقال: الواقفة والجهمية واللفظية عندنا سواء.

- وعنه، يقول: إذا صليت وبجنبك جهمي فأعد[١].

- وعن سلمة بن شبيب، قال: قلت لأحمد: الواقفة[٢] كفار؟ فقال: كفار. وفي رواية أنه قال: الواقفي لا تشكن في كفره.

- وعن أحمد، قال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي.

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: قلت لأحمد: إن الكرابيسي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق. قال: كذب الخبيث هتكه الله، قد خلَف هذا بِشرًا المَريسي.

- وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، قال: سُئل أحمد بن حنبل عمن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، أيصلى خلفه؟ قال: لا يصلى خلفه، ولا يجالس ولا يكلم، ولا يصلى عليه.

- وعن أحمد، قال: علماء المعتزلة زنادقة.

- وعن صالح بن أحمد، قال: سئل أبي: يصلي الرجل خلف القدري؟ فقال: إذا قال: إن الله لا يعلم ما يعمل العباد حتى يعملوا، فلا يصلى خلفه، ولا يصلى خلف الرافضي، إذا كان يتناول أصحاب رسول الله ﷺ.

وسمعت أبي يقول: افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: كلام الله وسكتوا، وفرقة قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق. قلت لأبي: فلا يكلم من وقف؟ قال: لا يكلَّم. قلت:

---

(١) هذا ينفع للمنفرد خلف الصف إذا صلى بجواره جهمي يعيد، لأن الجهمي كافر فكأنه صلى منفردا، هذا عند من يرى عدم صحة صلاة المنفرد خلف الصف، والله أعلم.

(٢) الواقفة من يقف في القرآن، يقول: أقول: كلام الله ولا أقول مخلوق ولا غير مخلوق، وهو كافر إن كان وقفه شكاً، وإن كان ورعا مع اعتقاده أنه كلام الله غير مخلوق فهو مبتدع لخلافه الإجماع على اللفظ.

فإن كلمه رجل؟ قال: تأمره، فإن ترك كلامه كلمته، وإن لم يترك كلامه، فلا تكلمه.

وقال أبي: لا يصلى خلف من قال: القرآن مخلوق، فإن صلى رجل أعاد، ولا خلف واقفي، ولا خلف لفظي.

- وعن أبي علي الحسين بن أحمد بن الفضل البلخي، قال: دخلت على أحمد بن حنبل، فجاء رسول الخليفة يسأله عن الاستعانة بأصحاب الأهواء؟ فقال أحمد: لا يستعان بهم. قال: فيستعان باليهود والنصارى ولا يستعان بهم؟! قال: لا[(١)]، لأن اليهود والنصارى لا يدعون إلى أديانهم، وأصحاب الأهواء داعية.

■ سياق كلامه في تفضيل الصحابة:

- عن أحمد بن حنبل - وسئل عن التفضيل - فقال: على حديث - ابن عمر[(٢)]. والخلافة على حديث سفينة[(٣)]: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي. فقال له من سأله: هذا حشرج؟ فقال: لا، حماد بن سلمة.

يعني أن حماد بن سلمة، وحشرج بن نباتة، رويا هذا الحديث - حديث سفينة - وفي حشرج غمص، حماد بن سلمة إمام.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سألت أبي عن الشهادة لأبي بكر وعمر أنهما في الجنة؟ قال: نعم، اذهب إلى حديث سعيد بن

(١) أي: لا يستعان بهم.

(٢) الحديث سيأتي في رواية عبدوس العطار قريبا إن شاء الله، وأصله في البخاري.

(٣) حديث سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء**»، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم، زاد الترمذي وغيره: قال سفينة: أمسك عليك خلافة أبي بكر رضي الله عنه سنتين، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشر سنة، وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين. وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي. (ح) (ت).

زيد، قال: أشهد أن النبي ﷺ في الجنة، وكذلك أصحاب النبي ﷺ التسعة. وقال النبي ﷺ: «**أهل الجنة عشرون ومئة صف، ثمانون منها أمتي**» فإذا لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منهم فمن يكون؟!

- وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، يقول: قال أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن إذا رأيت رجلاً يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام.

- وعن أبي بكر المروذي قال: قال أحمد بن حنبل: لما مرض رسول الله ﷺ قَدَّم أبا بكر ليصلي بالناس، وقد كان في القوم من هو أقرأ منه، وإنما أراد الخلافة.

- وعن عبدوس بن مالك العطَّار، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: خير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نُقدم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة: علي، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وكلهم يصلح للخلافة؛ وكلهم إمام. نذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر: «كنا نعدُّ ورسول الله ﷺ حي، وأصحابه متوافرون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت». ثم من بعد أصحاب الشورى أهل بدر من المهاجرين ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ على قدر الهجرة السابقة أولا فأولا، ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذين بعث فيهم، كل من صحبه سنة، أو شهرا، أو يوما، أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه؛ وكانت سابقته معه، وسمع منه ونظر إليه نظرة، فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين

لم يروه، ولو لقوا الله بجميع أعمالهم، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه أفضل - لصحبتهم - من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير، ومن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله، أو أبغضه لحدث منه، أو ذكر مساويه، كان مبتدعًا حتى يترحم عليهم جميعًا، ويكون قلبه لهم سليمًا.

■ **سياق مذهبه في تقديم عثمان على علي عليه السلام:**

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: سئل أبي - وأنا شاهد - عمن يقدِّم عليا على عثمان يُبدَّع؟ فقال: هذا أهل أن يُبدَّع، أصحاب رسول الله ﷺ قدموا عثمان رضي الله عنه.

- وعن عمرو بن عثمان الحمصي، قال: لما حمل أحمد بن حنبل من العسكر إلى الروم، نزل هاهنا حمص، قال: فدخلت عليه فقلت: يا أبا عبد الله، ما تقول في علي وعثمان؟ فقال: عثمان ثم علي. ثم قال: يا أبا حفص، من فضَّل عليا على عثمان، فقد أزرى بأصحاب الشورى.

- وعن محمد بن عوف، قال: سألت أحمد بن حنبل: ما تقول في التفضيل؟ فقال: من فضل عليا على أبي بكر، فقد طعن على رسول الله ﷺ، ومن قدم عليا على عمر، فقد طعن على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر، ومن قدم عليًا على عثمان، فقد طعن على رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعلى المهاجرين، ولا أحسب يصلح له عمل.

■ **سياق كلامه في علي رضي الله عنه، وأهل البيت:**

- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كنت بين يدي أبي جالسًا ذات يوم، فجاءت طائفة من الكرخية فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر

وخلافة عثمان فأكثروا، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب فزادوا وأطالوا، فرفع أبي رأسه إليهم فقال: يا هؤلاء، قد أكثرتم القول في علي والخلافة، إن الخلافة لم تزيِّن عليا بل علي زيَّنها. قال السياري: فحدثت بهذا بعض الشيعة، فقال لي: قد أخرجت نصف ما كان في قلبي على أحمد بن حنبل من البغض.

- وعنه، قال: حدث أبي بحديث سفينة فقلت: يا أبه، ما تقول في التفضيل؟ قال: في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان. فقلت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: يا بني، علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحدًا.

- عن أبي سعيد هشام بن منصور البُخاري، يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: من لم يثبت الإمامة لعلي، فهو أضل من حمار أهله.

- وعن حنبل، قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: خلافة علي ﷺ هل هي ثابتة؟ فقال: سبحان الله! يقيم عليٌّ الحدود، ويقطع، ويأخذ الصدقة ويقسمها بلا حق وجب له! أعوذ بالله من هذه المقالة؛ نعم خليفة رضيه أصحاب رسول الله ﷺ، وصلوا خلفه، وغزوا معه، وجاهدوا، وحجوا، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين راضين بذلك غير منكرين، فنحن تبع لهم.

■ سياق قوله فيما شجر بين الصحابة:

- عن أبي بكر المرُّوذي، قال: قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل ونحن بالعسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ فقال أبو عبد الله: ما أقول فيهم إلا الحسنى.

قال المروذي: وسمعت أبا عبد الله وذُكر له أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: رحمهم الله أجمعين، ومعاوية وعمرو بن العاص،

وأبو موسى الأشعري، والمغيرة كلهم وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩].

- وعن إبراهيم بن آزر الفقيه، قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه، فقيل له: يا أبا عبد الله، هو رجل من بني هاشم. فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

■ سياق كلامه في الرافضة:

- عن عبد الله قال: قلت لأبي: من الرافضي؟ قال: الذي يَشتِم ويَسب أبا بكر وعمر.

قال: وسألت أبي عن رجل شتم رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: ما أراه على الإسلام.

■ سياق جمل من اعتقاده:

- عن محمد بن حميد الأندَراني، قال: قال أحمد بن حنبل: صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل، وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه، ولم يشك في إيمانه، ولم يكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله، وفوض أمره إلى الله، ولم يقطع بالذنوب، العصمة من عند الله، وعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره الخير والشر جميعا، ورجا لمحسن أمة محمد، وتخوف على مسيئهم، ولم ينزل أحدا من أمة محمد بالإحسان، ولا النار بذنب اكتسبه، حتى يكون الله الذي ينزل خلقه حيث يشاء، وعرف حق السلف

الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وقدَّم أبا بكر وعُمر، وعثمان وعرف حق علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمر بن نفيل، على سائر الصحابة، فإن هؤلاء التسعة الذين كانوا مع النبي ﷺ على جبل حراء فقال النبي ﷺ: «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» والنبي ﷺ عاشرهم. وترحم على جميع أصحاب محمد صغيرهم وكبيرهم، وحدث بفضائلهم، وأمسك عما شجر بينهم، وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كل أمير، بر أو فاجر، والمسح على الكفين في السفر والحضر، والتقصير في السفر، والقرآن كلام الله وتنزيله وليس بمخلوق، والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، والجهاد منذ بعث الله محمدًا إلى آخر عصابة قاتلون الدجال، لا يضرهم جور جائر، والشراء والبيع حلال إلى يوم القيامة على حكم الكتاب والسنة، والتكبير على الجنائز أربعًا، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في فتنة وتلزم بيتك، والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكر ونكير، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى وأن الموحدين يخرجون من النار بعدما امتحشوا، كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي ﷺ نصدقها ولا نضرب لها الأمثال، هذا ما اجتمع عليه السلف من العلماء في الآفاق.

- وعن الحسن بن إسماعيل الرَّبعي، قال: قال لي أحمد بن حنبل إمام أهل السنة، والصابر لله ﷻ تحت المحنة: أجمع سبعون رجلاً من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنَّة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها الرضا بقضاء الله والتسليم لأمره، والصبر تحت

حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى عنه؛ وإخلاص العمل لله، والإيمان بالقدر خيره وشره، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين، والمسح على الخفين، والجهاد مع كل خليفة بر وفاجر، والصلاة على من مات من أهل القبلة، والإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والقرآن كلام الله منزل على قلب نبيه ﷺ غير مخلوق من حيث ما تلي، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ولا نكفر أحدا من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر، والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ابن عم رسول الله ﷺ، والترحم على جميع أزواج رسول الله وأولاده وأصهاره رضوان الله عليهم أجمعين، فهذه السنة الزموها تسلموا، أخذها بركة وتركها ضلالة.

❐ ❐ ❐

الباب السابع عشر
في ذكر تمسكه بالسنة والأثر

كان ﵁ شديد الاتباع للآثار؛ حتى إنه بلغنا عن أبي الحسين المنادي أنه قال: استأذن أحمد زوجته في أن يَتسرَّى طلبًا للاتباع فأذنت له، فاشترى جارية بثمن يسير وسماها ريحانة، استنانًا برسول الله ﷺ.

- عن الحسن بن أيوب البغدادي قال: قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أحياك الله يا أبا عبد الله على الإسلام، قال: والسنة.

- وعن عبد الملك الميموني، يقول: ما رأت عيني أفضل من أحمد بن حنبل، وما رأيت أحدًا من المحدثين أشد تعظيمًا لحرمات الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ إذا صحت عنه ولا أشد اتباعًا منه.

- وعن أبي بكر الأثرم قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: إنما هو السنة والاتباع، وإنما القياس أن تقيس على أصل، أما أن تجيء إلى الأصل فتهدمه ثم تقول: هذا قياس، فعلى أي شيء كان هذا القياس؟

قيل لأبي عبد الله: لا ينبغي أن يقيس إلَّا رجل عالم كبير يعرف كيف يشبه الشيء بالشيء، قال: أجل، لا ينبغي، ورأيت أبا عبد الله فيما سمعنا منه من المسائل، إذا كان في المسألة عن النبي ﷺ حديث لم يؤخذ فيها بقول أحد من الصحابة ولا من بعده خلافه، وإن كان في المسألة عن أصحاب رسول الله ﷺ قول مختلف، تخير من أقاويلهم، ولا يخرج من أقاويلهم إلى أقاويل من بعدهم، وإن لم يكن فيها عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه قول، تخير من أقوال التابعين، وربما كان الحديث عن النبي ﷺ وفي إسناده شيء فيؤخذ به إذا لم يجئ خلافه

أثبت منه، مثل حديث عمرو بن شعيب، ومثل حديث إبراهيم الهجري، وربما أخذ بالحديث إذا لم يجئ خلافه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: خرجت مع أبي عبد الله أحمد بن حنبل إلى المسجد، فلما دخل قام ليركع؛ فرأيته وقد أخرج يده من كمه وقال هكذا -وأومأ بأصبعيه يحركهما- فلما قضى الصلاة قلت: يا أبا عبد الله، رأيتك تومئ بأصبعيك وأنت تصلي؟ قال: إن الشيطان أتاني فقال: ما غسلت رجليك، قلت: بشاهدين عدلين.

- وعن الميموني، قال: قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام.

- وعن عبد الرحمن الطبيب، قال: اعتل أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث، فكنت أدخل على بشر فأقول: كيف تجدك؟ فيحمد الله ثم يخبرني فيقول: أحمد الله إليك أجد كذا وكذا. وأدخل على أبي عبد الله أحمد بن حنبل فأقول: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ فيقول: بخير، فقلت له يومًا: إن أخاك بشرًا عليل، وأسأله عن حاله فيبدأ بحمد الله ثم يخبرني، فقال لي: سله عمن أخذ هذا؟ فقلت له: إني أهاب أن أسأله، فقال: قل له: قال لك أخوك أبو عبد الله: عمن أخذت هذا؟ قال: فدخلت إليه فعرفته ما قال، فقال لي: أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بإسناده؛ عن ابن عون، عن ابن سيرين: إذا حمد الله العبد قبل الشكوى لم تكن شكوى، وإنما أقول لك: أجد كذا أعرف قدرة الله في. قال: فخرجت من عنده فمضيت إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال، فكنت بعد ذلك إذا دخلت إليه يقول: أحمد الله إليك، ثم يذكر ما يجده.

- وعن المروذي، قال: قال لي أحمد: ما كتبت حديثا عن النبي ﷺ

إلا وقد عملت به؛ حتى مر بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطيت الحجام دينارًا حين احتجمت.

- وعن أبي يعقوب إسحاق بن حبة الأعمش، قال: سمعت أحمد بن حنبل سُئل عن الوساوس، والخطرات، فقال: ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون.

❐ ❐ ❐

الباب الثامن عشر
في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل

- عن أبي إسماعيل محمد بن إسماعيل يقول: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل؛ فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قُتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال: قوم سوء. فقام أحمد وهو ينفض ثوبه فقال: زنديق، زنديق، زنديق، ودخل بيته.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قلت لأبي عبد الله: من مات على الإسلام والسنة مات على خير؟ فقال لي: اسكت، من مات على الإسلام والسنة فقد مات على الخير كله.

- وعن موسى بن هارون البزاز، قال: سئل أحمد بن حنبل فقيل له: يا أبا عبد الله، أين نطلب البدلاء؟ قال: فسكت ساعة حتى ظننا أنه لا يجيب، ثم قال: إن لم يكن في أصحاب الحديث فلا أدري.

- وعن الفضل بن أحمد الزبيدي، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول، وقد أقبل أصحاب الحديث بأيديهم المحابر، فأومأ إليها وقال: هذه سرج الإسلام.

- وعن أبي عمران المكي قال: رأى أحمد بن حنبل أصحاب الحديث وقد خرجوا من عند محدث والمحابر بأيديهم، فقال أحمد: إن لم يكونوا هؤلاء الناس فلا أدري من الناس!

- وعن عمرو بن بكار القافلاني يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إن لم يكن أصحاب الحديث الأبدال فمن يكون؟

- وعن محمد بن أحمد بن أبي الثلج، قال: حدثني جدي، قال: سألت أحمد بن حنبل قلت له: يا أبا عبد الله، أيهما أحب إليك، الرجل يكتب الحديث، أو يصوم ويصلي؟ قال: يكتب الحديث. قلت: فمن أين فضلت كتابة الحديث على الصوم والصلاة؟ قال: لئلا يقول قائل: إني رأيت قوما على شيء فتبعتهم.

- وعن الفضل بن زياد، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة.

❐ ❐ ❐

الباب التاسع عشر
في ذكر إعراضه عن أهل البدع ونهيه عن كلامهم وقدحه فيهم

- عن صالح بن أحمد قال: جاء الحزامي إلى أبي وقد كان ذهب إلى ابن أبي دؤاد، فلما خرج إليه ورآه، أغلق الباب في وجهه ودخل.

- وعن أبي داود السجستاني، قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدع، أترك كلامه؟ قال: لا، أو تعلمه أن الذي رأيته معه صاحب بدعة، فإن ترك كلامه وإلا فألحقه به، قال ابن مسعود: المرء بخدنه.

- وعن الحسن بن ثواب، قال: قال لي أحمد بن حنبل: ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان، قلت: ولم؟ قال: ظهرت بدع، فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها.

- وعن أبي علي عبيد الرحمن بن يحيى بن خاقان، قال: أمر المتوكل بمسألة أحمد بن حنبل عمن يتقلد القضاء؟ فسألته. فكتب جواباً، وهذا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم، نسخة الرقعة التي عرضتها على أحمد بن محمد بن حنبل بعد أن سألته عما فيها فأجابني عن ذلك بما قد كتبه، وأمر ابنه عبد الله أن يوقع بأسفلها بأمره، ما سألته أن يوقع فيها، سألت أحمد بن حنبل عن أحمد بن رباح، فقال فيه: أنه جهمي معروف بذلك، وإنه إن قلد شيئًا من أمور المسلمين كان فيه ضرر على المسلمين لما هو عليه من مذهبه وبدعته.

وسألته عن ابن الخلنجي، فقال فيه أيضًا مثل ما قال في أحمد بن رباح، وذكر أنه جهمي معروف بذلك، وأنه كان من شرهم وأعظمهم ضررًا على الناس.

وسألته عن شعيب بن سهل فقال فيه: جهمي معروف بذلك.

وسألته عن عبيد الله بن أحمد فقال: جهمي معروف بذلك.

وسألته عن المعروف بأبي شعيب فقال فيه: إنه جهمي معروف بذلك. وسألته عن محمد بن منصور قاضي الأهواز، فقال فيه أنه كان مع ابن أبي دؤاد وفي ناحيته وأعماله، إلا أنه كان من أمثلهم، ولا أعرف رأيه.

وسألته عن ابن علي بن الجعد فقال: كان معروفا عند الناس بأنه جهمي مشهور بذلك، ثم بلغني عنه الآن أنه رجع عن ذلك.

وسألته عن الفتح بن سهل صاحب مظالم محمد بن عبد الله ببغداد، فقال: جهمي معروف بذلك، من أصحاب بشر المريسي، وليس ينبغي أن يقلد مثله شيئًا من أمور المسلمين لما في ذلك من الضرر.

وسألته عن ابن الثلجي، فقال: مبتدع صاحب هوى. وسألته عن إبراهيم بن عتاب فقال: لا أعرفه، إلا أنه كان من أصحاب بشر المريسي، فينبغي أن يحذر ولا يقرب، ولا يقلد شيئًا من أمور الناس.

وفي الجملة: إن أهل البدع والأهواء لا ينبغي أن يستعان بهم في شيء من أمور المسلمين، فإن في ذلك أعظم الضرر علي الدين، مع ما عليه رأي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من التمسك بالسنة والمخالفة

لأهل البدع[١].

ويقول أحمد بن محمد بن حنبل: وقد سألني عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان عن جميع ما في هذا القرطاس وأجبته بما كتب به، وكنت عليل العين ضعيفًا في بدني، فلم أقدر أن أكتب بخطي، فوقع هذا التوقيع في أسفل هذا القرطاس عبد الله ابني بأمري وبين يدي، واسأل الله أن يطيل بقاء أمير المؤمنين، وأن يديم عافيته، ويحسن له المعونة والتوفيق بمنه وقدرته.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا أبي قال: قبور أهل السنة من الفساق روضة من رياض الجنة، وقبور أهل البدع من الزهاد حفرة من حفر النار.

فصل

قال ابو الفرج: وقد كان الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل لشدة تمسكه بالسنة ونهيه عن البدع يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة، وكلامه ذلك محمول على النصيحة للدين.

- عن إسماعيل بن إسحاق السراج، يقول: قال لي أحمد بن حنبل يومًا: بلغني أن الحارث هذا -يعني المحاسبي- يكثر الكون عندك؛

(١) وقد امتلأت كليات أصول الدين وغيرها بهؤلاء الأساتذة المتعاقدين وهم فلاسفة ومتكلمين أشاعرة، وأقول: يا قوم ماذا أصابكم، أين أنتم عن هؤلاء، وقد رأيت من آثارهم علي أبناء هذه البلاد أمورا فظيعة، يكفي منها تزهيدهم في علم الحديث والأثر، وإضاعة الوقت في علوم هؤلاء، وضعف الولاء والبراء، والإرجاء، والسير على غير منهج السلف، فأين حكم الشافعي في هؤلاء، وأين أحفاد أحمد والحمادين والسفيانيين، ومالك ومحمد بن الحسن والأوزاعي، وابن سيرين، فاللهم هل بلغت اللهم فاشهد.

فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه؟ فقلت: السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله، وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله، فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة، فقال: وتسأل أصحابك أن يحضروا معك، فصعدت إلى أبي عبد الله، وهو متغير الحال فقلت: كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟ قال: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل، وعلى ما وصفت من أحوالهم فلا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج.

- وعن أبي القاسم النصرباذي، يقول: بلغني أن الحارث المحاسبي تكلم في شيء من الكلام، فهجره أحمد بن حنبل فاختفى في دار ببغداد ومات فيها ولم يصل عليه إلا أربعة نفر[١].

❐ ❐ ❐

(١) تكلم الإمام الحارث في نفي الصفات الفعلية، فامر احمد بهجره، ثم جاء أن المحاسبي تاب من ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الأصل هو مما أنكره الامام أحمد على بن كلاب وأصحابه حتى على الحارث المحاسبي مع جلالة قدر الحارث، وأمر أحمد بهجره وهجر الكلابية، وقال: احذروا من حارث الآفة كلها من حارث فمات الحارث وما صلى عليه إلا نفر قليل بسبب تحذير الامام أحمد عنه، مع أن فيه من العلم والدين ما هو أفضل من عامة من وافق بن كلاب على هذا الأصل، وقد قيل إن الحارث رجع عن ذلك وأقر بأن الله يتكلم بصوت، كما حكى عنه ذلك صاحب التعرف لمذهب التصوف أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي» مجموع الفتاوى (١٢/ ٩٥).

الباب العشرون
في ذكر تبركه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم
وشعر الرسول ﷺ وقصعته

- عن صالح، قال: كنت ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحًا فيه ماء فيقرأ فيه ثم يقول: اشرب منه واغسل وجهك ويديك.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه ويقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء، ثم يشربه يستشفي به، ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في حب الماء، ثم شرب فيها، ورأيته غير مرة يشرب ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

❐ ❐ ❐

الباب الحادي والعشرون
في ذكر الوقت الذي ابتدأ فيه بالتحديث والفتوى

قال ابو الفرج: اعلم أن أحمد ﷺ كان يفتي في شبابه في بعض الأوقات؛ ويحدث إذا سئل، ولا يعتبر سن نفسه:

- عن نوح بن حبيب القومسي، قال: رأيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل في مسجد الخيف في سنة ثمان وتسعين ومئة مستندًا إلى المنارة، وجاءه أصحاب الحديث، فجعل يعلمهم الفقه والحديث، ويفتي الناس في المناسك.

- وعنه، يقول: رأيت أحمد بن حنبل في مسجد الخيف سنة ثمان وتسعين ومئة وابن عيينة حي وهو يفتي فتيا واسعة، فوقفت عليه، ولم أكن عرفته قبل ذلك، فقلت لرجل: من هذا؟ قال: أنت غريب؟ قلت: نعم، قال: هذا أحمد بن حنبل. فانتظرته حتى تفرق الناس، ثم أخذت بيده فسلمت عليه؛ فجرت بيني وبينه المعرفة من ذلك الوقت.

قلت: إلا أن الإمام أحمد ﷺ لم يتصدر للحديث والفتوى؛ ولم ينصب نفسه لهما حتى تم له أربعون سنة.

- وعن حجاج ابن الشاعر، قال: جئت إلى أحمد بن حنبل فسألته أن يحدثني -في سنة ثلاث ومئتين- فأبى أن يحدثني؛ فخرجت إلى عبد الرزاق ثم رجعت في سنة أربع وقد حدث أحمد واستوى الناس عليه، وكان لأحمد في هذا اليوم أربعون سنة.

- وعن محمد بن عبد الرحمن الصيرفي، يقول: كنت مع أحمد بن حنبل على بابه فذكر حديثا لعبد الرزاق فقلت: يا أبا عبد الله، أمله علي،

فقال لي: يا أبا جعفر، أي شيء تصنع به؟ عبد الرزاق حي. فقلت: أتصدقني؟ قال: نعم، فقلت: أنا أحلف لك مع قولي إن حدثتني به، ثم خرجت من بابك فرأيت عبد الرزاق على باب زقاقك لم أسأله عنه.

قلت: وقد كان أحمد مع تحديثه يحث على من بقي من المشايخ.

- وعن حمدان بن علي الوراق قال: ذهبنا إلى أحمد بن حنبل سنة ثلاث عشر فسألناه أن يحدثنا فقال: تسمعون مني ومثل أبي عاصم في الحياة! اخرجوا إليه[١].

❐ ❐ ❐

(١) فأين هذا الأدب والزرع مما يفعله كثير من الدعاة اليوم، تصدروا للناس مبكرا وهم لا زالوا في حاجة كبيرة للتزود من العلم، ولا تزكية من أهل العلم، ثم لا يحيلون على أهل العلم في شيء، وربما سئلوا عن نوازل خطيرة فأفتوا فضلوا واضلوا، وربما ردوا على أهل العلم الكبار وأساؤوا الأدب معهم، وعلموا ذلك للمعجبين بهم.

الباب الثاني والعشرون
في ذكر بذله للعلم واحتسابه في ذلك

- عن محمد بن إبراهيم البوشنجي، قال: رأيت أحمد بن حنبل وهو يملي علينا، فسأله رجل من أهل مرو عن حديث، فأمر ابنه عبد الله وقال له: أخرج إلي كتاب الفوائد، فأخرجه؛ فجعل يطلبه فلم يجد الحديث؛ فقام بنفسه ونزل عن ظهر مسجده، ودخل منزله فلم يلبث كثير لبث حتى عاد إلينا وعلى يده عدد أجزاء من الكتب، فقعد يطلب فيها الحديث فطال عليه، فقال له السائل: قد تعبت يا أبا عبد الله، فدعه، فقال: لا، الحاجة لنا، فرأينا أنه دخل البيت فنظر إلى كل جزء يتوهم ذلك الحديث فيه، فأخرج تلك الأجزاء لئلا يرى أنه قد استثقله وكره أن يحتبس في المنزل لطلب ذلك الحديث. وبحسبك هذا كرم مجالسه.

- وعن أبي حاتم الرازي، قال: أتيت أحمد بن حنبل في أول ما التقيت به في سنة ثلاث عشرة ومئتين، وإذا قد أخرج معه إلى الصلاة كتاب «الأشربة» وكتاب «الإيمان» فصلى فلم يسأله أحد، فرده إلى بيته، وأتيته يومًا آخر فإذا قد أخرج الكتابين، فظننت أنه يحتسب في إخراج ذلك، لأن كتاب «الإيمان» أصل الدين، وكتاب «الأشربة» صرف الناس عن الشر، فإن أصل كل شر من المسكر.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: رأيت أبا العلاء الخادم قد جاء إلى أبي عبد الله، وكان شيخًا مشمرًا يشبه القراء متواضعًا، فاستأذن على أبي عبد الله، فخرج إليه وإذا في المسجد رجل غريب عليه أطمار ومعه محبرة، فلما قعد أبو عبد الله حانت منه التفاتة فرأى الرجل، فقال لأبي العلاء: لا يشتد عليك الحر، فقام ثم جعل أبو عبد الله يلاحظ الرجل، فلما لم

يسأله قال له أبو عبد الله: ألك حاجة؟ فقال: تعلمني مما علمك الله، فقام فدخل إلى منزله فأخرج كتابًا وقال له: ادنُه، فجعل يملي عليه ثم يقول للرجل: اقرأ ما كتبت.

❐ ❐ ❐

الباب الثالث والعشرون
في ذكر مصنفاته

قال ابو الفرج: كان الإمام أحمد ﷺ لا يرى وضع الكتب، وينهى أن يُكتب عنه كلامه ومسائله، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة، ولنقلت عنه كتب، فكانت تصانيفه: المنقولات؛ فصنف «المسند» وهو ثلاثون ألف حديث، وكان يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا المسند فإنه سيكون للناس إمامًا، و«الناسخ والمنسوخ»، و«التاريخ»، و«حديث شعبة»، و«المقدم والمؤخر في القرآن»، و«جوابات القرآن»، و«المناسك الكبير» و«الصغير» وأشياء أخر، وكان ينهى الناس عن كتابة كلامه، فنظر الله تعالى إلى حسن قصده فنُقلت ألفاظه وحفظت، فقل أن تقع مسألة إلا وله فيها نص من الفروع والأصول، وربما عدمت في تلك المسألة نصوص الفقهاء الذين صنفوا وجمعوا.

- وعن حنبل بن إسحاق قال: جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله وقرأ علينا «المسند» وما سمعه منه غيرنا، وقال لنا: هذا كتاب قد جمعته وانتقيته من أكثر من سبع مئة ألف وخمسين ألف، فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه، فإن وجدتموه فيه وإلا فليس بحجة.

❐ ❐ ❐

الباب الرابع والعشرون
في ذكر كراهيته وضع الكتب المشتملة على الرأي
ليتوافر الالتفاف إلى النقل

كان ﷺ يكره وضع الكتب التي تشتمل على التفريع والرأي ويحب التمسك بالأثر.

- عن عثمان بن سعيد، قال: قال لي أحمد بن حنبل: لا تنظر في كتب أبي عبيد، ولا فيما وضع إسحاق، ولا سفيان، ولا الشافعي، ولا مالك، وعليك بالأصل.

- وعن إبراهيم بن أبي طالب، قال: سمعت سلمة بن شبيب سأل أحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، إن أصحاب الحديث يكتبون كتب الشافعي؟ قال: لا أرى لهم ذلك.

- وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، قال: سألت أحمد بن حنبل عن كتب أبي ثور؟ فقال: كتاب ابتدع فهو بدعة. ولم يعجبه وضع الكتب، وقال: عليكم بالحديث.

- وعن أبي علي عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان أنه بلغه عن أحمد بن حنبل أنه يأمر بكتاب الموطأ -موطأ مالك- ويرخص فيه، أو نحو هذا، وينهى عن «جامع سفيان»، فذكر لي عمي أنه سأل أحمد بن حنبل عنهما أيهما أحب إليه؟ فقال: لا ذا ولا ذا، عليك بالأثر.

وفي رواية أخرى أن رجلاً سأل أحمد بن حنبل: أكتب كتب الرأي؟ قال: لا. قال: فابن المبارك قد كتبها! قال: ابن المبارك لم ينزل من السماء إنما أمرنا أن نأخذ العلم من فوق.

❐ ❐ ❐

الباب الخامس والعشرون
في ذكر نهيه أن يكتب كلامه
أو يروى وكراهته لذلك

- عن حنبل بن إسحاق، قال: رأيت أبا عبد الله يكره أن يكتب شيء من رأيه أو فتواه.

- وعن أحمد بن الربيع بن دينار قال: قال أحمد بن حنبل: بلغني أن إسحاق الكوسج يروي عني مسائل بخراسان، اشهدوا أني قد رجعت عن ذلك كله.

- وعن أبو بكر المروذي، قال: رأيت رجلاً خراسانيًا قد جاء إلى أبي عبد الله فأعطاه جزءا، فنظر فيه أبو عبد الله فإذا فيه كلام لأبي عبد الله، فغضب فرمى الكتاب من يده.

- وعن أبي محمد البرجي بالإسكندري، قال: قال أحمد بن حنبل: القلانس من السماء تنزل على رؤوس قوم يقولون برؤوسهم هكذا وهكذا - المعنى: لا يريدها -. وقوله هكذا وهكذا، أي يميلون رؤوسهم عن أن تتمكن منها، ومعنى الكلام أنهم لا يريدون الرئاسة وهي تقع عليهم، ويحتمل أنه يريد أنهم يطأطئون رؤوسهم تواضعًا.

وكذلك كان أحمد رضي الله عنه ينهى عن وضع كلامه تواضعًا، وقدر الله أن دوِّن ورُتِّب وشاع.

❐ ❐ ❐

الباب السادس والعشرون
في ذكر كلامه في الإخلاص والرياء وستر التعبد

- عن ابن السماك، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إظهار المحبرة من الرياء.

قال الأنصاري: ابن السماك هذا هو عندي محمد بن بندار السماك الجَرجرائي، صحب أحمد.

- وعن أبي بكر المروذي يقول: سمعت أحمد بن حنبل - وسُئل: بم بلغ القوم حتى مدحوا؟ قال: بالصدق.

- وعنه، قال: سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله - وذكر الصدق والإخلاص - فقال أبو عبد الله: بهذا ارتفع القوم.

- وعنه، قال: كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر، ولا يدع قيام الليل وقراءة النهار، فما علمت بختمة ختمها، وكان يُسر ذلك.

- وعن أبي بكر أحمد بن محمد بن الحجاج، قال: سمعت أبا عبد الله - ولقيه رجل كان داهنه في شيء - فقال له أبو عبد الله: لو صححت ما خفت أحدًا. قال: وسمعت أبا عبد الله وسُئل عن الحب في الله فقال: أن لا تحبه لطمع دنيا.

❐ ❐ ❐

الباب السابع والعشرون
في ذكر كلامه في الزهد والرقائق

- عن محمد بن نصر العابد، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كل شيء من الخير بادر فيه. قال: وشاورته في الخروج إلى الثغر فقال لي: بادر بادر.

- وعن أبي حفص عمر بن صالح الطرسوسي، قال: ذهبت أنا ويحيى الجلاء - وكان يقال: إنه من الأبدال - إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فسألته وكان إلى جنبه فوران وزهير وهارون الحمال، فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله، بم تلين القلوب؟ فنظر إلى أصحابه فغمزهم بعينه، ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال: يا بني، بأكل الحلال. فمررت كما أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث فقلت له: يا أبا نصر، بم تلين القلوب؟ فقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] فقلت: إني جئت من عند أبي عبد الله، فقال: هيه أي شيء قال لك أبو عبد الله؟ قلت: قال: بأكل الحلال. قال: جاء بالأصل، جاء بالأصل، فمررت إلى عبد الوهاب الوراق، فقلت: يا أبا الحسن، بما تلين القلوب؟ قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] قلت: فإني جئت من عند أبي عبد الله، فاحمرت وجنتاه من الفرح وقال لي: أي شيء قال أبو عبد الله؟ قلت: قال: بأكل الحلال. فقال: جاءك بالجوهر، جاءك بالجوهر، الأصل كما قال، الأصل كما قال.

- وعن أبي بكر المروذي، أنه سمع أبا عبد الله يقول: يا نفس انصبي وإلا فستحزني.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول - وذكر الدنيا - فقال: قليلها يجزي، وكثيرها لا يجزي. وذُكر عنده الفقر، فقال: الفقر مع الخير.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، يقول: ما أعدل بفضل الفقر شيئًا، تدري إذا سألك أهلك حاجة لا تقدر عليها أي شيء لك من الأجر؟

- وعن عبد الملك بن عبد الحميد أن أبا عبد الله قال له: يا أبا الحسن، كم يعيش أحدنا؟ خمسين سنة، ستين سنة، كأنك بنا.

- وعن أحمد بن محمد بن يزيد الوراق، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط.

- وعن المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: ما قل من الدنيا كان أقل للحساب.

- وعن يعقوب بن إسحاق، قال: سمعت أحمد بن حنبل - وسئل عن التوكل - قال: هو قطع الاستشراف باليأس من الخلق. قيل له: فما الحجة فيه؟ قال: قصة الخليل لما وضع في المنجنيق مع جبريل حين قال له: أما إليك فلا.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سئل أحمد عن الفتوة فقال: ترك ما تهوى لما تخشى.

- وعن محمد بن نصر قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كل شيء من الخير تهم به، فبادر به قبل أن يحال بينك وبينه.

- وعن عبد الصَّمد بن سليمان بن أبي مطر، قال: بت عند أحمد بن حنبل فوضع لي ماء، فلما أصبحت وجدني لم أستعمله، فقال: صاحب

حديث لا يكون له ورد في الليل؟! قال: قلت: أنا مسافر قال: وإن كنت مسافرا!! حج مسروق فما نام إلا ساجدا.

- وعن أبي عصمة بن عصام البيهقي، قال: بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان، فقال: سبحان الله!! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد من الليل!.

- وعن علي بن المديني قال: ودعت أحمد بن حنبل فقلت له: توصيني بشيء؟ قال: نعم، اجعل التقوى زادك، وانصب الآخرة أمامك.

- وعن يحيى الجلاء، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: عزيز علي أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن.

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: قلت لأبي يومًا: أوصني يا أبه، فقال: يا بني، انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أحمد بن حنبل - وسئل: بم بلغ القوم حتى مدحوا؟ - قال: بالصدق.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: ليس يتقي من لا يدري ما يتقي.

❐ ❐ ❐

الباب الثامن والعشرون
في ذكر كلامه في فنون مختلفة

- عن أبي يوسف يعقوب بن إسحاق، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: يؤكل الطعام بثلاث: مع الإخوان بالسرور، ومع الفقراء بالإيثار، ومع أبناء الدنيا بالمروءة.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إن لكل شيء كرما، وكرم القلب الرضا عن الله ﷻ.

- وعن أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز، قال: سمعت المطيع لله يقول - وهو على المنبر، وقد أحدق به كثير من الحنابلة حزروا ثلاثين ألف رجل، فأراد أن يتقرب إليهم - فقال: سمعت شيخي ابن بنت ابن منيع يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: إذا مات أصدقاء الرجل ذل.

- وعن إسماعيل بن العلاء، قال: دعاني رزق الله الكلواذي، فقدم إلينا طعامًا كثيرًا، وكان في القوم أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو خثيمة، قال: هذا إسراف. فقال أحمد بن حنبل: لا، لو أن الدنيا جمعت حتى تكون في مقدار لقمة، ثم أخذها امرؤ مسلم، فوضعها في فم أخيه المسلم؛ لما كان مسرفا. فقال له يحيى: صدقت يا أبا عبد الله.

- وعن جعفر الصايغ، قال: كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن حنبل رجل، وكان ممن يمارس المعاصي والقاذورات، جاء يومًا إلى مجلس أحمد بن حنبل فسلم عليه، فكأن أحمد لم يرد عليه ردا تامًا، وانقبض منه فقال له: يا أبا عبد الله، لم تنقبض مني؟ فإني قد انتقلت عما كنت تعهده مني برؤيا رأيتُها، قال: وأي شيءٍ رأيت؟ تقدَّم، قال: رأيت النبي ﷺ في النَّوم كأنه على علو من الأرض، وناس كثير أسفل جلوس،

قال: فيقوم رجل منهم إليه، فيقول له: ادعُ لي، فيدعو له حتى لم يبق من القوم غيري، قال: فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه، فقال: يا فلان، لم لا تقوم إلي تسألني أدعو لك؟ قال: قلت: يا رسول الله، يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه، فقال: إن كان يقطعك الحياء، فقم فسلني أدعو لك، فإنك لا تسب أحدًا من أصحابي. قال: فقمت فدعا لي. قال: فانتبهت وقد بغض الله إلي ما كنت عليه، قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر، يا فلان، يا فلان حدثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع.

- وعن عمار بن رجاء يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول: طلب إسناد العلو من السنة.

- وعن حرب بن إسماعيل، قال: سئل أحمد عن الرجل يطلب الإسناد العالي؟ فقال: طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف، لأن أصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر ويسمعون منه.

- وعن حنبل بن إسحاق يقول: رآني أحمد بن حنبل وأنا أكتب خطًا دقيقًا فقال: لا تفعل، أحوج ما تكون إليه يخونك.

- وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أي القراءات تختار لي فأقرأ بها؟ فقال: قراءة أبي عمرو بن العلاء لغة قريش والفصحاء من الصحابة.

- وقال إسحاق بن حسَّان: كتبت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل أشاوره في التزويج، فكتب إليَّ: تزوج ببكر واحرص أن لا يكون لها أم.

- وذكر أبو بكر عبد العزيز بن جعفر، قال لولديه: اكتبا من سلم علينا ممن حج، فإذا قدم سلمنا عليه، قال ابن عقيل: هذا محمول منه على صيانة العلم لا على الكبر.

❐ ❐ ❐

الباب التاسع والعشرون
في ذكر ما أنشده من الشعر أو نسب إليه

- عن أحمد بن يحيى ثعلب، قال: دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلاً كأن النار توقد بين عينيه، فسلمت عليه فرد وقال: من الرجل؟ فقلت: ثعلب، فقال: ما الذي تطلب من العلم؟ قلت: القوافي والشعر - ووددت أني قلت له غير ذلك - فقال: اكتب، ثم أملى علي:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت، ولكن قل: عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ... ولا أن ما نخفي عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت ... ذنوب على آثارهِن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ... ويأذن في توباتنا فنتوب
إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم ... وخلفت في قرنٍ فأنت غريب

- وعن علي بن خشرم أنه سمع أحمد بن حنبل يقول:

تفني اللذاذةُ ممن نالَ صفوتها ... من الحرام، ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها ... لا خير في لذةٍ من بعدها النار

❐ ❐ ❐

الباب الثلاثون
في ذكر مكاتباته

- عن أبي جعفر أحمد بن سعيد الدارمي، قال: كتب إلي أبو عبد الله أحمد بن حنبل: لأبي جعفر أكرمه الله من أحمد بن حنبل.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: كان أبو عبد الله يكتب عنوان الكتاب: إلى أبي فلان، وقال: هو أصوب من أن يكتب: لأبي فلان.

- وعن سعيد بن يعقوب، قال: كتب إلي أحمد بن حنبل: بسم الله الرحمن الرحيم، من أحمد بن محمد، إلى سعيد بن يعقوب، أمَّا بعد: فإنَّ الدنيا داء، والسلطان داء، والعالم طبيب؛ فإن رأيت الطبيب يجرُّ الداء إلى نفسه فاحذره، والسلام.

- وعن حنبل، قال: كانت كُتب أبي عبد الله أحمد بن حنبل التي يكتب بها: إلى فلان بن فلان، فسألته عن ذلك فقال: النبي ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر، وكتب كل ما كتبت على ذلك، وأصحاب النبي ﷺ، وعمر رضي الله عنه كتب إلى عتبة بن فرقد، وهذا الذي يكتب اليوم لفلان لا أعرفه، فقلت: فالرجل يبدأ بنفسه؟ قال: أما الأب، فلا أحبُّ إلا أن تقدمه باسمه ولا يبدأ ولد باسمه على والد، والكبير السن كذلك نوقره به، وغير ذلك فلا بأس.

- وعن أبي القاسم بن منيع يقول: أردت الخروج إلى سويد بن سعيد، فقلت لأحمد بن حنبل: تكتب إلي؟ فكتب: وهذا رجل يكتب الحديث.

فقلت: يا أبا عبد الله، خدمتي لك ولزمي، لو كتبت: هذا رجل من أصحاب الحديث؟ فقال: صاحب الحديث عندنا من يستعمل الحديث.

❐ ❐ ❐

الباب الحادي والثلاثون
في ذكر صفته وهيئته وسمته

- عن العباس بن الوليد النحوي، قال: رأيت أحمد بن حنبل رجلاً حسن الوجه، ربعة من الرجال، يخضب بالحناء خضابًا ليس بالقاني، في لحيته شعرات سود، ورأيت ثيابه غلاظًا إلا أنها بيض، ورأيته معتمًا وعليه إزار.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: خضب أبي رأسه ولحيته بالحناء وهو ابن ثلاث وستين سنة.

- وعن أبي داود السجستاني، قال: لم يكن أحمد بن حنبل يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا، فإذا ذُكر العلم تكلم.

- وعن أبي جعفر بن زريح العكبري، قال: رأيت أحمد بن حنبل وكان شيخًا مخضوبًا طوالاً أسمر شديد السمرة.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت كان عامَّة جلوسه متربعًا خاشعًا، فإذا كان برا لم يكن يتبين منه شدة خشوع كما كان داخلاً، وكنت أدخل عليه والجزءُ في يده يقرأ، فإذا قعدت أطبقه ووضعه بين يديه.

- وعن الحسن بن إسماعيل، قال: سمعت أبي يقول: كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب وحُسن السَّمت.

- وعن أبي بكر بن المطوعي، يقول: اختلفت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ «المسند» على أولاده، فما كتبت منه حديثًا واحدًا، إنما كنت أنظر إلى هدْيه وأخلاقه آدابه.

- وعن محمد بن إبراهيم البوشنجي، يقول: ما رأيت أحمد بن حنبل جالسًا إلا القُرفصاء، إلا أن يكون في الصلاة، وهذه الجلسة التي تحكيها قَيلَةُ في حديثها: إني رأيت رسول الله ﷺ جالسًا جلسة المتخشع، القُرفصاء.

فكان أحمد يتيمم في جلوسه هذه الجِلسة وهي أولى الجلسات بالخشوع. والقرفصاء أن يجلس الرجل على أليتيه رافعًا ركبتيه إلى صدره مفضيًا بأخمص قدميه إلى الأرض - وربما احتبى بيديه - ولا جلسة أخشع منها.

- وعن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، قال: كان يقال: لم يكن من أصحاب رسول الله ﷺ أشبه هديًا، ولا سمتًا ودلا من عبد الله بن مسعود، وكان أشبه الناس بعبد الله بن مسعود علقمة بن قيس، وكان أشبه الناس بعلقمة إبراهيم النخعي، وكان أشبه الناس بإبراهيم النخعي منصور بن المعتمر، وكان أشبه الناس بمنصور بن المعتمر سفيان الثوري، وكان أشبه الناس بسفيان الثوري وكيع بن الجراح. قال محمد بن يونس: وكان أشبه الناس بوكيع بن الجراح أحمد بن حنبل.

- وعن الحسن بن الرَّبيع يقول: ما شبَّهتُ أحمد بن حنبل إلا بابن المبارك في سمته وهديه.

❐ ❐ ❐

الباب الثاني والثلاثون
في ذكر هيبته

- عن محمد بن مسلم، قال: كنّا نهاب أن نرادَّ أحمد بن حنبل في الشيء أو نحاجه في شيء من الأشياء. يعني لجلالته ولهيبة الإسلام الذي رُزقه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قال الحسن بن أحمد -والي الجسر، وكان في جوارنا-: دخلت على إسحاق بن إبراهيم وفلان وفلان -ذكر السلاطين- ما رأيتُ أهيب من أحمد بن حنبل، صرت إليه أكلمه في شيء فوقعت علي الرعدة حين رأيته من هيبته.

قال المرُّوذي: ولقد طرقه الكلبي صاحب خبر السر ليلاً فمن هيبته لم يقرعوا عليه بابه ودقوا باب عمه. قال أبو عبد الله: سمعت الدق فخرجت إليهم.

- وعن عبدوس، قال: رآني أبو عبد الله يومًا وأنا أضحك، فأنا أستحييه إلى اليوم.

- وعن أبي عبيد القاسم بن سَلَّام يقول: جالست أبا يوسف، ومحمد بن الحسن، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فما هبت أحدًا منهم ما هبت أحمد بن حنبل، ولقد دخلت عليه السجن لأسلم عليه، فسألني رجل عن مسألة فلم أجبه هيبة له.

قال ابن مكرم ـ الراوي عن أبي عبيد-: فحدثت بهذا الحديث يعقوب بن شيبة، فقال لي: لعله فَرِقَ أن يغلط بحضرته.

❐ ❐ ❐

الباب الثالث والثلاثون
في ذكر نظافته وطهارته

- عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، قال: ما أعلم أني رأيت أحدًا أنظف ثوبا ولا أشد تعاهدا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وبدنه، ولا أنقى ثوبا وشدة بياض، من أحمد بن حنبل.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: كان أبو عبد الله لا يدخل الحمام، وكان إذا احتاج إلى النورة تنور في البيت، وأصلحت له غير مرة النورة، واشتريت له جلدا ليده فكان يدخل يده فيه ويتنور نفسه.

- وعن أبي العباس، يقول: ضربت لأبي عبد الله نورةً ونورته، فلما بلغ عانته وليها هو.

❐ ❐ ❐

الباب الرابع والثلاثون
في ذكر سهولة أخلاقه وحسن معاشرته

- عن محمد بن إبراهيم البوشنجي، قال: ما رأيت أحدًا في عصر أحمد ممن رأيت أجمع منه ديانة وصيانةً وملكًا لنفسه، وطلقًا لها، وفقهًا وعلمًا، وأدب نفس، وكرم خلق، وثبات قلب، وكرم مجالسة، وأبعد من التماوت.

- وعن علي بن المديني، قال: قال لي أحمد بن حنبل: إني لأحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعني من ذاك إلا أني أخاف أن أملَّك أو تملني. قال: فلما ودعته قلت له: يا أبا عبد الله، توصيني بشيء؟ قال: نعم، ألزِمِ التقوى قلبك، وانصب الآخرة أمامك.

- وعن حنبل، قال: رأيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل إذا أراد القيام قال لجلسائه: إذا شئتم.

- وعن أبي داود السجستاني، يقول: كانت مجالسة أحمد بن حنبل مجالسة الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيت أحمد بن حنبل يذكر الدنيا قط.

قال ابو الفرج: بلغني عن أبي الحسين بن المنادى، قال: سمعت جدي يقول: كان أحمد من أحيا الناس، وأكرمهم نفسًا وأحسنهم عشرة وأدبًا، كثير الإطراق والغض، معرضًا عن القبيح واللغو، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث، وذكر الصالحين والزهاد في وقار وسكون ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان بشَّ به وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخ تواضعًا شديدًا، وكانوا يكرمونه ويعظمونه، وكان يفعل بيحيى بن معين ما لم أره يفعل بغيره من التواضع والتبجيل، وكان يحيى أكبر منه بنحو سبع سنين.

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: كان أبي إذا دخل من المسجد إلى البيت، يضرب برجله قبل أن يدخل الدار حتى يُسمع ضرب نعله لدخوله إلى الدار، وربما تنحنح ليعلم من في الدار بدخوله.

- وعن مهنا، قال: رأيت أبا عبد الله غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع ولا خمس، رأيته كثيرًا يُقبَّل وجهه ورأسه وخده ولا يقول شيئًا ولا يمتنع من ذلك، ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبل جبهته ورأسه، ورأيته لا يمتنع من ذلك ولا يكرهه، ورأيت يعقوب بن إبراهيم بن سعد يقبل جبهته ووجهه.

قال الخلال: وقلت لزهير بن صالح بن أحمد: هل رأيت جدك؟ قال: نعم، وكان لي نحوا من ثمان سنين، ومات وقد دخلت في عشر سنين.

فقلت له: تذكر من أخلاقه شيئا؟ قال: كنا ندخل إليه في كل يوم جمعة أنا وإخواني، وكان بيننا وبينه باب مفتوح، فكان يكتب لكل واحد منا حبتين حبتين من فضة في رقعة إلى فامي[1] يعامله، فنأخذ منه الحبتين ونأخذ للأخوات، وكان ربما مررت به وهو قاعد في الشمس ظهره مكشوف وأثر الضرب بيِّن في ظهره، وكان لي أخ أصغر مني اسمه علي ويكنى أبا حفص، فأراد أبي أن يختنه، فاتخذ له طعامًا كثيرًا ودعا قومًا، فلما أراد أن يختنه وجه إلى جدي فدعاه، قال أبي: قال لي: بلغني ما قد أحدثته لهذا الأمر، وقد بلغني أنك قد أسرفت، فابدأ بالفقراء والضعفاء فأطعمهم، فلما أن كان من الغد وحضر الحجام، وحضر أهلنا، دخل أبي إلى جدي وأعلمه أن الحجام قد جاء، فجاء جدي معه حتى جلس في الموضع الذي فيه الصبي، وختن وهو جالس

(١) **الفامي**: من يبيع الفواكه اليابسة. ويقال له: البقال أيضا.

فأخرج صريرة فدفعها إلى الحجام، وصريرة إلى الصبي، وقام فدخل منزله، فنظر الحجام إلى الصريرة فإذا فيها درهم واحد، ونظرنا إلى صرة الصبي فإذا فيها درهم، وكنا قد رفعنا كثيرًا مما قد افترش، وكان الصبي على منصة مرتفعة على شيء من الثياب المصبغة، فلم ينكر من ذلك شيئًا، قال: فقدم علينا من خراسان ابن خالة جدي، فنزل على أبي، وكان يكنى بأبي أحمد، فلما كان يوم من الأيام وقد صلينا المغرب، قال لي أبي:

خذ بيد أبي أحمد فامض به إلى جدك، فدخلت على جدي وهو قائم يصلي بعد المغرب فجلست، فلما فرغ من ركوعه قال لي: جاء أبو أحمد؟ قلت: نعم، قال: قل له يدخل، فقمت إلى أبي أحمد فدخل معي فجلس، فصاح بامرأة كانت تخدمه مسنة من سكانه فجاءت بطبق خلاف وعليه خبز وبقل وملح، ثم جاءت بغضارة من هذه الغلاظ فوضعتها بين أيدينا، وإذا فيها مصلية فيها لحم وسلق كثير، فجعلنا نأكل وهو يأكل معنا ويسأل أبا أحمد عمن بقي من أهلهم بخراسان في خلال ما يأكل، وكان ربما استعجم الشيء على أبي أحمد بالعربية فيكلمه جدي بالفارسية، وكان من خلال ذلك - ونحن نأكل - يضع القطعة اللحم بين يدي أبي أحمد وبين يدي، ثم رفع الغضارة بيده ووضعها ناحية، ثم أخذ طبقًا إلى جنبه فوضعه بين أيدينا على الطبق، فإذا به تمر برني وجوز مكسر، وجعل يأكل ونأكل، وفي خلال ذلك يناول أبا أحمد، ثم غسلنا أيدينا كل واحد منا يغسل لنفسه.

- وعن عبدوس العطار، قال: وجهت بابني مع الجارية يسلم على أبي عبد الله، فرحب به وأجلسه في حجره وسائله، وأرسل فاتخذ له

خبيصًا فجاء به فوضعه بين يديه وجعل يبسطه، وقال للجارية: كُلي معه. ثمَّ قام إلى بعض الفاميين فجاء وفي ثوبه لوز وسكر، وأخرج منديلاً فشده فيه، ثم دفعه إلى الخادم، وقال للصبي: اقرأ على أبي محمد السلام.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: رأيت عبد الله قد ألقى لختان درهمين في الطست.

- وعن عبد الملك الميموني، قال: كثيرا ما كنت أسأل أبا عبد الله من الشيء، فيقول: لبيك.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: كان أبو عبد الله لا يجهل، وإن جهل عليه احتمل وحلم، فقال: يكفي الله، ولم يكن بالحقود ولا العجول، ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة، فكانوا يجيئون إلى أبي عبد الله فلا يظهر له ميله مع عمه، ولا يغضب لعمه، ويتلقاهم بما يعرفون من الكرامة، وكان كثير التواضع يحب الفقراء، لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلسه، مائلاً إليهم، مقصرًا عن أهل الدنيا، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلس بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسئل، وإذا خرج إلى مسجده لا يتصدر يقعد حيث انتهى به المجلس، وكان لا يمد قدمه في المسجد ويكرم جليسه، وكان حسن الخلق دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ وكان يحب في الله ويبغض في الله، وكان إذا أحب رجلا أحب له ما يحب لنفسه وكره له ما يكره لنفسه، ولم يمنعه حبه إياه من أن يأخذ على يديه ويكفه عن ظلم أو إثم أو مكروه إن كان منه، وكان إذا بلغه عن رجل صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر سأل عنه وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله، وكان رجلا فطنا إذا كان شيء لا يرضاه اضطرب لذلك، يغضب لله

ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، فإذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه حتى كأنه ليس هو، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان حسن الجوار يؤذى فيصبر ويحتمل الأذى من الجار.

ولقد أخبرني بعض جيرانه ممن بينه وبينه حائط قال: كان لي برج فيه حمام، وكان يشرف على أبي عبد الله، فكنت أصعد وأنا غلام أشرف عليه، فمكث على ذلك صابرا لا ينهاني، فبينما أنا يوما إذ صعد عمي فنظر إلى البرج مشرفًا على أبي عبد الله فقال: ويحك أما تستحي تؤذي أبا عبد الله؟ قلت له: فإنه لم يقل لي شيئا، قال: فلست أبرح حتى تهب لي هذه الطيور، فما برح حتى وهبتها له فذبحها وهدم البرج.

- وعن هارون بن سفيان المستملي، قال: جئت إلى أحمد بن حنبل حين أراد أن يفرق الدراهم التي جاءته من المتوكل، قال: فأعطاني مئتي درهم، فقلت: لا تكفيني، قال: ليس هاهنا شيء غيرها، ولكني أعمل بك شيئا أعطيك ثلاثمائة درهم تفرقها، قال: فلما أخذتها قلت: يا أبا عبد الله، ليس والله أعطي أحدا منها شيئا، فتبسم.

- وعن محمد بن إبراهيم الأنماطي، قال: كنت عند أحمد بن حنبل وبين يديه محبرة، فذكر أبو عبد الله حديثًا، فاستأذنته في أن أكتب من محبرته، فقال لي: اكتب يا هذا؛ فهذا ورع مظلم.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: سئل أبي: لم لا تصحب الناس؟ قال: لوحشة الفراق.

- وعن إبراهيم الحربي، قال: كان أحمد يأتي العرس والأملاك والأختان، يجيب ويأكل.

قال: وسمعت أحمد بن حنبل، يقول لأحمد بن جعفر الوكيعي: يا أبا عبد الرحمن إني لأحبك، حدثنا يحيى عن ثور، عن خبيب بن عبيد، عن المقدام، قال: قال النبي ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليُعلمه».

- وعن هارون بن عبد الله الحمال يقول: جاءني أحمد بن حنبل بالليل، فدق الباب علي فقلت: من هذا؟ فقال: أنا أحمد، فبادرت إليه فمساني ومسيته، وقلت: حاجة يا أبا عبد الله؟ قال: نعم، شغلت اليوم قلبي، قلت: لماذا يا أبا عبد الله؟ قال: جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرةً أخرى إذا قعدت فاقعد مع الناس.

- وعن محمد بن داود المصيصي، يقول: كنا عند أحمد بن حنبل وهم يذكرون الحديث، فذكر محمد بن يحيى النيسابوري حديثًا فيه ضعف، فقال له أحمد بن حنبل: لا تذكر مثل هذا الحديث. فكأن محمد بن يحيى دخله خجل، فقال له أحمد: إنما قلت هذا إجلالاً لك يا أبا عبد الله.

- وعن أحمد بن الحكم قال: وافى أحمد بن حنبل الكوفة، فلزم وكيع بن الجراح وسمع منه سماعًا كثيرًا.

- وعن إسحاق بن هانئ، قال: كنا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل في منزله ومعنا المروذي ومُهَنَّأ بن يحيى الشامي، فدقَّ داق الباب وقال: المروذي هاهنا؟ وكان المروذي كره أن يعلم موضعه، فوضع مُهنأ بن يحيى إصبعه في راحته وقال: ليس المروذي هاهنا وما يفعل المروذي هاهنا؟ فضحك أحمد ولم يُنكر ذلك.

❐ ❐ ❐

الباب الخامس والثلاثون
في ذكر حلمه وعفوه

- عن إبراهيم بن إسحاق، أن المتوكل أخذ العلوي الذي سعى بأبي عبد الله إلى السلطان، وأرسله إلى أبي عبد الله ليقول فيه مقالة للسلطان، فعفا عنه، وقال: لعله يكون له صبيان يحزنهم قتله، هذا معنى الحكاية.

- وعن هانئ، قال: كنت عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبد الله قد اغتبتك فاجعلني في حل، قال: أنت في حل إن لم تعد. فقلت له: تجعله في حل وقد اغتابك؟ قال: ألم ترني اشترطت عليه؟.

- وعن حنبل، قال: صليت بأبي عبد الله العصر، فصلى معنا رجل يقال له: محمد بن سعيد الختلي، فقال لأبي عبد الله: يا أبا عبد الله، نهيت عن زيد بن خلف أن يكلَّم؟ فقال أبو عبد الله: كتب إلي أهل الثغر يسألوني عن أمره، فأخبرتهم بمذهبه وبما أحدث، وأمرتهم ألا يجالسوه، فاندفع الختلي على أبي عبد الله وقال: والله لأردنك إلى محبسك، ولأدقن أضلاعك ضلعا ضلعا -في كلام الكثير- فقال لي أبو عبد الله: لا تكلمه ولا تجبه بشيء، فما رد عليه أحد منا بكلمة، فأخذ أبو عبد الله نعليه وقام، فدخل، وقال: مر السكان ألا يكلموه ولا يردوا عليه شيئًا، فما زال يصيح، ثم خرج فصار في حسبة العسكر ومات بالعسكر.

- وعن إبراهيم الحربي يقول: كان أحمد بن حنبل كأنه رجل قد وُفق للأدب، وسدد بالحلم، وملئ بالعلم، أتاه رجل يومًا فقال له: عندك كتاب زندقة، فسكت ساعة ثم قال له: إنما يحرز المؤمن قبره.

وقال له رجل: يقولون: إنك لم تسمع من إبراهيم بن سعد، فسكت.

قال إبراهيم: وكنا يومًا عند داود بن عمرو، فقال له داود: يا أبا عبد الله كيف أكلك؟ كيف نومك؟ كيف جماعك؟ فقال له أحمد: ليس أنا بحصور ولا روحاني، ولم يزده على هذا.

❐ ❐ ❐

الباب السادس والثلاثون
في ذكر ماله ومعاشه

قال أبو الفرج رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد خلف له أبوه طُرُزًا ودارًا يسكنها، وكان يكري تلك الطرز ويتعفف بكرائها عن الناس.

- وعن محمد بن عبيد الله، قال: قال لي أحمد بن حنبل: أنا أذرع هذه الدار التي أسكنها وأخرج الزكاة عنها في كل سنة، أذهب في ذلك إلى قول عمر بن الخطاب في الأرض السواد.

- وعن أحمد بن جعفر، قال: وسأل رجل أحمد بن حنبل عن العقار الذي كان يستغله ويسكن في دار فيه كيف سبيله عنده؟ فقال له: هذا شيء قد ورثته عن أبي، فإن جاءني أحد، فصحح أنه له، خرجت عنه ودفعته إليه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: هذه الغلة ما تكون قوتنا، وإنما أذهب فيه إلى أن لنا فيه شيئًا. فقلت له: إن رجلاً قال: لو ترك أبو عبد الله الغلة، وكان يبضع له صديق له، كان أعجب إلي، فقال أبو عبد الله: هذه طعمة سوء. أو قال: رديئة، من تعود هذا لم يصبر عنه، ثم قال: هذا أعجب إلي من غيره - يعني الغلة - ثم قال لي: أنت تعلم أن هذه الغلة لا تقيمنا، وإنما آخذها على الإضطرار.

- وعن محمد بن ياسين البلدي، قال: كنت جالسًا مع أبي عبد الله فجاءه بعض سكانه بدرهم ونصف، فلما وقع في يده تركنا وقام فدخل إلى منزله، ورأيت السرور في وجهه، فظننت أنه كان قد أعده لحاجة مهمة.

فصل

وكان أحمد ربما احتاج فخرج إلى اللقاط[١]

- عن أبي جعفر الطرسُوسي، قال: حدثني الذي نزل عليه أبو عبد الله، قال: لما نزل علي خرج في اللقاط، فجاء وقد لقط شيئًا يسيرًا، فقلت له: قد أكلت أكثر مما قد لقطت، فقال: رأيت أمرًا استحييت منه، رأيتهم يلقطون فيقوم الرجل على أربع، وكنت أزحف إذا لقطت.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قال لي أبو عبد الله: خرجت إلى الثغر على قدمي فالتقطنا، وقد لقيت قوما يفسدون مزارع الناس، لا ينبغي لأحد أن يدخل مزرعة رجل إلا بإذنه.

وقال أبو عبد الله: قد خرجت إلى طرسوس على قدمي وقد كنا نخرج في اللقاط.

فصل

وكان أحمد ربما احتاج فنسخ بأجره.

وأعوزته النفقة في سفره فأكرى نفسه من الجمالين، وسيأتي هذا مشروحًا في الباب الذي يلي هذا إن شاء الله تعالى.

❐ ❐ ❐

(١) **اللقاط بالفتح**: السنبل الذي تخطئه المناجل، تلقطه الناس: (اللسان)، وأحد الأقوال في تفسير قوله تعالى: وءاتوا حقه يوم حصاده أي لقط السنبل، كما أخرجه الطبري في تفسيره ٨/ ٥٧، لذلك كان الإمام أحمد إذا احتاج لم يسأل الناس وإنما يخرج فيلتقط من هذا السنبل فيتقوت به. (ح) (ت).

الباب السابع والثلاثون
في ذكر تعففه عن أموال الناس وظلف نفسه عنها وقطع طمعه منها

- عن إسحاق بن راهويه، قال: لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبد الرزاق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الجمالين إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المساواة، فلم يقبل من أحدٍ شيئًا.

- وعن أحمد بن سنان الواسطي، يقول: بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن، وأكرى نفسه من ناس من الجمالين عند خروجه، وعَرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها.

- وعن بحر البقال، -وكان في قرية عبد الرزاق- وذُكر أحمد بن حنبل، فقال: ما فعل؟ فقلت له: وما يدريك من أحمد؟ فقال: كان عندنا هاهنا، فلما خرج أصحابه تخلف من بعدهم فمر بي، فقال: يا بحر، لك عندي درهم خذ هذه النعل، فإن بعثت إليك من صنعاء بالدرهم وإلا فالنعل بالدرهم، أرضيت؟ قلت: نعم، ومضى، فأخبرت همام ابن أخت عبد الرزاق، فقال: ويحك! لأي شيء أخذت النعل منه؟

- وعن الرمادي، قال: سمعت عبد الرزاق -وذكر أحمد بن حنبل- فدمعت عيناه وقال: قدم وبلغني أن نفقته نفدت، فأخذت عشرة دنانير وأقمت خلف الباب وما معي ومعه أحد، وقلت: إنه لا يجتمع عندنا الدنانير، وقد وجدت عند النساء عشرة دنانير فخذها فأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ عندنا شيء. فتبسم وقال لي: يا أبا بكر، لو قبلت شيئًا من الناس، قبلت منك، ولم يقبل.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي، قال: عرض علي يزيد بن هارون خمس مئة درهم -أو أكثر أو أقل- فلم أقبل منه، وأعطى يحيى بن معين وأبا مسلم المستملي، فأخذا منه.

- وعن أبي محمد إسحاق بن إبراهيم بن حسان الفقيه، قال: حدثني رجل كان رفيقا لأبي عبد الله أحمد بن حنبل بواسط على باب يزيد بن هارون، وجاء عبد الله بجبة يبيعها في شدة البرد، قال: فلم أزل به حتى صرفته عن بيعها، ثم صرت إلى يزيد بن هارون فقلت له: يا أبا خالد، إن أحمد بن حنبل جاءني بجبته لأبيعها له في هذا البرد، فقال لجاريته: زني مئة درهم وهاتها، فدفعها إلي وقال: ادفعها إليه، فجئت بها إليه فقلت: هذه بعثها أبو خالد.

فقال: إني لمحتاج إليها، وإني لابن سبيل، ولكن لا أحب أن أعود نفسي هذا، ردها عليه. فرددتها عليه، فدفع إلي جبته، فبعتها له.

- وعن صالح بن أحمد، قال: جاءتني حسن، فقالت: يا مولاي، قد جاء رجل بتليسة فيها فاكهة يابسة وهذا الكتاب، قال صالح: فقمت فقرأت الكتاب فإذا فيه: يا أبا عبد الله، أبضعت لك بضاعة إلى سمرقند فوقع فيها كذا وكذا ورددتها فوقع فيها كذا وكذا، وقد بعثت بها إليك أربعة آلاف درهم، وفاكهة أنا لقطتها من بستاني، ورثته عن أبي وأبي عن أبيه، قال: فجمعت الصبيان، فلما دخل دخلنا عليه، وقلت له: يا أبه، ما ترق لي من أكل الزكاة.

ثم كشفت عن رأس الصبية وبكيت فقال: من أين علمت؟ دعني حتى أستخير الله الليلة، قال: فلما كان من الغد، قال: يا صالح، صُني، فإني قد استخرت الله الليلة، فعزم لي ألا آخذها، قال: وفتح

التليسة وفرقها على الصبيان، وكان عنده ثوب عشاري فبعث به إليه ورد المال.

- وعن علي بن الجهم بن بدر، قال: كان لنا جار، فأخرج لنا كتابا، فقال: أتعرفون هذا الخط؟ قلنا: نعم، هذا خط أحمد بن حنبل، كيف كتب لك؟ قال: كنا بمكة مقيمين عند سفيان بن عيينة ففقدنا أحمد بن حنبل أياما لم نره، ثم جئنا إليه لنسأل عنه، فقال لنا أهل الدار التي هو فيها: هو في ذلك البيت، فجئنا إليه والباب مردود عليه وإذا فيه خلقان، فقلنا له: يا أبا عبد الله، ما خبرك؟ لم نرك منذ أيام؟ فقال: سرقت ثيابي. فقلت له: معي دنانير، فإن شئت خذ قرضا وإن شئت صلة، فأبى أن يفعل، فقلت: تكتب لي بأجرة؟ قال: نعم، فأخرجت دينارا فأبى أن يأخذه وقال: اشتر لي ثوبا واقطعه نصفين، فأومأ إلي أنه يأتزر بنصف ويرتدي بالنصف الآخر، فقال: جئني ببقيته، ففعلت، وجئت بورق فكتب لي فهذا خطه.

- وعن إسماعيل بن أبي الحارث، قال: كان عندنا شيخ مروَزي، فجاء إليه أحمد بن حنبل ثم خرج، فقلت له: في أي شيء جاءك أبو عبد الله؟ فقال: هو لي صديق وبيني وبينه أنس، وتلكأ أن يخبرنا فألححنا عليه، فقال: كان استقرض مني مئتي درهم أو ثلاث مئة درهم، فجاءني بها، فقلت: يا أبا عبد الله، ما دفعتها وأنا أنوي أن آخذها منك، وأنا ما أخذتها إلا وأنا أنوي أن أردها إليك.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: دخلت على أبي في أيام الواثق - والله يعلم في أي حالة نحن - وقد خرج لصلاة العصر، وكان له لبد يجلس عليه قد أتت عليها سنون كثيرة حتى قد بلى، فإذا تحته كتاب كاغد، وإذا فيه: بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق، وما عليه من

الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دينك، وتوسع بها على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شيء ورثته من أبي. فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت: يا أبه، ما هذا الكتاب؟ فاحمر وجهه وقال: رفعْتُهُ منك. ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل: وصَل كتابك إلي ونحن في عافية، فأما الدين فإنّه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا فهم في نعمة الله والحمد لله، فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فقال: ويحك، لو أنَّ أبا عبد الله قبل هذا الشيء ورمى به مثلاً في دجلة كان مأجورًا، لأن هذا الرجل لا يعرف له معروف، فلمَّا كان بعد حين ورد كتاب الرجل لمثل ذلك، فرد عليه الجواب بمثل ما رد، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها، فقال: لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت.

وقد حدث بنحو هذه الحكاية من طريق أبي بكر الخلال عن المروذي، وقال فيها: فراجعه فقال: دعنا نحن أعزاء.

- وعن محمد بن موسى بن حماد البربري، قال: حمل إلى الحسن بن عبد العزيز الجروي ميراثه من مصر مئة ألف دينار، فحمل إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراث حلال، خذها فاستعن بها عائلتك، قال: لا حاجة لي فيها، أنا في كفاية، فردها ولم يقبل منها شيئًا.

- وعن صالح بن أحمد، قال: شهدت ابن الجروي أخا الحسن وقد جاء إليه بعد المغرب فقال: أنا رجل مشهور، وقد أتيتك في هذا الوقت وعندي شيء قد أعددته لك، فأحب أن تقبله وهو ميراث، فلم يزل به، فلما أكثر عليه قام ودخل.

قال صالح: فأخبرت عن الحسن قال: قال لي أخي: لما رأيته كلما ألححت عليه ازداد بعدًا، قلت: أخبره كم هي، قلت: يا أبا عبد الله، هي ثلاثة آلاف دينار. فقام وتركني.

زاد أبو نعيم: قال صالح: وقال لي يومًا: أنا إذا لم يكن عندي قطعة أفرح.

- قال ابن الجروي: ذهبت إلى أحمد بن حنبل فقلت: هذه ألف دينار أشتري غلةً للصبيان، فأبى أن يقبلها، قال: وكان يكرمني. فلما قلت له ذلك قال: أحب إذا كانت لك حاجة لا تجيء، فإذا أردت أن تسألني عن شيء فأرسل إلي. فحرمت نفسي.

- وعن إسماعيل بن حرب، قال: أحصي ما رد أبو عبد الله أحمد بن حنبل حين جيء به إلى العسكر فإذا هو سبعون ألفًا.

- وعن صالح بن أحمد يقول: كنت عند أبي يومًا فدعاني النِّساء، فقلن: قل لأبيك ليس عندنا دقيق -أو قال: خبز- فقلت له، فقال: الساعة، ثم أبطأ عليهن فعاودنني، فقلت له، فقال: الساعة، فبينما نحن كذلك إذا برجل يدق الباب، فخرجت إليه، فإذا هو رجل خراساني يشبه الفيج على كتفه عصا فيها جراب، فقلت له: ما حاجتك؟ قال: حاجتي إلى أحمد بن حنبل فدخلت فأخبرته، فقال: عد إليه فقل له: فيم قصدت؟ في مسألة؟ في حديث؟ فقال: ما قصدت في مسألة ولا حديث، فقلت له، فقال: أدخله، فدخل الرجل فوضع العصا والجراب ثم قال له: أنت أحمد بن حنبل؟ قال: نعم، قال: أنا رجل من أهل خراسان، ومرض جار لي فعدته، فقلت له: هل لك من حاجة؟ فقال: هذه خمسة آلاف درهم تأخذها وتوصلها إلى أحمد بن حنبل بعد وفاتي، فقد قصدتك بها من

خراسان. فقال له: بيننا وبين هذا الرجل قرابة؟ قال: لا. قال: فبيننا وبينه رحم؟ قال: لا. قال: فبيننا وبينه نعمة يربها؟ قال: لا، قال: ضمها رحمك الله. فرده فخشن له أبي، فحمل المال وانصرف. فلما كان بعد مدة كان جالسًا بين الكتب، فنظر فيها فرفع رأسه فقال: تدري يا صالح مذ كم كان الخراساني عندنا؟ قلت: لا، قال: له اليوم أحد وستون يومًا، هل جعتم فيها أو فقدتم شيئًا؟

- وعن فوران يقول: مرض أبو عبد الله فعاده الناس - يعني قبل المئتين - وعاده علي بن الجعد فجعل عند رأس أبي عبد الله صُرة. فقلت له: إن عليًا قد جعل عند رأسك هذه الصرة، فقال: كما رأيته فاذهب فردها إليه. قال: فذهبت فرددتها.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قال فُوران أبو محمد لأبي: عندي خُف سأبعث به إليك. فسكت؛ فلما عاد إليه أبو محمد قال: يا أبا محمد، لا تبعث بالخف، فقد شغل قلبي علي.

قال صالح: ووجه رجل من الصين بكاغد صيني إلى جماعة من المحدثين فيهم يحيى وغيره ووجه بِقمَطر إلى أبي فردَّه.

قال صالح: وقال لي أبي: جاءني ابن يحيى بن يحيى، وما خرج من خراسان بعد ابن المبارك رجل يشبه يحيى بن يحيى، فجاءني ابنه فقال: إن أبي أوصى بمبطنه لك وقال: يذكرني بها، فقلت: جئني بها. فجاء برزمة ثياب، فقلت له: اذهب رحمك الله، يعني ولم يقبلها.

- وعن ابن نيزك، قال: كنت أتبع أحمد ويحيى يمضون إلى سعدويه - أو قال غيره - فاتخذ لهم - أراه قال: سعدويه - قِدر طعام، فلما فطن أحمد لذلك قال: قد قرب وقت الصلاة، وخرج فما اجترأ واحد منهم أن

يكلمه، فجاء إلى سقاية فيها حب ماء، فأخرج فتيتًا له في خرقة، فأخذ كوزًا من الحب وجعل يستَفه ويشرب عليه الماء، وصلى الظهر، ثم جاء فاستأذن ودخل، وقد طعموا وصلوا، فقعد يكتب.

- وعن حميد بن الربيع الكوفي، يقول: قال أبو عبد الله يومًا لأصحاب الحديث: من منكم منزله في الكرخ؟ فقال له فتى: أنا يا أبا عبد الله، فقال له: تلبث فإن لنا حاجة، فأخرج أبو عبد الله دراهم وقال: اشتر بهذه ورقًا حتى تجيء به معك إذا جئت. قال: فاشترى الفتى ورقًا، وحشى في دسوت الورق دنانير، وجاء به إلى أبي عبد الله فأعطاه، وانقطع الفتى من المجيء، ففتح أبو عبد الله الورق فجعلت الدنانير تتناثر، فجمعها وجعل يقول لأصحاب الحديث: من منكم يعرف الفتى الذي اشترى لي ورقًا؟ فقال له رجل: أنا أعرف منزله، قال: فتلبث هاهنا، فإن لي حاجةً، وحمل أبو عبد الله الدنانير ومضى معه، فلما صار إلى قطيعة الربيع إذ الفتى قاعد، فقال له الرجل: هذا صاحبك يا أبا عبد الله؟ فقال له أبو عبد الله: انصرف أنت ثم جاء فسلم ووضع الدنانير في حجره وانصرف.

- وعن أبي جعفر أحمد بن محمد التستري، قال: كان غلام يختلف إلى أحمد بن حنبل، فناوله يومًا درهمين، فقال: اشتر به كاغدًا، فخرج الغلام فاشترى له وجعل في جوف الكاغد خمس مئة دينار وشده وأوصله إلى بيت أحمد، فسأل أحمد أهل بيته: أحمل شيء من البياض؟ فقالوا: نعم فوضع بين يديه، فلما أن فتحه تناثرت الدنانير، فردها في مكانها، وسأل عن الغلام حتى دُلَّ عليه، فوضعه بين يديه، فتبعه الغلام وهو يقول: الكاغد اشتريته بدراهمك خذه، فأبى أن يأخذ الكاغد أيضًا.

- وعن المروذي، قال: أخبرت أن أبا بكر المستملي لما قدم بأبي عبد الله من الثغر، خرج معه يخدمه، قال: فنزلنا في بعض المنازل، فإذا بعض إخوانه قد أرسل إليه بمئة دينار، وقال: تنفقها يا أبا عبد الله في سفرك، فردها، فقال له: يا أبا عبد الله، أنا معيل ورجل من أهل الثغر، فدعني آخذها، قال: ويحك؛ إن عطيتهم أول مرة ليست مثل الثانية، فدعنا نكن في عِزة. فردها ولم يقبلها.

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: دُقَّ علينا الباب ليلة دقًا خفيفًا، ففتحت فإذا إنسان قد وضع خِوانًا كبيرًا عليه منديل أبيض وقال: خُذ هذا. ومرّ مبادرًا، وكانت مائدة كبيرة، فأدخلتها ووضعتها قدام أبي فقال: أي شيء هذا؟ من منزل أبي محمد؟ - يعني فوران - قلت: لا، قال: من أين؟ من جاء به؟ قلت: وضعه ومرَّ، وإذا طعام سرى فيه جامات حلواء قد أنفق عليه دراهم كثيرة، فسكت ساعة يفكر ثم قال: ابعث منه إلى منزل عمك، وصبيان صالح - وأومأ إلى الجارية والصبيان - وخذ أنت، قال عبد الله: ثم علمتُ بعد من أين جاء.

وكان قوم يهدون إليه فلا يصيب منهم شيئًا، وكان عبدوس العطار ربما وجه إلينا بالشيء فلا يذوق منه.

❐ ❐ ❐

الباب الثامن والثلاثون
في ذكر كرمه وجوده

- عن أبي حفص عمر بن صالح الطرسوسي، قال: وقع من يد أبي عبد الله أحمد بن حنبل مقراض في البئر، فجاء ساكن له فأخرجه، فلما أن أخرجه ناوله أبو عبد الله مقدار نصف درهم أقلَّ أو أكثر، فقال: المقراض يساوي قيراطًا، لا آخذ شيئًا فخرج، فلما أن كان بعد أيام قال له: كم عليك من كري الحانوت؟ قال: كري ثلاثة أشهر، وكراؤه في كل شهر ثلاث دراهم، فضرب على حسابه وقال: أنت في حل.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قال أبو سعيد بن أبي حنيفة المؤدب: كنت آتي أباك فربما أعطاني الشيء وقال: أعطيتك نصف ما عندنا فجئت يومًا فأطلت القعود، فخرج ومعه أربعة أرغفة فقال: يا أبا سعيد، هذا نصف ما عندنا، فقلت: يا أبا عبد الله، هذه الأربعة أرغفة أحب إلي من أربعة آلاف من غيرك.

- وعن يحيى بن هلال الورّاق، قال: جئت إلى محمد بن عبد الله بن نمير فشكوت إليه، فأخرج إلي أربعة دراهم أو خمسة دراهم، وقال: هذا نصف ما أملك، قال: وجئت مرة إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فأخرج إلي أربعة دراهم وقال: هذه جميع ما أملك.

- وعن علي بن عبد الصمد الطيالسي، قال: قال لي هارون المستملي: لقيت أحمد فقلت: ما عندنا شيء، فأعطاني خمسة دراهم، وقال: ما عندنا غيرها.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: كان أبو عبد الله ربما واسى من قوته، وجاءه أبو سعيد الضرير فشكا إليه، فقال له: يا أبا سعيد، ما عندنا

إلَّا هذا الجذع، فجاءه بحمال يحمله، قال: فأخذت الجذع فبعته بتسعة دراهم ودانقين.

وكان أبو عبد الله شديد الحياء، كريم الأخلاق، يعجبه السخاء.

- وعن أبي محمد النسائي جعفر بن محمد قال: قال لي أبو عبد الله يوم عيد: ادخل، فدخلت فإذا مائدة وقصعة على الخوان وعليها عراق وقدر إلى جانبه، فقال لي: كل، فلما رأى ما بي قال: إن الحسن كان يقول: والله لتأكلن وكان ابن سيرين يقول: إنما وضع الطعام ليؤكل، وكان إبراهيم بن أدهم يبيع ثيابه وينفقها على أصحابه، وكانت الدنيا أهون عليه من ذاك - وأومأ إلى جذع مطروح - فانبسطت وأكلت.

- وعن علي بن يحيى يقول: صليت الجمعة إلى جنب أحمد بن حنبل، فلما سلم الإمام، قام سائل يسأل الناس، فأخرج أحمد قطعة فدفعها إليه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: كنت مع أبي عبد الله في طريق العسكر، فنزلنا منزلا، فأخرجت رغيفًا ووضعت بين يديه كوز ماء، فإذا بكلب قد جاء فقام بحذائه، وجعل يحرك ذنبه، فألقى إليه لقمة، وجعل يأكل ويلقي إليه لقمة، فخفت أن يضر بقوته فقمت فصحت به لأنحيه بين يديه، فنظرت إلى أبي عبد الله قد احمرَّ وتغير من الحياء، وقال: دعه، فإن ابن عباس قال: لها أنفس سوء[(١)].

❐ ❐ ❐

(١) أورده ابن قتيبة في (تأويل مختلف الحديث). ١٣٥ وقال: يعني أن لها عيونا تصيب بها، والنفس: العين. وقال ابن مفلح: يعني أعين سوء. الآداب الشرعية (٣/ ١٨٢).

الباب التاسع والثلاثون
في ذكر قبوله الهدية ومكافأته عليها

- عن صالح، قال: أهدى إلى أبي رجل ولد له مولود: خوان فالوذج، فكافأه سكرا بدراهم صالحة.

- وعنه: أن رجلا أهدى إلى أبيه فاكهة، فبعث إليه بثوب.

- قال الخلال: وحدثنا المروذي، قال: رأيت أبا عبد الله وقد أهدى إليه إنسان ماء زمزم، فأرسل إليه سويقا وسكرا، وأمرني أن أشتري لإنسان هدية بقريب من خمسة دراهم، وقال: اذهب إلى صبيانه فإنه قد وهب لسعيد شيئا.

- وعن إسحاق بن إبراهيم، قال: أهدى جوين -جار لأبي عبد الله- إلى أبي عبد الله شيئا من جوز وزبيب وتين في قصعة ما تساوي ثلاثة دراهم أو أقل، فأعطاني أبو عبد الله دينارا وقال: اذهب فاشتر بعشرة دراهم سكرا وبسبعة دراهم تمرا، واذهب به إليه في الليل. ففعلت.

- وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، قال: قال أبي: قدم رجل من سمرقند وكتب له عبد الله بن عبد الرحمن إلى أبي عبد الله فجعل له مجلسًا، فأهدى يومًا إلى أبي عبد الله ثوبًا، فأعطاه أبو عبد الله لأبي فقال: اذهب به إلى السوق فقومه، قال أبي: فذهبت إلى قطيعة الربيعة فقومته نيفا وعشرين درهمًا، فرجعت فقلت له، فحجبه أبو عبد الله حتى اشترى له ثوبين ومقنعتين -أو ثوبًا ومقنعة- وبعث به إليه، ثم أذن له فحدثه.

❐ ❐ ❐

الباب الأربعون
في ذكر زهده

- عن سليمان بن الأشعث، يقول: ما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط.

- وعن أبي حفص عمر بن سليمان المؤدب، قال: صليت مع أحمد بن حنبل التراويح وكان يصلي به ابن عمير، فلما أوتر رفع يده إلى ثدييه، وما سمعنا من دعائه شيئًا ولا ممن كان في المسجد، وكان فيه سراج على الدرجة لم يكن فيه قنديل ولا حَصير ولا خَلوق.

- وعن إبراهيم بن مته السمرقندي، قال: سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن أحمد بن حنبل، قلت: هو إمام؟ قال: إي والله، إن أحمد صبر على الفقر سبعين سنة.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: قلت لأبي: بلغني أن أحمد الدورقي أعطى ألف دينار، فقال: يا بنيَّ ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١] وذكرت له ابن أبي شيبة، وعبد الأعلى النرسي، ومن قدم به إلى العسكر من المحدثين، فقال: إنما كانت أيامًا قلائل، ثم تلاحقوا، وما نحلوا منا بكثير شيء، وذكر عنده يومًا رجل فقال: يا بني، الفائز من فاز غدًا ولم يكن لأحدٍ عنده تبعة.

- وعن أبي جعفر القطان، قال: كان أيام الغلاء يجيئني أبو عبد الله بغزل ويستره أبيعه له، فكنت ربما بعته بدرهم ونصف، وربما بعته بدرهمين، فتخلف يومًا فلما جاء قلت: يا أبا عبد الله، لم تجئ أمس، فقال: أم صالح اعتلت. ودفع إلي غزلًا فبعته بأربعة دراهم، فجئت بها، فأنكر ذلك، وقال: لعلك زدت فيه من عندك؟ قلت: لا، ما زدت فيه من

عندي، كان غزلًا دقيقًا.

- وعن صالح بن أحمد، قال: قال أبي: كانت والدتك في الغلاء تغزل غزلاً دقيقًا، فتبيع الإستار بدرهمين - أقل أو أكثر - فكان ذلك قوتنا.

قال صالح: ودخل أبي يومًا إلى منزله، وقد غيرنا سقفًا لنا، فدعاني ثم أملى علي، فقال: حدثني سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن يونس، عن الحسن، قال: قدم الأحنف بن قيس من سفر وقد غيروا سقف بيته، حمروا شقاشق[1] وخضَّروها، قال: فقالوا له: أما ترى إلى سقف بيتك؟ فقال: معذرة إليكم إني لم أره، لا أدخله حتى تغيروه.

قال صالح: واشتريت جارية، فشكت إليه أهلي، فقال: قد كنت أكره لهم الدنيا، وكان بلغني عنك الشيء، فقالت له: يا عم، ومن يكره الدنيا غيرك؟ قال لها: فشأنك إذن.

قال صالح: وكنا ربما اشترينا الشيء فنستره عنه كي لا يراه فيُوبخنا على ذلك.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: رأيت أحمد بن عيسى المصري ومعه قوم من المحدثين دخلوا على أبي عبد الله ونحن بالعسكر، فقال له أحمد بن عيسى: ما هذا الغم يا أبا عبد الله؟ الإسلام حنيفية سمحة، بيت واسع. فنظر إليهم وكان مضطجعًا، فلما خرجوا قال لي: انظر إلى هؤلاء، ما أريد أن يدخل علي منهم أحد.

- وعن إسحاق بن هانئ النيسابوري، قال: قال لي أبو عبد الله: بكر يومًا حتى تعارضني بشيءٍ من «الزهد» فبكرت إليه، وقلت لأم ولده:

(١) جنس من الثياب. (اللسان).

أعطني حصيرًا ومخدة، فبسطته في الدهليز. فخرج أبو عبد الله ومعه الكتب والمحبرة، فنظر إلى الحصير والمخدة، فقال: ما هذا؟ فقلت: لتجلس عليه، فقال: ارفعه، الزهد لا يحسن إلا بالزهد، فرفعته وجلس على التراب.

- وعن السري بن محمد - خال ولد صالح - قال: جاء أحمد بن صالح يوضئ أبا عبد الله يومًا، وقد بل أبو عبد الله خرقة فألقاها على رأسه، فقال له أحمد بن صالح: يا جدي، أنت محموم؟ قال أبو عبد الله: وأنى لي بالحمى.

- وعن ابن جبلة، قال: كنت على باب أحمد بن حنبل والباب مجاف، وأم ولده تكلمه وتقول له: أنا معك في ضيق، منزل صالح يأكلون ويفعلون ويفعلون، وهو يقول: قولي خيرًا. وخرج الصبي معه فبكى، فقال له: أي شيء تريد؟ فقال: زبيب، قال: اذهب فخذ من البقال بحبة.

- وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، قال: سمعت أبي يقول: قال لي أبو عبد الله عند رجوعه من العسكر: تذهبوا إلى صاحب الحمَّام فتقولوا له حتى يخلي الحمام، فصرت إلى الحمامي، فقلت له، فأخلاه له، فأتيت أبا عبد الله فأخرته بأنه قد أخلى الحمام، فقال أبو عبد الله: هذه خمسون سنة لم أدخل الحمام، يجوز أيضًا ألا أدخل الساعة، قل له: يطلقه للناس، فأتيت الحمامي فأطلقه للناس.

- وعن صالح بن أحمد، قال: كان أبي يتنور في البيت، فقال لي في يوم شتوي: أريد أن أدخل الحمام بعد المغرب، فقل لصاحب الحمام، فلما كان المغرب قال: ابعث إليه أني قد أضربت عن الدخول، وتنور في البيت.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كنت جالسًا عند أبي يومًا، فنظر إلى رجلي وهما لينتان ليس فيهما شقاق، فقال لي: ما هذه الرجلان؟! لم لا تمشي حافيًا حتى تصير رجلاك خشنتين؟

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول لشجاع بن مخلد العطار: يا أبا الفضل، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل.

- وعنه، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: أسر أيامي إلي يوم أصبح وليس عندي شيء.

❐ ❐ ❐

الباب الحادي والأربعون
في ذكر صفة بيته وآلاته

- عن علي بن المديني، يقول: دخلت منزل أحمد بن حنبل، فما شبهت ببيته إلا بما وصف من بيت سويد بن غفلة، من زهده ووتواضعه.

قال ابو الفرج: سويد بن غفلة من كبار التابعين، وفد إلى رسول الله ﷺ وقد قُبض، فصحب أبا بكر وعمر وعثمان وعلي، وكان من الزاهدين في الدنيا.

- وعن عمران بن مسلم، قال: كان سُويد بن غَفلة إذا قيل له: أُعطي فلان، وَوُلِّي فلان، قال: حسبي كسرتي وملحي.

- وعن حَسن بن سيار، قال: دخلت إلى أحمد بن حنبل وأنا صبي مع أستاذي نجصص له بيتًا، قال له أحمد: جصصه باليد ولا تمسحه بالمالج[1] ثم فرشناه بالطوابيق، فلما فرغنا استحسنه وقال: هذا نظيف يصلي عليه الرجل، وليس فيه بارية ولا حصير، ودفع إلي كف تمر.

- وعن الحسن بن محمد بن الحارث، قال: دخلت دار أحمد فرأيت في بهوه حصيرًا خلقًا ومسورة، وكتبه مطروحة حواليه، وحُب خزف.

- وعن عبد الملك بن عبد الحميد، قال: كان لأبي عبد الله طاق في منزله، فرأيته قد علق عليه مِسحًا.

- وعن أبي داود، قال: رأيت لباب دار أبي عبد الله سترًا خلقًا ملبدًا، ورأيت بقربه شيئًا نحوًا مما تعلق به الأداوي في الأسفار، عليه عدة قلال.

---

(١) **المالج** - **بفتح اللام** -: الذي يطين به، فارسي معرب (القاموس).

- وعن محمد بن موسى، قال: كان باب أبي عبد الله بابا كبيرا من لبن، ثم جئت بعد وعلى الباب ستر شعر.

- وعن أبي إبراهيم الزهري يقول: إن أبا عبد الله قال له في كلام - قال: وجعل يعزيني، ويقول: ترى بابنا هذا، إنما بنيته بالدين.

- عن أحمد بن الحسن، قال: دخلت على أبي عبد الله غير مرة وهو متربع بين يديه كانون من طين، وله ثلاث قوائم فيه جمر، وتحته لبد له.

❐ ❐ ❐

الباب الثاني والأربعون
في ذكر مطعمه

- عن صالح بن أحمد، قال: ربما رأيت أبي يأخذ الكسر فينفض الغبار عنها ثم يصيرها في قصعة ويصب عليها الماء حتى تبتل ثم يأكلها بالملح، وما رأيته قط اشترى رمانا ولا سفرجلاً ولا شيئًا من الفاكهة، إلا أن يكون يشتري بطيخة فيأكلها بخبز أو عنبًا أو تمرًا، فأما غير ذلك فما رأيته قط اشتراه، وربما خبز له فيجعل في فخاره عدسًا وشحمًا وتمرات شهريز[١]، فيخص الصبيان بقصعة، فيصوت ببعضهم، فيدفعه إليهم فيضحكون، ولا يأكلون، وكان كثيرًا ما يأتدم بالخل، وكان يشترى له شحم بدرهم، فكان يأكل منه شهرا، فلما قدم من عند المتوكل أدمن الصوم، وجعل لا يأكل الدسم، فتوهمت أنه كان جعل على نفسه إن سلم أن يفعل ذلك.

- وعن النيسابوري صاحب إسحاق بن إبراهيم: قال لي الأمير: إذا جاؤوا بإفطاره فأرنيه، قال: فجاؤوا برغيفين خبزا وخيارة، فأريته الأمير، فقال: هذا لا يجيبنا إذا كان هذا يقنعه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله، يقول في أيام العيد: اشتروا لنا أمس باقلاء، فأي شيء كان به من الجودة؟

- وعن الحسن بن خلف الصايغ، قال: جاءني المروذي في علة عبد الله، قال: أبو عبد الله عليل، فذهبت بالمتطبب فدخلنا عليه، فقال: ما حالك؟ قال: احتجمت أمس، قال: وما أكلت؟ قال: خبزا وكامخا،

---

(١) **تمر سمريز وشهريز**: نوع من التمر معروف (القاموس).

قال: يا أبا عبد الله تحتجم وتأكل خبزا وكامخا[١]؟! قال: فما آكل؟

- وعن حنبل بن إسحاق: لما مرض أبو عبد الله وصف له عبد الرحمن دهن اللوز، فأبى أن يشربه، وقال: الشيرج[٢]. فلما اشتدت علته جعل له اللوز، فلما علم به نحاه ولم يشربه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قد وجدت البرد في أطرافي، ما أراه إلا من إدامي أكل الخل والملح. وقد روى إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، قال: كان أبو عبد الله لا يطرح في قدر له فلفلاً ولا ثومًا.

قال: وتعشيت مرة أنا وهو وقرابة له، فجعلنا نتكلم وهو يأكل ويمسح يده عند كل لقمة بالمنديل، وجعل يقول عند كل لقمة: الحمد لله. ثم قال لي: أكل وحمد خير من أكل وصمت.

❐ ❐ ❐

(١) **الكامخ**: بفتح الميم وربما كسرت معرب وهو ما يؤتدم به يقال له المري ويقال هو الرديء منه و الجمع (كوامخ) (المصباح المنير (٢/ ٥٤٠)).

(٢) الشيرج، تعريب شيره: وهو دهن السمسم.

الباب الثالث والأربعون
في ذكر رفقه بنفسه

- عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: اعتل أبي فتعالج، وكان يشترى له في الشتاء العروق، أصول الشوك، وتوقد له وتصير في كانون ضيق فيستطلي به.

- وعن يعقوب بن يوسف المطوعي، قال: كان أبو عبد الله أحمد بن حنبل لا يأكل الخبيص بملعقة، كان يدع الخبيص في كفه ويستفه سفا، وكان يأكل خبز الرقاق، فقلت: كيف علمت؟ قال: كنت على بابه وقد خبز صالح ابنه في بيته، فجاء سائل، فوقف على الباب يسأل فأخرجوا إليه كسرة رقاق، فعلمت أن أحمد كان يأكل الرقاق، لأن النبي ﷺ قال: « لا تطعموهم مما لا تأكلون »[١].

❐ ❐ ❐

(١) أخرجه أحمد في (المسند)(٢٤٧٨٠).

الباب الرابع والأربعون
في ذكر لباسه

- عن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، قال: كانت ثياب أحمد بن حنبل بين الثوبين، تساوي ملحفته خمسة عشر درهمًا، وكان ثوب قميصه يؤخذ بالدينار ونحوه، لم تكن له رقة تنكر، ولا غِلَظ يُنكر، وكانت ملحفته مهدبة.

- وعن حمدان بن علي يقول: إن أبا عبد الله لم يكون لباسه بذاك، إلا أنه قطن نظيف، وكان بأَخَره في لباسه أجود لما كان يستعين بالغلة التي استغنى ولده عنها.

- وعن الفضل بن زياد، قال: رأيت على أبي عبد الله في الشتاء قميصين وجبة ملونة بينهما، وربما لبس قميصًا وفروًا ثقيلاً، وربما رأيت عليه في البرد الشديد الفرو فوق الجبة، ورأيت عليه عمامة فوق القلنسوة وكساء ثقيلاً، فسمعت أبا عمران الوركاني يقول له يومًا: هذا اللباس كله؟ فضحك ثم قال: يا أبا عمران، أنا رقيق في البرد. وربما لبس القلنسوة بغير عمامة.

- وعن جعفر بن محمد، قال: رأيت على أبي عبد الله جُبَّة بُردٍ معقدة وقلنسوة، وعمامة، وكان في الشتاء أحيانًا يلبس الفرو، وأحيانًا الجبَّة، وربما جمعهما.

- وعن جعفر بن محمد بن مغيرة، قال: رأيت على أبي عبد الله في الصيف قميصًا وسراويل ورداءً، واتشح بالرداء، وكان كثيرًا ما يتشح فوق القميص.

- وعن موسى بن حمدون، إن حنبلاً حدثهم قال: رأيت أبا عبد الله يلبس سراويل فيشده فوق السرة، ويرتدي بقميصه.

- وعن عبد الملك الميموني، قال: رأيت أبا عبد الله عليه إزار متَّشح به، وعليه إزار آخر ارتدى به، وعنده جماعة من المحدثين وغيرهم، وما رأيت أبا عبد الله عليه طيلسان قط، ولا رداء، وإنما هو إزار صغير ظننته سُداسيًا وسألت ابن عمه فقال: سُداسي.

- وعنه، قال: رأيت أبا عبد الله يومًا صائفًا عليه قميص مشدود الإزار، وما رأيته قط مرخي الكمين - يعني في المشي -.

- وعن سليمان بن الأشعث، قال: كنت أرى إزار أبي عبد الله محلولة.

- وعن زهير بن صالح، قال: سمعت أبي يقول: كانت لأبي قلنسوة، وقد خاطها بيده فيها قطن، فإذا قام بالليل لبسها.

- وعن أحمد بن الحسين بن حسان، قال: رأيت قلنسوة لأبي عبد الله مُرقَّعة فيها بُرد وبياض مروي.

- وعن حُميد بن زنجويه قال: رأيت على أحمد بن حنبل جبة خضراء فيها رقعة بيضاء من صوف.

- وعن حمدان بن علي، يقول: رأيت على أبي عبد الله جُبة وعليها رقعة بغير لونها.

- وعن المروذي، قال: أراد أبو عبد الله أن يرقع قميصه فلم يكن عنده رقعة، فقال: أرقعه من إزاري، فقطعنا من إزاره فرقعناه، ولقد احتاج غير مرة إلى خِرَق فكان يقطع من إزاره، وأعطاني خفًا له لأرُمه قد لبسه سبع عشرة سنة، فإذا فيها خمس مواضع - أو ستة مواضع - الخُرزُ فيه من برا.

- وعن جعفر بن محمد بن معبد، قال: رأيت نعل أبي عبد الله صفراء.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: استعمل لأبي عبد الله خف فجئته به، فبات عنده ليلة، فلما أصبح قال لي: تفكرت في أمر هذا الخف - أراه قال: عامة الليل - قد شغل علي قلبي قد عزم لي أن لا ألبسه، كم ترى بقي؟ الذي مضى أكثر مما بقي، فدفع إلي خفا له خلقا فقال: اضرب على هذا الموقع رقاعا وسدد خروقه. ثم قال: تدري منذ كم هذا الخف عندي؟ نحو من ست عشرة سنة، وإنما صار إلي وهو لبيس، وهذا قد شغل علي قلبي - يعني الجديد -.

- وعن أحمد بن أصرم المزني، قال: رأيت سراويل أبي عبد الله فوق كعبيه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: رأيت على أبي عبد الله كساءً مربعًا، فكان إذا أراد أن يصلي ربما وضع أطرافه تحت قدميه.

❐ ❐ ❐

الباب الخامس والأربعون
في ذكر ورعه

- عن الدوري، قال: كتب لي أحمد بن حنبل إلى قوم من المحدثين بالبصرة، فكتب لي في كتابه: وهذا ممن يطلب الحديث[(١)].

- وعن محمد بن إبراهيم، قال: بلغني أن أحمد بن حنبل حضره قوم من أهل الحديث من إخوانه فاشترى لهم بما كان عنده، وأطعمهم، وأنه صبر على مقدار ربع سويق - وهو الكَيْلَجة - خمسة عشر يومًا بمعسكر المتوكل، يعتصم بذلك حتى أتته النفقة من بغداد، ولا يذوق من مائدة المتوكل.

- وعن إسحاق أبو موسى الأنصاري، قال: دفع المأمون إلي مالا، وقال: اقسمه على أصحاب الحديث، فإنّ فيهم ضعفاء، فما بقي منهم أحد إلا أخذ، إلا أحمد بن حنبل، فإنه أبى.

- وعن فوران، قال: كنا عند أحمد بن حنبل قبل أن يموت بليلتين، وكان ثم غلام أسود لأبي يوسف - يعني عمه - اشتراه من هذا المال فذهب يُرَوِّح أحمد فنهاه.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: دخل علي أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مرضي يعودني، فقلت: يا أبت، عندنا شيء قد بقيَ مما كان يبرنا به المتوكل أفأحج منه؟ قال: نعم، قلت: فإذا كان هذا عندك هكذا فلم لم تأخذ؟ قال: يا بني، ليس هو عندي حرام، ولكني تنزهت عنه.

---

(١) يعني: لم يقل: هذا من أهل الحديث. من ورعه، وقد سبق هذا الأثر، وذكر العلة فيه، لأنه يرى أن صاحب الحديث هو من يعمل بالحديث فكأنها تزكية.

- وعن أحمد بن القاسم الطوسي، يقول: كان أحمد بن حنبل إذا نظر إلى نصراني غمض عينيه، فقيل له في ذلك، فقال: لا أقدر أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: ما رأيت أبي في حفظه حدث من غير كتاب إلا بأقل من مئة حديث.

- وعن علي بن المديني، قال: ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب، ولنا فيه أسوة حسنة.

- وعن إبراهيم بن جابر المروزي، قال: كنا نجالس أبا عبد الله أحمد بن حنبل فنذكر الحديث ونحفظه ونُتْقنه، فإذا أردنا أن نكتبه قال: الكتابُ أحفظ، قال: فيثب وثبةً ويجيء بالكتاب.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- يقول: قد أنفقت على هذا المخرج[1] خمسة وستين درهما بدين، وإنما لي فيه ربع الكراء، قلت: فلم لم تدع عبد الله ينفق عليه؟ قال: كرهت أن يفسد علي الدراهم.

- وعن أحمد بن محمد التستري، يقول: ذكروا أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما كان طعم فيها، فبعث إلى صديق له فاستقرض شيئا من الدقيق، فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام، فخبزوا بالعجلة، فلما وضع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ فقيل له: كان التنور في دار صالح مسجورًا، فخبزنا بالعجلة، فقال: ارفعوا ولم يأكل، وأمر بسد بابه إلى دار صالح.

(١) أي باب الدار التي كان يسكنها كما سبق.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله وقال لي ونحن في موضع: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [إبراهيم: ٤٥]، ثم قال: قد سكنا، أو قال: نحن فيها.

- وعن إسحاق بن إبراهيم، قال: بعثني أبو عبد الله مرة بقطع ثلاثة، أو أربعة فقال: اشتر بهذه أبزازًا[(١)] للقدر؛ ودفع لى قطعة أخرى على حدة، فقال: اشتر بهذه أيضا أبزازا ولا تخلطه، فاختلط، فجئت به فأخبرته أنه اختلط، فقال لي: رده وخذ القطع، فرددته وأخذت القطع، فطرحها في دراهم الجارية لما اشتبه عليه.

- وعن إسحاق بن إبراهيم بن هانئ، يقول: أعطاني أبو عبد الله يوما قطعة فقال: اشتر لي بهذه القطعة أيضا باقلاء وماءه، وأعطتني أيضا حسن أم ولده قطعة، فقالت: اشترلي بهذه القطعة أيضا باقلاء، فقال: اشتر للصبيان زيتا وباقلاء، ففضل حبة أو حبتان من قطع الصبيان، فقلت لصاحب الباقلاء: أعطني به زيتا، فصببته على الباقلاء الذي أخذته لأبي عبد الله، فلما جئت به وضعته بين يديه، فنظر أثر الزيت، فقال لي: ما هذا؟ فقلت: فضل من قطع الصبيان حبة فصببت لك بها زيتا، فقال: ارفع يا أحمق، ومن أمرك بهذا؟ متى تعقل؟ ولم يأكله.

قال الخلال: وأخبرنا محمد بن علي السمسار، قال: سمعت أبا عبد الله يقول لإسحاق بن إبراهيم النيسابوري: خذ من أم علي - يعني ابنة أبي عبد الله - ما تعطيك، فدخل وخرج ومعه دجاجة، فخرجنا جميعا فقلت لإسحاق: ما قالت لك؟ قال: قالت: أبي يريد أن يحتجم وليس معه شيء، فقال لي: أعط إسحاق الدجاجة يبيعها، فإني

(١) **الأبزاز**: التوابل.

محتاج إلى الحجامة، فصرنا بها إلى السوق، فأعطى بها درهما ودانقين، فلم يبعها وردها فلما صرنا إلى القنطرة فإذا عبد الله جالس في دكان ابن بختان، فدعا إسحاق وقال: أي شيء هذا؟ لمن هذه؟ فقلت: أعطتني أم علي أبيعها. فقال: كم أعطيت بها؟ قال: درهما ودانقين. فقال: بعنيها بدرهم ونصف. فأعطاه درهما ونصفا وأخذها منه، فلما صار إلى أبي عبد الله، قالت أم علي: بكم بعتها؟ قال: بدرهم ونصف، فقالت: بس؟! فقال لها: أعطوني في السوق درهما ودانقين، فقال أبو عبد الله: يا إسحاق ممن بعتها؟ قلت: من عبد الله، فأخذ الثمن من أم علي وصاح علي وقال: ردها، فخرج إسحاق يعدو حتى جاء إلى عبد الله فقال له: ردها، فقد صاح علي أبوك، قال: ولم قلت له؟ فردها، قال إسحاق: فقال لي أبو عبد الله: مر بها إلى السوق ولا تمر بها على عبد الله، فبعتها من غريب بدرهم وثلث ثم جئت إلى أبي عبد الله، فقال: لعلك دفعتها إلى عبد الله؟ قلت: لا بعتها من رجل غريب.

- وعن محمد بن علي السمسار، قال: كانت لأم عبد الله بن أحمد دار معنا في الدرب يأخذ منها درهما بحق ميراثه، فاحتاجت إلى نفقة [لتصلحها][(١)] فأصلحها عبد الله، فترك أبو عبد الله الدرهم الذي كان يأخذه وقال: قد أفسده عبد الله[(٢)].

(١) زيادة طبقات الحنابلة (١/ ٢٤).

(٢) سبب هذا الورع، كسبب ورعه عن أخذ حقه من الأجرة، قال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة معلقا على هذا الأثر: (قلت: إنما تورع من أخذ حقه من الأجرة خشية أن يكون ابنه أنفق على الدار مما يصل إليه من مال الخليفة، ونهى ولديه وعمه عن أخذ العطاء من مال الخليفة، فاعتذروا بالحاجة، فهجرهم شهرا لأخذ العطاء) اهـ. (١/ ٢٤).

- وعن محمد بن علي، قال: حدثنا صالح، أن أباه مرض، فوصف له عبد الرحمن المتطبب قرعة تشوى ويسقى ماءها فقال لي: يا صالح، لا تشو في منزلك ولا منزل عبد الله، فسمعت المروذي يقول فمضيت بها وشويتها وجئت بها إليه.

- وعن محمد بن عياش، قال: أرسلني أبو عبد الله فاشتريت له سمنًا بقطعةٍ، فجئت به على ورقة بقل، فأخذ السمن وأعطاني الورقة وقال: ردها.

- وعن الصحنائي، قال: أعطاني أحمد بن حنبل قطعة أشتري له بها باقلاء على خُبز مثرود، فجئت بباقلاء كثيرة، فقال لي: هذا كثير؟ فقلت له: كان باقلانيان يبيعان مضارة رخيصًا، فقال لي: رده عليه، وادفع إليه الخبز والباقلاء، ودع القطعة عليه وتعال، ففعلت.

- وعن عبد الله بن أيوب المخزومي، يقول: نزل عندنا روح بن عُبادة، فجاء أحمد بن حنبل إليه وبات هاهنا، وخُبزه في كمه، ويشرب من ماء النهر، وينتظر روحًا حتى خرج، فجاء يحيى بن أكثم في ضبنةٍ[(١)] فجلس بين يدي أحمد وجعل يسائله، وأحمد مطرق، فلما رآه لا يقبل عليه قام وتركه.

- وعن جعفر بن محمد بن يعقوب يقول: جاء رسول من دار أحمد بن حنبل إليه يذكر له أن أبا عبد الرحمن[(٢)] عليل واشتهى الزبد، فناول رجل من أصحابه قطعة وقال: اشترِ له بها زُبدًا، فجاء به على ورق سِلقٍ، فلما أن نظر إليه، قال: من أين هذا الورق؟ فقال: أخذته من عند البقال، قال: أستأذنتَه في ذلك؟ قال: لا، قال: رده.

(١) الضبنة - مثلثة الضاد - العيال ومن لاغناء فيه ولا كفاية من الرفقاء. (القاموس). (ح).
(٢) هذه كنية ابنه عبد الله.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: وُلد لي مولود، فأهدى لي صديق شيئًا، ثم أتى على ذلك أشهر وأراد الخروج إلى البصرة، فقال لي: تُكلم أبا عبد الله يكتب لي إلى مشايخ بالبصرة؟ فكلمته، فقال: لولا أنه أهدى إليك كنت أكتب له.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كان هاهنا شيخ، قال: رأيت على أبي عبد الله جَرَبًا، فجئت بدواءٍ فقلت: ضع هذا عليه، فأخذه ثم رده، فقلت له: لم رددته؟ فقال: أنتم تسمعون مني.

- وعن إبراهيم الهروي، قال: كنا على باب هشيم، فأتاه رجل بكتاب شفاعة، فأذن له فدخلنا مع صاحب الشفاعة، وأحمد بن حنبل على الباب، وهو حدث له أقل من عشرين سنة، فقلنا له: يا أبا عبد الله ادخل. قال: لم يؤذن لي.

- عن أبي بكر المروذي، قال: سُقِف لأبي عبد الله سطح الحاكة، وجُعل مسيل الماء إلى الطريق، فبات تلك الليلة، فلما أصبح قال: ادع لي النجار يحول الميزاب إلى الدار، فدعوته له فحوله.

- وعن إبراهيم الحربي، قال: لزمت أحمد بن حنبل سنتين، فكان إذا خرج ليُحدثنا يُخرج معه محبرة مجلدة بجلد أحمر وقلمًا، فإذا مر به سقط أو خطأ في كتابه أصلحه بقلمه من مِحبرته، يتورع أن يأخذ من محبرة أحدنا شيئًا، وكنا نقول لأحمد في الشيء: تحفظه؟ فيقول: لا إلا من كتاب.

- وعن سلمة ابن شبيب، قال: سألت أحمد بن حنبل عن محمد بن معاوية النيسابوري، فقال لي: نعم الرجل يحيى بن يحيى. قلت: إنما ورَّى عن ذكر هذا المذموم بذاك الممدوح، فإن محمد بن معاوية معدود في

الكذابين، وقد قدح فيه في رواية أخرى عنه، لكنه كان يجتنب القدح في أوقات.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول ليحيى بن معين: يا أبا زكريا، بلغني أنك تقول: حدثنا إسماعيل بن علية، فقال يحيى: نعم، أقول هكذا، قال أحمد: فلا تقله، قل: إسماعيل بن إبراهيم، فإنه بلغني أنه يكره أن ينسب إلى أمه، قال يحيى لأبي: قد قبلنا منك يا معلم الخير. قال ابو الفرج: وقد نسب جماعة إلى أمهاتهم، وغلب ذلك عليهم، كبلال بن حمامة، ومعاذ بن عفراء، وبشير بن الخصاصية، وابن بحينة، ويعلى من مُنْية، في خلق كثير قد ذكرته في كتاب «التلقيح» والورع ترك ما يكرهه المنسوب.

- وعن أبي فروة يزيد بن محمد الرهاوي، قال: لقيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل ببغداد، فقال لي فيما يقول: ما فعل الرجل الذي عندكم بحران الجوهري عنده علم؟ فقلت له: ما اعرف بحران جوهريًا يُكتب عنه، فقال: بلى صاحب أبي معبد حفص بن غيلان. قلت: ما أعرفه. قال: يغفر الله لك، له بنون. قلت: لعلك تريد البومة؟ قال: إياه أعني، اكتب عنه فإنه ثقة.

قال ابو الفرج: هذا الرجل اسمه محمد بن سليمان بن أبي داود ولُقب بالبومة، فتورع الإمام أحمد عن ذكر لقبه.

- وعن أبي داود السجستاني، يقول: سألت أحمد بن حنبل عن طلاق السكران، فقال: سل غيري.

- وعن إبراهيم الحربي، قال: أوصى أحمد أن يُكَفَّر عن يمين واحد، وقال: أظن أني حنثت فيه.

- وعن أحمد بن محمد المروذي، قال: سألت أحمد بن حنبل ما لا أحصي عن أشياء فيقول فيها: لا أدري.

- وعن محمد بن عبيد اليمامي، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ربما مكثت في المسألة ثلاث سنين قبل أن أعتقد فيها شيئًا.

- وعن أبي بكر الأثرم، قال: سمعت أحمد بن حنبل يُستفتى فيكثر أن يقول: لا أدري، وذلك فيما قد عرف الأقاويل فيه، وذلك أنه يسأل عن اختياره فيذكر الاختلاف، ومعنى قوله: لا أدري، أي: ما أختار من ذلك، وربما سمعته يقول في المسألة: لا أدري، ثم يذكر فيها أقاويل.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: كنت مع أبي عبد الله بالعسكر في قصر إيتاخ، فأشرت إلى شيء على الجدار قد نُصب، فقال لي: لا تنظر إليه. قلت: فقد نظرت إليه. قال: فلا تفعل، لا تنظر إليه.

❐ ❐ ❐

الباب السادس والأربعون
في ذكر إعراضه عن الولايات

- عن الشافعي، قال: لما دخلت على هارون الرشيد قلت بعد المخاطبة: إني خلفت اليمن ضائعة تحتاج إلى حاكم، فقال: انظر رجلا ممن يجلس إليك حتى نوليه قضاءنا، فلما رجع الشافعي إلى مجلسه، ورأى أحمد بن حنبل من أمثلهم أقبل عليه فقال: إني كلمت أمير المؤمنين أن يولي قاضيًا باليمن، وإنه أمرني أن أختار رجلاً ممن يختلف إلي، وإني قد اخترتك، فتهيأ حتى أدخلك على أمير المؤمنين يوليك قضاء اليمن، فأقبل عليه أحمد وقال: إنما جئت إليك لأقتبس منك العلم، تأمرني أن أدخل لهم في القضاء! ووبخه، فاستحيا الشافعي، قلت: وقد روي لنا أن هذا كان في زمان الأمين.

- وعن أبي بكر الأثرم، قال: أخبرت أُن الشافعي قال لأبي عبد الله: يا أبا عبد الله، إن أمير المؤمنين -يعني محمدا- سألني أن ألتمس له قاضيا لليمن، وأنت تحب الخروج إلى عبد الرزاق، فقد نلت حاجتك، تقضي بالحق، وتنال من عبد الرزاق ما تريد، فقال أبو عبد الله للشافعي: يا أبا عبد الله، إن سمعت منك هذا ثانية لم ترني عندك، فظننت أنه كان لأبي عبد الله في ذلك الوقت ثلاثون -أو سبع وعشرون- سنة.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: كتب إليَّ إسحاق بن راهويه: إن الأمير عبد الله بن طاهر وجَّه إليَّ، فدخلت إليه وفي يدي كتاب أبي عبد الله، فقال: ما هذا الكتاب؟ فقلت: كتاب أحمد بن حنبل، فأخذه وقرأه وقال: إني أحبه وأحب حمزة بن الهَيْضم البوشنجي، لأنهما لم يختلطا بأمر السلطان. قال صالح: وأمسك أبي عن مكاتبة إسحاق بن

راهويه لما أدخل كتابه إلى عبد الله بن طاهر وقرأه.

- وعن أحمد بن سعيد الرباطي، قال: قدمت على أحمد بن حنبل: فجعل لا يرفع رأسهُ إلي، فقلت: يا أبا عبد الله، إنه يُكتب عني بخراسان، وإن عاملتني بهذه المعاملة رَمَوا حديثي، قال لي: يا أحمد، هل بد يوم القيامة أن يقال: أين عبد الله بن طاهر وأتباعه؟ فانظر أين تكون أنت منهم.

❐ ❐ ❐

الباب السابع والأربعون
في ذكر حبه للفقر والفقراء

- عن أبي بكر المروذي، قال: كان أبو عبد الله يُحب الفقراء، ولم أرَ الفقير في مجلس أحدٍ أعز منه في مجلسه.

- وعنه، قال: قال لي أبو عبد الله - وذكر رجلاً فقيرًا مريضًا - فقال لي: اذهب إليه وقل له: أي شيء تشتهي حتى نعمل لك؟ ودفع إلي طيبًا، قال لي: طيبه.

- وعنه، قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: ما أعدل بالفقر شيئا، ما أعدل بالفقر شيئًا، أنا أفرح إن لم يكن عندي شيء.

وذكرت له رجلاً صبورًا على الفقر في أطمار، فكان يسألني عنه ويقول: اذهب حتي تأتيني بخبره، سبحان الله، الصبر على الفقر، الصبر على الفقر، ما أعدل بالصبر على الفقر شيئًا، تدري الصبر على الفقر أي شيء هو؟

وقال: كم بين من يُعطى من الدنيا ليَفتتن، إلى آخر تزْوي عنه، وذكرت لأبي عبد الله، الفضيل وعُريه، وفتحًا الموصلي، وعُرْيَه وصبره، فتغرغرت عينه، وقال: رَحِمهما الله، كان يُقال: عند ذكر الصالحين تَنزِل الرحمة.

وقال لي أبو عبد الله يومًا: إني لأفرح إن لم يكن عندي شيء فجاءه ابنه الصغير بعقب هذا الكلام فطلب منه، فقال: ليس عند أبيك قطعة، ولا عندي شيء.

❐ ❐ ❐

الباب الثامن والأربعون
في ذكر تواضعه

- عن محمد بن طارق البغدادي، قال: كنت جالسًا إلى جنب أحمد بن حنبل، فقلت له: يا أبا عبد الله، أستمد من مِحْبَرتك؟ فنظر إلي وقال: لم يبلغ ورعي وورعك هذا. وتبسم.

- وعن يحيى بن معين، قال: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير.

- وعن صالح، قال: كان أبي ربما أخذ القدوم[١] وخرج إلى دار السكان يعمل الشيء بيده، وربما خرج إلى البقال فيشتري الجُرْزة[٢] من الحطب، والشيء فيحمله بيده.

- وعن عارم بن الفضل قال: كان أحمد بن حنبل هاهنا عندنا بالبصرة فجاءني بمعضدة له -أو قال: صرة فيها دراهم- فكان كل قليل يجيء فيأخذ منها، فقلت له: يا أبا عبد الله، بلغني أنك رجل من العرب، فمن أي العرب أنت؟ فقال لي: يا أبا النعمان، نحن قوم مساكين. فكان كلما جاء أعدت عليه فيقول لي هذا الكلام، ولا يخبرني حتى خرج من البصرة.

. وعن إسماعيل بن إسحاق الثقفي، قال: قلت لأبي عبد الله أول ما رأيته: يا أبا عبد الله، ائذن لي أقبل رأسك، فقال: لم أبلغ أنا ذلك؟

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قلت لأبي عبد الله: الرجل يقال له في وجهه: أحييت السنة؟ قال: هذا فساد لقلب الرجل.

---

(١) القدوم بتخفيف الدال وتشديدها: آلة النحت والنجر.

(٢) **الجرزة**: الحزمة. (ح) (ت).

- وعن محمد بن موسى بن أبي موسى، قال: رأيت أبا عبد الله وقد قال له خراساني: الحمد لله الذي رأيتك، فقال له: اقعد، أي شيء ذا؟ من أنا!

- قال الخلال: وأخبرني أحمد بن الحسين بن حسان، قال: دخلنا على أبي عبد الله، فقال له شيخ من أهل خراسان: يا أبا عبد الله، الله الله! فإن الناس يحتاجون إليك، قد ذهب الناس، فإن كان الحديث لا يمكن فمسائل، فإن الناس مضطرون إليك. فقال أبو عبد الله: إلي أنا؟ واغتم من قوله وتنفس صعداء، فرأيت في وجهه أثر الغم.

وقيل لأبي عبد الله: جزاك الله عن الإسلام خيرًا، فقال: لا، بل جزى الله الإسلام عني خيرًا، ثم قال: ومن أنا؟ ومن أنا؟

ودفع إلى أبي عبد الله كتاب من رجل يسأله أن يدعو الله له، فإن دعونا لهذا، نحن من يدعو لنا؟

قال الخلال: وأخبرني محمد بن أحمد بن واصل، قال: سمعت أبا عبد الله غير مرة يقول: من أنا حتى تجيئون إليَّ؟ من أنا حتى تجيئون إلي؟ اذهبوا اطلبوا الحديث.

قال الخلال: وأخبرنا علي بن عبد الصمد الطيالسي، قال: مسحت يدي على أحمد بن حنبل، ثم مسحت يدي على بدني وهو ينظر، فغضب غضبًا شديدًا، وجعل ينفض يده، ويقول: عمن أخذتم هذا؟ وأنكره إنكارًا شديدًا.

- وعن خطاب بن بشر، قال: قال أبو عثمان الشافعي لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: لا يزال الناس بخير ما من الله عليهم ببقائك، أو كلام من هذا النحو كثير. فقال: لا تقل هذا يا أبا عثمان، لا تقل هذا

يا أبا عثمان، ومن أنا في الناس؟

قال خطاب: وسألته عن شيء من الورع، فرأيته قد أظهر الاغتمام، وتبين عليه في وجهه، إزراء على نفسه، واغتمامًا بأمره، حتى شق علي، فقلت لرجل كان معي حين خرجنا: ما أراه ينتفع بنفسه أيامًا، جددنا عليه غمًا.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله - وذكر أخلاق الورعين - فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟ وقلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعين لك؟ فتغرغرت عينه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدارجا، أسأل الله أن يجعلنا خيرا مما يظنون، ويغفر لنا ما لا يعلمون.

قلت لأبي عبد الله: إن بعض المحدثين قال لي: أبو عبد الله لم يزهد في الدراهم وحدها؛ قد زهد في الناس، فقال أبو عبد الله: ومن أنا حتى أزهد في الناس؟ الناس يريدون يزهدون في.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: رأيت أبي إذا جاءه الشيخ والحدث من قريش، أو غيرهم من الأشراف، لا يخرج من باب المسجد حتى يخرجهم، فيكونوا هم يتقدمونه، ثم يخرج بعدهم.

وقد روى أحمد بن علي الأبار، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل - وسأله رجل -: حلفت بيمين ما أدري أي شيء هي؟ فقال: ليت أنك إذا دريت دريت أنا.

❐ ❐ ❐

الباب التاسع والأربعون
في إجابته الدعوة وخروجه لرؤية المنكر

- عن إبراهيم الحربي، قال: كان أحمد بن حنبل يأتي العرس، والإملاك، والختان يجيب ويأكل.

- وعن أبي شعيب صالح بن عمران الدَّعَّاء، قال: دعا رجل أحمد بن حنبل، فقال له: ترى أن تعفيني بعد الإجابة؟ فقال: لا، فذهب الرجل، فأقعد مع أحمد من لم يشتهِ أحمد أن يقعد معه، فقال أحمد عند ذلك: رحم الله ابن سيرين، فإنه قال: لا تكرم أخاك بما يشق عليه، ولكن أخي هذا أكرمني بما يشق عليَّ.

- وعن صالح بن أحمد، قال: كان رجل يختلف إلى عفان، يقال له: أحمد بن الحكم العطار، فختن بعض ولده، فدعا يحيى وأبا خيثمة، وجماعة من أصحاب الحديث، وطلب إلى أبي يحضر، فمضوا ومضى أبي معهم وأنا معهم، فلما دخل أجلس في بيت، ومعه جماعة من أصحاب الحديث، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، هاهنا آنية من الفضة، فالتفت فإذا كرسي، فقام فخرج، وتبعه من كان في البيت، وأخبر الرجل فخرج فلحق بأبي، وحلف أنه ما علم بذلك ولا أمر به، وجعل يطلب إليه فأبى، وجاء عفان، فقال له الرجل: يا أبا عثمان، اطلب إلى أبي عبد الله يرجع، فكلمه عفان، فأبى أن يرجع، ونزل بالرجل أمر عظيم.

- وعن علي بن أبي صالح السَّواق، قال: كنا في وليمة باب المقير قال: فجاء أحمد بن حنبل، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة، فخرج فلحقه صاحب المنزل، فنفض يده في وجهه، وقال: زيُّ المجوس، زي المجوس، وخرج.

❐ ❐ ❐

الباب الخمسون
في ذكر إيثاره العزلة والوحدة

- عن عبد الله بن أحمد، قال: كان أبي أصبر الناس على الوحدة، وبشر رَحِمَهُ اللَّهُ فيما كان فيه لم يكن يصبر على الوحدة، فكان يخرج إلى ذا ساعة، وإلى ذا ساعة.

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: كان أبي أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد إلا في المسجد، أو حضور جنازة، أو عيادة مريض، وكان يكره المشي في الأسواق.

- وعن فتح بن نوح، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكانا لا يكون فيه أحد من الناس.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قال لي أبو عبد الله: ما أبالي أن لا يراني أحد ولا أراه، وإن كنت لأشتهي أن أرى عبد الوهاب[(١)].

- قال الخلال: وأخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني، قال: قال ابن حنبل: رأيت الخلوة أروح لقلبي.

- وعن الفضل بن عبد الصمد الأصبهاني، قال: حضرت باب أبي عبد الله، فاستأذنت عليه، فجاء ابنه عبد الله فدخل، فقال له رجل: تعلم أبا عبد الله أن فلانًا مات وجنازته تحمل بعد العصر؟ فأخبره عبد الله، ثم خرج فقال للرجل: أخبرته وترحم عليه ودعا له، إنه يكره أن يعلم الناس بخروجه فيكثروا عليه.

---

(١) ابن الحكم بن نافع الوراق، الإمام الحجة، من خواص الإمام أحمد، توفي سنة (٢٥١هـ)، انظر: (تاريخ بغداد) ١١/ ٢٥، و (سير أعلام النبلاء) ١٢/ ٣٢٣. (ح)(ت).

- وعن أبي بكر المروذي، قال: وذكرت لأبي عبد الله عبد الوهاب على أن يلتقيا، فقال: أليس قد كرِه بعضهم اللقاء؟ وقال: يتزين لي وأتزين له، كفى بالعزلة علمًا، والفقيه هو الذي يخاف الله.

وسمعت أبا عبد الله يقول: أريد النزول بمكة، ألقي نفسي في شعب من تلك الشعاب حتى لا أعرف.

❐ ❐ ❐

الباب الحادي والخمسون
في ذكر إيثاره خمول الذكر واجتهاده في ستر الحال

- عن عبيد القارئ، قال: دخل عم أحمد بن حنبل على أحمد بن حنبل ويده تحت خده، فقال له: يا ابن أخي، أي شيء هذا الغم؟ أي شيء هذا الحزن؟ فرفع أحمد رأسه، فقال: يا عم طُوبى لمن أخمل الله ﷻ ذكره.

قال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: كان أحمد بن حنبل إذا رأيته تعلم أنه لا يظهر النسك، رأيت عليه نعلاً لا يشبه نعل القراء، له رأس كبير معقف، وشراكه مسبل، كأنه اشترى له من السوق، ورأيت عليه إزارًا، وجبة بُردٍ مخططة أسمان جون[(١)]، قال عبد الرحمن: أراد بها - والله أعلم - ترك التزيي بزي القراء، وإزالته عن نفسه ما يشتهر به.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قال لي أبو عبد الله: قل لعبد الوهاب: أخمل ذكرك، فإني أنا قد بليت بالشهرة.

وسمعته يقول: والله لو وجدت السبيل إلى الخروج لم أقم في هذه المدينة، ولخرجت منها، حتى لا أذكر عند هؤلاء ولا يذكروني.

- وعن إسحاق بن إبراهيم بن يونس، قال: رأيت أحمد بن حنبل قد صلى الغداة، فدخل منزله، وقال: لا تتبعوني مرة أخرى.

قال الخلال: وأخبرني محمد بن الحسن بن هارون، قال: رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد.

---

(١) ما كان بلون السماء من الألوان، مركب من: أسمان أي: السماء، وجون أي: لون. (ح) (ت).

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: كان أبي إذا خرج في يوم الجمعة لا يدع أحدًا يتبعه، وربما وقف حتى ينصرف الذي يتبعه.

- وعن أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم، قال: رأيت أحمد بن حنبل يمشي وحده متواضعًا.

❐ ❐ ❐

الباب الثاني والخمسون
في ذكر خوفه من الله ﷻ

- عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: كان أبي إذا دعا له رجل، يقول: الأعمال بخواتيمها، وكنت أسمعه كثيرًا يقول: اللهم سَلم سَلمْ.

- وعن حماد بن زيد، قال: زعم يحيى بن سعيد، أن سعيد بن المسيب كان يقول: اللهم سَلمْ سَلمْ.

- وعن عياش بن عقبة، قال: بلغني أن عمر بن عبد العزيز كان يكثر أن يقول: اللهم سلم سَلم.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافًا لا علي ولا لي.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: أدخلت إبراهيم الحصري على أبي عبد الله -وكان رجلاً صالحًا- فقال: إن أمي رأت لك كذا وكذا، وذكرت الجنة، فقال: يا أخي، إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا، وخرج سهل إلى سفك الدماء، وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره.

قال المروذي: وسمعت محمد بن حازم يقول: كنت عند أبي عبد الله، فأتاه رجل شيخ، فقال: يا أبا عبد الله، مررت بقوم فذكروك، فقالوا: أحمد بن حنبل من خير الناس. فما اكترث لذلك.

قال المروذي: وسمعت أبا عبد الله يقول: الخوف يمنعني من أكل الطعام والشراب فما أشتهيه.

قال المروذي: وأراد أبو عبد الله أن يبول في مرضه الذي مات

فيه، فدعا بطست فجئت به، فبال دما عبيطًا، فأريته عبد الرحمن المتطبب، فقال: هذا رجل قد فتت الغم -أو قال: الحزن- جوفه.

وبلغنا عن أبي بكر المروذي، قال: دخلت على أحمد يومًا، فقلت: كيف أصبحت؟ فقال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والملكان يطالبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، وملك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة؟

❐ ❐ ❐

الباب الثالث والخمسون
في ذكر غلبة الفكر والهم على قلبه

- عن أبي بكر المروذي، قال: دخلت موضعًا وأبو عبد الله متوكئ على يديه، فاستقبلتنا امرأة بيدها طنبور مكشوف، فتناولته منها، فكسرته، وجعلت أدوسه، وأبو عبد الله واقف منكس الرأس إلى الأرض، فلم يقل شيئًا، وانتشر أمر الطنبور، فقال أبو عبد الله: ما علمت بهذا، ولا علمت أنك كسرت طنبورًا بحضرتي إلى الساعة.

❐ ❐ ❐

الباب الرابع والخمسون
في ذكر تعبده

- عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: كان أبي لا يدع أحدًا يستقي له الماء لوضوئه إلا هو، وكان إذا خرج الدلو مَلأى، قال: الحمد لله، قلت: يا أبه، أي شيء الفائدة في هذا؟ فقال: يا بني، أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ في كل يوم سبعا، يختم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلي عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو.

- وعن القاضي محمد بن محمد بن إدريس الشافعي، قال: قال لي أحمد بن حنبل: أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سَحَرًا.

- وعن يوسف بن الحسين، قال: سألني أحمدُ بن حنبل عن شيوخ الري، وقال: أي شيء خبر أبي زرعة حفظه الله؟ فقلت: خير، فقال: خمسة أدعو لهم في دبر كل صلاة، أبواي، والشافعي، وأبو زُرعة، وآخر ذهب عني اسمه.

- وعن جعفر بن أبي هاشم، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ختمت القرآن في يوم، فعددت موضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون.

- وعن صالح، قال: كانت لأبي قَلَنْسوة قد خاطها بيده فيها قطن، فإذا قام من الليل لبسها، وكنت أسمع أبي كثيرًا يتلو سورة الكهف.

- وعن إبراهيم بن هانئ -وكان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان توارى عنده- فحكى أنه لم ير أحدًا أقوى على الزهد والعبادة، وجهد النفس، من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، قال: كان يصوم النهار ويعجل الإفطار، ثم يصلي بعد العشاء الآخرة ركعات، ثم ينام نومة خفيفة، ثم يقوم فيتطهر، ولا يزال يصلي حتى يطلع الفجر، ثم يوتر بركعة، فكان هذا دأبه طول مقامه عندي، ما رأيته فتر ليلة واحدة، وكنت لا أقوى معه على العبادة، وما رأيته مفطرًا إلا يومًا واحدًا أفطر واحتجم.

- وعن إبراهيم بن شماس، قال: كنت أعرف أحمد بن حنبل وهو غلام، وهو يحيي الليل.

قال الخلال: وأخبرنا عبد الله بن أحمد، قال: رأيت أبي لما كبر وأسن، اجتهد في قراءة القرآن، وكثرة الصلاة بين الظهر والعصر، فإذا دخلت عليه انفتل من الصلاة، وربما تكلم وربما سكت، فإذا رأيت ذلك خرجت، فيعود لصلاته، ورأيته وهو مختف أكثر ذلك يقرأ القرآن.

قال الخلال: وأخبرني أبو النضر إسماعيل بن عبد الله العجلي، قال: أتيت أبا عبد الله آخر ما رأيته، فخرج فقعد في دهليز، فقلت: يا أبا عبد الله، كنت أراك تقف عن أشياء في الفقه بان لك فيها قول؟ فقال: يا أبا النضر، هذا زمان مبادرة، هذا زمان عمل، وأخذ في نحو هذا من الكلام إلى أن قمنا.

- وعن جعفر بن أحمد المؤدب، قال: رأيت بشر بن الحارث يصلي بعد الجمعة أربعًا، لا يفصل بينهم بسلام، ورأيت أحمد بن حنبل يصلي بعد الجمعة ست ركعات، ويفصل في كل ركعتين.

- وعن أبي بكر بن عنبر الخراساني، قال: تبعت أحمد بن حنبل يوم الجمعة إلى مسجد الجامع، فقام عند قبة الشعراء يركع، وكان يتطوع ركعتين ركعتين فمر بين يديه سائل فمنعه منعًا شديدًا، فأراد السائل أن يمر بين يديه فقمنا إلى السائل فنحيناه.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له، فسمعت أبي يومًا يقول: ما صليت اليوم غير الفرض، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي.

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: خرجت مع أبي عبد الله إلى الجامع، فسمعته يقرأ سورة الكهف.

❐ ❐ ❐

الباب الخامس والخمسون
في ذكر عدد حجاته

- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حج أبي خمس حجات؛ ثلاث حجج ماشيًا، واثنتين راكبًا، وأنفق في حجاته عشرين درهمًا.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: حججتُ خَمس حِجَج منها ثلاث راجلاً، وأنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهمًا.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قال لي أبو عبد الله: قد كفى بعض الناس من مكة إلى هاهنا أربعة عشر درهما، قلت: من يا أبا عبد الله؟ قال: أنا.

❐ ❐ ❐

الباب السادس والخمسون
في ذكر دعائه ومناجاته

- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كنت أسمع أبي كثيرا يقول في دبر صلاته: اللهم صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصن وجهي عن المسألة لغيرك، فقلت له: أسمعك تكثر من هذا الدعاء، فعندك فيه أثر؟ قال: قال لي: نعم، كنت أسمع وكيع بن الجراح كثيرًا يقول هذا في سجوده، فسألته كما سألتني، فقال: كنت أسمع سفيان الثوري، يقول هذا كثيرًا في سجوده، فسألته، فقال: كنت أسمع منصور بن المعتمر يقوله.

- وعن أبي عيسى عبد الرحمن بن زاذان الرزاز، قال: صلينا وأبو عبدالله أحمد بن حنبل حاضر، فسمعته يقول: اللهم من كان على هوى أو على رأي وهو يظن أنه على الحق، وليس هو على الحق، فرده إلى الحق حتى لا يضل من هذه الأمة أحد، اللهم لا تشغل قلوبنا بما تكفلت لنا به، ولا تجعلنا في رزقك خولا لغيرك، ولا تمنعنا خير ما عندك بشر ما عندنا ولا ترانا حيث نهيتنا، ولا تفقدنا حيث أمرتنا، أعزنا ولا تذلنا، أعزنا بالطاعة ولا تذلنا بالمعاصي.

وجاء إليه رجل فقال له شيئا لم أفهمه، فقال له: اصبر فان النصر مع الصبر، ثم قال سمعت عفان بن مسلم يقول أنا همام عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا**».

- وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفار، قال: كنا عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل، فقلت: ادع الله لنا، فقال: اللهم إنك تعلم أنا نعلم أنك على أكثر مما نحب، فاجعلنا لك على ما تحب. قال: ثم سكت

ساعة، فقيل: يا أبا عبد الله زدنا، فقال: اللهم إنا نسألك بالقدرة التي قلت للسماوات والأرض: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. اللهم وفقنا لمرضاتك، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ونعوذ بك من الذل إلا لك، اللهم لا تكثر علينا فنطغى، ولا تقلل علينا فننسى، وهب لنا من رحمتك وسعة من رزقك ما يكون بلاغا لنا، وغنى من فضلك.

وبلغني عن محمد بن يعقوب الصفار، قال: كان أحمد يدعو في دبر كل صلاة: اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، ولا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا هما إلا فرجته، ولا حاجة إلا قضيتها.

- وعن طلحة بن عبيد الله البغدادي - وكان يسكن مصر - يقول: وافق ركوبي ركوب أحمد بن حنبل في السفينة، فكان يطيل السكوت، فإذا تكلم، قال: اللهم أمتنا على الإسلام والسنة.

❐ ❐ ❐

الباب السابع والخمسون
في ذكر كراماته وإجابة سؤاله

- عن عبد الله بن أحمد، قال: رأيت أبي حَرَّج على النمل أن يخرج من داره، ثم رأيت النمل قد خرجن بعد ذلك نملاً أسودًا، فلم أرهم بعد ذلك.

- وعن محمد بن علي السمسار، قال: رأيت أبا عبد الله بالليل قد جاء إلى منزل صالح، وابن صالح تسيل الدماء من منخريه، وقد جمع له الطب وهم يعالجونه بالفتل والدم غلبهم، فقال له أبو عبد الله: أي شيء حالك يا بني؟ فقال: يا جدي هو ذا أموت، ادع الله لي، فقال له: ليس عليك بأس، ثم جعل يحرك يده كأنه يدعو له، فانقطع الدم، وكانوا قد يئسوا منه، لأنه كان يرعف دائمًا.

- وعن علي بن أبي حرارة، قال: كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت لي يوما: اذهب إلى أحمد بن حنبل فسله أن يدعو الله لي، فسرت إليه فدققت عليه الباب وهو في دهليزه، فلم يفتح لي، وقال: من هذا؟

فقلت: أنا رجل من أهل ذاك الجانب، سألتني أمي - وهي زمنة مقعدة - أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب.

فقال: نحن أحوج إلى أن تدعو لنا، فوليت منصرفًا، فخرجت عجوزًا من داره فقالت: أنت الذي كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قالت: قد تركتُه يدعو الله لها، قال: فجئت من فوري إلى البيت فدققت الباب، فخرجت على رجليها تمشي، حتى فتحت الباب، فقالت: قد وهب الله لي العافية.

- وعن إبراهيم بن هانئ، قال: حدثني فلان النساج - ساكن لأبي عبد الله - قال: كنت أشتكي، فكنت أئن بالليل، فخرج أبو عبد الله في جوف الليل فقال: من هذا عندكم يشتكي؟ فقيل له: فلان، فدعا له وقال: اللهم اشفه، ودخل، فكأنه كان نارا صب عليه ماء.

قال ابو الفرج: وبلغني عن قاضي القضاة علي بن الحسين الزينبي، أنه حكى أن الحريق وقع في دارهم، فاحترق ما فيها إلا كتاب كان فيه شيء بخط أحمد.

قلت: ولما وقع الغرق ببغداد في سنة أربع وخمسين وخمس مئة، وغرقت كتبي، سلم لي مجلد فيه ورقتان بخط الإمام أحمد[١].

- وعن علي بن سعيد الرازي، قال: صرنا مع أحمد بن حنبل إلى باب المتوكل، فلما أدخلوه من باب الخاصة قال لنا أحمد: انصرفوا عافاكم الله، فما مرض منا أحد من ذلك اليوم.

❐ ❐ ❐

(١) قال الإمام الذهبي بعد أن أورد هذا الخبر: (قلت: وكذا استفاض وثبت أن الغرق الكائن بعد العشرين وسبع مئة ببغداد عام على مقابر مقبرة أحمد، وأن الماء دخل في الدهليز علو ذراع ووقف بقدرة الله، وبقيت الحصر حول الإمام بغبارها وكان ذلك آية). (ح) والله أعلم.

الباب الثامن والخمسون
في ذكر عدد زوجاته

- عن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ما تزوجت إلا بعد الأربعين.

قال ابو الفرج: وأول زوجاته عباسة بنت الفضل، أم صالح.

- وعن زهير بن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: تزوج جدي رَحِمَهُ اللَّهُ أم أبي عباسة بنت الفضل من العرب من الربض، ولم يولد له منها غير أبي، ثم توفيت.

- وعن المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، يقول: أقامت معي أم صالح ثلاثين سنة فما اختلفت أنا وهي في كلمة.

الزوجة الثانية ريحانة أم عبد الله:

- عن زهير، قال: لما ماتت عباسة أم صالح، تزوج جدي بعدها امرأة من العرب، يقال لها: ريحانة، فولدت له عمي عبد الله، لم يولد له منها غيره.

- وعن محمد بن بحر، قال: حدثني عمي، قال: لما اجتمعنا لتزويج أبي عبد الله بأخت محمد بن ريحانة، قال له أبوها: يا أبا عبد الله، إنها - ووضع إصبعه بين عينيه يعني أنها بفرد عين - فقال له أبو عبد الله: قد علمت.

- وعن أحمد بن عَبْثَر، قال: لما ماتت أم صالح، قال أحمد لامرأة عندهم: اذهبي إلى فلانة ابنة عمي، فاخطبيها لي من نفسها، قالت: فأتيتها فأجابته، فلما رجعت إليه قال: كانت أختها تسمع كلامك؟ قال: وكانت

بعين واحدة؟ فقالت له: نعم، قال: فاذهبي فاخطبي تلك التي بعين واحدة، فأتتها فأجابته، وهي أم عبد الله ابنه، فأقام معها سبعا، ثم قالت له: كيف رأيت يا ابن عمي؟ أنكرت شيئا؟ قال: لا، إلا أن نعليك هذه تَصِر.

قال الخلال: وأحفظ أن خطاب بن بشر قال: قالت امرأة لأحمد بعدما دخلت عليه بأيام: هل تنكر مني شيئًا؟ قال: لا، إلا هذه النعل التي تلبسينها ولم تكن على عهد رسول الله ﷺ. قال: فباعتها واشترت مقطوعًا، فكانت تلبسه، قال الخلال: وهي هذه المرأة، يعني: أم عبد الله.

قال الخلال: وسمعت أبا بكر المروذي، يقول: سمعت أبا عبد الله - وذكر أهله فترحم عليها - وقال: مكثنا عشرين سنة ما اختلفنا في كلمة.

قال الخلال: وهي هذه المرأة. يعني: أم عبد الله.

قال ابو الفرج: قد ذكرنا عنه أنه قال: أقامت معي أم صالح ثلاثين سنة، وفي هذه الرواية مكثنا عشرين سنة، وكلتا الروايتين عن المروذي، وإحدى الروايتين غلط بلا شك، أحمد لم يتزوج إلا بعد الأربعين، ولم يتزوج بعد أم صالح حتى ماتت، فلو أقام معها ثلاثين ومع الأخرى عشرين، تم له تسعون سنة، وكل ما عاش سبعًا وسبعين سنة، ثم كان يكون قد تزوج أم عبد الله بعد السبعين، ومعلوم أنه لم يمت إلا وعبد الله يروي عنه ويسافر معه. وكان يقول: ابني عبد الله محظوظ من حفظ الحديث، وقد طلب الحديث وسمع من العلماء في

حياة أبيه الكثير، والذي أراه أن الإشارة بقوله: مكثنا عشرين سنة، إلى أم صالح، والله أعلم، وهاتان زوجتان وما عرفنا أنه تزوج ثالثة[١].

❐ ❐ ❐

(١) ذكر مصحح المطبوعة بهامشها ما يأتي: (في هامش الأصل ما يأتي: هذا كلام من لم يتحرر له مولد عبد الله، وهذا لم يذكر في ترجمته، وذكر مولد أخيه صالح، وعبد الله ولد سنة أربع عشرة ولأبيه خمسون سنة، وقد تقدم أنه ما تزوج إلا بعد الأربعين، فلا يصح أن يكون المشار إليها بالمعاشرة ثلاثين سنة، ولا عشرين سنة أم صالح، لأنه ما تزوج بأم عبد الله إلا بعد وفاتها، ويقينا أنه لم يمكث معها إلا دون عشر سنين فتعين أن يكون المراد بهذا الكلام أم عبد الله، فإنها مكثت نحو الثلاثين على ما اقتضاه التاريخ). (ح).

الباب التاسع والخمسون
في ذكر سراريه

كان ﷺ قد اشترى جارية اسمها حُسن.

- عن أبي يوسف بن بختان، قال: لما أمرنا أبو عبد الله أن نشتري له الجارية مضيت أنا وفوران، فتبعني أبو عبد الله، وقال لي: يا أبا يوسف يكون لها لحم.

- وعن زهير بن صالح، قال: لما توفيت أم عبد الله اشترى حُسن، فولدت منه أم علي - واسمها زينب - ثم ولدت الحَسن والحُسين توأما، وماتا بالقرب من ولادتهما، ثم ولدت الحسن ومحمدًا فعاشا حتى صارا من السن إلى نحو الأربعين سنة، ثم ولدت بعدهما سعيدًا.

- وعن حُسن أم ولد أبي عبد الله، تقول: قلت لمولاي: أصرف فرد خلخالي؟ قال: وتطيب نفسك؟ قلت: نعم، قال: الحمد لله الذي وفقك لهذا. قالت: فأعطيته أبا الحسن بن صالح، فباعه بثمانية دنانير ونصف، وفرقها وقت حملي، فلما ولدت حسنا أعطى مولاي كرامة درهما، - وهي امرأة كبيرة كانت تخدمهم - وقال: اذهبي إلى ابن شجاع - جار لنا قصاب - يشتري لك بهذا رأسًا، فاشترى لنا رأسًا وجاءت به فأكلنا، فقال لي: يا حُسْن: ما أملك غير هذا الدرهم، وما لك عندي غير هذا اليوم، قالت: وكان إذ لم يكن عند مولاي شيء فرح يومه ذلك.

قالت: ودخل مولاي يومًا فقال لي: أريد أن أحتجم اليوم، وليس معي شيء فجئت إلى جرة لي فيها قريب من نصف من غزل، فأخرجته فبعثت به إلى بعض الحاكة، فباعه بأربعة دراهم، فاشتريت لحما بنصف درهم وأعطى الحجام درهما، واشتريت طيبًا بدرهم، ولما خرج مولاي

إلى سر من رأى كنت قد غزلت غزلاً لينا، وعملت ثوبًا حسنًا، فلما قدم أخرجت إليه ذلك الثوب الحسن، وكنت قد أعطيت كراه خمسة عشر درهمًا من الغلة، فلما نظر إلي، قال: ما أريده، قلت: يا مولاي، عندي غير هذا من قطن غيره، فدفعت الثوب إلى فوران فباعه باثنين وأربعين درهمًا، واشتريت منه قطنًا فغزلته ثوبًا كبيرًا فلما أعلمته، قال: لا تقطعيه دعيه. فكان كفنه، كفن فيه وأخرجت الغليظ فقطعه.

قالت: خبزت يومًا لمولاي وهو في مرضه الذي توفي فيه فقال: أين خبزتيه؟ قلت: في بيت عبد الله، قال: ارفعيه، ولم يأكل منه، قلت: ما عرفنا أن أحمد رضي الله عنه تزوج سوى المرأتين اللتين ذكرناهما: أم صالح، وأم عبد الله، ولا تسرى إلا بهذه الجارية التي ذكرنا أخبارها، واسمها حسن، إلا أن أبا الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي ذكر في كتاب «فضائل أحمد» أن أحمد استأذن أهله أن يتسرى طلبًا للاتباع، فأذنت له، فاشترى جارية بثمن يسير وسماها ريحانة استنانا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى هذا يكون قد اشترى جاريتين، وتكون إحداهما في حياة زوجته، والله أعلم.

❐ ❐ ❐

الباب الستون
في ذكر عدد أولاده

قد ذكرنا أن صالحًا من أم، وعبد الله من أم، وأن حُسنا الجارية وَلدت الحسن والحسين، ثم ولدت ثالثًا يسمى بالحسن أيضًا، ثم ولدت محمدًا، وولدت سعيدًا، وزينب -وتكنى أم علي-.

- وعن صالح، قال: جعل أبي يعتذر إلي من حُسن وسعيد ويقول: كل ما أخذ الله تعالى ميثاقه فلا بد أن يخرج إلى الدنيا.

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: وُلد لأبي مولود فأعطاني عبد الأعلى رقعةً يهنيه، فرمى بالرقعة أبي، وقال: ليس هذا كتاب عالم ولا مُحدث، هذا كتاب كاتب.

- وعن أبي محمد فوران، يقول: كنت أصحب أحمد بن حنبل ويأنس إلي، ومني يستقرض، فإذا جاء مولود بالليل وأنا لا أعلم يجيء في السحر، فيقعد على باب داري لا يدق الباب، وأنا لا أعلم به حتى أخرج إلى الصلاة، فيقوم إلي فيصحبني، فأقول له: في أي شيء جئت يا أبا عبد الله الساعة؟ فيقول: قد جاءنا مولود، فيمضي هو، وأصلي أنا الغداة وأخرج إلى القنطرة، أو باب التبن[1]، فآخذ ما يصلح للنساء، وأبعث به إليه.

❐ ❐ ❐

(١) اسم محلة كبيرة كانت ببغداد (ح) (ت).

الباب الحادي والستون
في ذكر أخبار أولاده وعقبه

ذكر صالح بن أحمد بن حنبل وأولاده وعقبه

كان صالح يكنى أبا الفضل، وهو أكبر أولاد أحمد، ولد سنة ثلاث ومئتين، وكان أحمد يحبه ويكرمه، وابتلى بالعيال على حداثة سنه، فقلت روايته عن أبيه، على أنه قد روى عنه كثيرًا، وروى عن أبي الوليد الطيالسي، وإبراهيم بن الفضل الذراع، وعلي بن المديني، وروى عنه ابنه زهير، والبغوي، ومحمد بن مخلد في آخرين، وولي قضاء أصفهان، فخرج إليها فمات بها.

- عن أبي بكر الخلال، قال: كان صالح بن أحمد بن حنبل سخيا جدا، أخبرني الحسن بن علي الفقيه بالمصيصة، قال: كان صالح قد افتصد، فدعا إخوانه وأنفق في ذلك اليوم نحوًا من عشرين دينارًا في طيب وغيره، وأحسب أنه قال: كان في الدعوة ابن أبي مريم، وإذا أبو عبد الله قد دق الباب، فقال له ابن أبي مريم: أسبل علينا الستر حتى لا نفتضح ويشم أبو عبد الله رائحة الطيب، فدخل أبو عبد الله، فقعد في الدار، وسأله عن حاله، وقال له: خذ هذين الدرهمين وأنفقهما اليوم، وقام فخرج، فقال ابن أبي مريم لصالح: فعل الله بك وفعل، لم أردت أن تأخذ الدراهم منه؟!

- وعن محمد بن علي، قال: لما صار صالح إلى أصفهان وكنت معه، بدأ بمسجد الجامع فدخله فصلى ركعتين، واجتمع الناس والشيوخ وجلس وقرئ عهده الذي كتب له الخليفة، فجعل يبكي بكاءً شديدًا حتى

غلبه فبكى الشيوخ الذين قربوا منه، فلما فرغ من قراءة العهد جعل المشايخ يدعون له

ويقولون: ما ببلدنا أحد إلا ويحب أبا عبد الله ويميل إليك. فقال لهم: تدرون ما أبكاني؟ ذكرت أبي أن يراني في مثل هذا الحال، وكان عليه السواد، وكان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد، أو متقشف، لأنظر إليه، يحب أن أكون مثله، أو يراني مثله، ولكن الله يعلم ما دخلت في هذا الأمر إلا لدين قل غلبني، وكثرة عيال، أحمد الله.

وكان صالح غير مرة إذا انصرف من مجلس الحكم ينزع سواده ويقول لي: تراني أموت وأنا على هذا الحال؟

توفي صالح في رمضان سنة خمس وستين ومئتين بأصبهان.

فأما زهير بن صالح، فإنه حدَّث عن أبيه، وروى عنه ابنُ أخيه محمد بن أحمد بن صالح، وأحمد بن سليمان النَجاد. وقال الدارقطني: زهير ثقة، قال أحمد بن كامل القاضي: توفي زُهير بن صالح في ربيع الأول سنة ثلاث وثلاث مئة.

ذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل

كان يكنى أبا عبد الرحمن، وكان أروى الناس عن أبيه، وسمع معظم تصانيفه وحديثه، وسمع من عبد الأعلى بن حماد، وكامل بن طلحة، ويحيى بن معين، وأبي بكر وعثمان ابني أبي شيبة، وشيبان بن فروخ في خلق كثير.

وكان له حظ وافر من الحفظ، وكان أحمد يقول: ابني عبد الله محظوظ من علم الحديث - أو من حفظ الحديث -.

وتوفي يوم الأحد لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة تسعين ومئتين، ودفن في آخر النهار في مقابر باب التبن، وصلى عليه زهير ابن أخيه، وكان له جمع عظيم.

ذكر سعيد بن أحمد بن حنبل

قال حنبل بن إسحاق: ولد سعيد قبل موت أحمد بنحو من خمسين يومًا.

وقال غيره: ولي سَعيد قضاء الكوفة وتوفي سنة ثلاث وثلاث مئة.

قلت: وهذا لا يصح فإن أبا منصور القزاز أخبرنا، قال: أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت، قال: سعيد بن أحمد بن حنبل حكى عن أبي مجالد أحمد بن حسين الضرير، روى عنه القاضي أبو عمران موسى بن القاسم الأشيب، ومات سعيد قبل وفاة أخيه عبد الله بدهر طويل.

قلت: وقد ذكرنا في باب ثناء العلماء على الإمام أحمد، أن إبراهيم الحربي جاء إلى عبد الله يعزيه بأخيه سعيد.

قلت: فأما الحسن ومحمد فلا نعرف من أخبارهما شيئًا وأما زينب، فقد ذكرنا بها حديثًا في باب ورعه، وأنها قالت لإسحاق بن إبراهيم: خذ هذه الدجاجة فبعها، فإن أبي يحتاج أن يحتجم، وما عنده شيء، وقد قال إسحاق: رأيت أبا عبد الله يضرب ابنته على اللَّحن وينتهرها.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: دخلت على أبي عبد الله فرأيت امرأة تمشط صبيةً له، فقلت للماشطة بعد: وصلتِ رأسها بقرامل. فقالت: لم تتركني الصبية، قالت: إن أبي نهاني. وقالت: يغضب.

وقد روي لنا أنه كانت له بنت اسمها فاطمة، والظاهر أنها غير زينب إلا أنا قد ذكرنا عن زهير عدد أولاده، ولم يذكرها فيهم، فيحتمل أن تكون هي زينب، لأن المرأة قد تسمى باسمين، ويحتمل أن تكون غيرها.

عن فاطمة بنت أحمد قالت: وقع الحريق في بيت أخي صالح، فدخلوا فإذا ثوب كان لأبي قد أكلت النار ما حوله وهو سليم.

❐ ❐ ❐

الباب الثاني والستون
في ذكر ابتداء المحنة وسببها

لم يزل الناس على قانون السلف وقولهم: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، حتى نبغت المعتزلة فقالت بخلق القرآن، وكانت تستر ذلك، وكان القانون محفوظًا زمن الرشيد.

- وعن أحمد بن إبراهيم الدورقي قال: سمعت محمد بن نوح يحدث عن المسعودي قاضي بغداد، قال: سمعت هارون الرشيد يقول: بلغني أن بشر بن غياث[1] يقول: القرآن مخلوق، ولله علي لئن أظفرني به لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحدًا قط.

قال أحمد: فكان بشر متواريًا أيام هارون نحوًا من عشرين سنة حتى مات هارون، فظهر ودعا إلى الضلالة، وكان من المحنة ما كان.

قلت: فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين، فلما ولي المأمون خالطه قوم من المعتزلة فحسنوا له القول بخلق القرآن، وكان يتردد في حمل الناس على ذلك، ويراقب بقايا الأشياخ، ثم قوي عزمه على ذلك فحمل الناس عليه.

❐ ❐ ❐

(١) بشر بن غياث المريسي المتكلم المناظر، كان من الفقهاء ثم نظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه حتى كان عين الجهمية في عصره، توفي سنة (٢١٨هـ) عن سن يقارب الثمانين.

الباب الثالث والستون
في ذكر قصته مع المأمون

قال العلماء بالسير: كتب المأمون وهو بالرقة إلى إسحاق بن إبراهيم - وهو صاحب الشرطة ببغداد - بامتحان الناس فامتحنهم.

- عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: لما أدخلنا على إسحاق بن إبراهيم للمحنة، وقرئ علينا كتابه الذي صار إلى طرسوس - يعني المأمون - فكان فيما قرئ علينا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وهو خالق كل شيء، فقلت: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١](١).

قال صالح: ثم امتحن القوم، فوجه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القومُ جميعًا غير أربعة: أبي، ومحمد بن نوح، وعبيد الله بن عمر القواريري، والحسن بن حماد، سَجادة، ثم أجاب عبيد الله بن عمر، والحسن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نوح في الحبس، فمكثا أيامًا في الحبس، ثم ورد الكتاب من طرسوس بحملهما، فحُملا مقيدين زميلين.

- وعن أبي معمر القطيعي، قال: لما حضرنا في دار السلطان أيام المحنة وكان أبو عبد الله أحمد بن حنبل قد أحضر، وكان رجلاً لينًا، فلما رأى الناس يجيبون انتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين الذي كان فيه، فقلت: إنه قد غضب لله، قال أبو معمر: فلما رأيت ما به قلت: يا أبا عبد الله: أبشر؛ حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، عن

(١) أي تكملة الآية فالآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ففيها نفي المثلية مع إثبات الصفات. أما هؤلاء فينفون ويقصدون نفي الصفات بالكلية)، فقال لهم الإمام أحمد: أكملوا الآية، فإن فيها الرد عليكم، هذا معنى كلامه.

الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: كان من أصحاب النبي ﷺ من إذا أريد على شيء من دينه رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون.

- وعن ابن أبي أسامة، يقول: حكي لنا: أن أحمد بن حنبل قيل له أيام المحنة:

يا أبا عبد الله، ألا ترى الباطل كيف ظهر على الحق؟ فقال: كلا إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة وقلوبنا بعد لازمة للحق.

- وعن صالح بن أحمد، قال: حُمل أبي ومحمد بن نوح مقيدين، فصرنا معهما إلى الأنبار، فسأل أبو بكر الأحول أبي، فقال: يا أبا عبد الله، إن عرضت على السيف تجيب؟ قال: لا، ثم سُيرا قال: فسمعت أبي يقول: لما صرنا إلى الرحبة ورحلنا منها - وذلك في جوف الليل - عَرض لنا رجل، فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا فقال للجمَّال: على رسلك، ثم قال: يا هذا ما عليك أن تقتل هاهنا وتدخل الجنة هاهنا ثم قال: أستودعك الله، ومضى.

قال أبي: فسألت عنه، فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة، يعمل الشعر في البادية يقال له: جابر بن عامر، يُذكر بخير.

- وعن إبراهيم بن عبد الله، قال: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر الذي وقعت فيه، أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق، قال لي: يا أحمد، إن يقتلك الحق متَّ شهيدًا، وإن عشت عشت حميدًا، قال: فقوَّى قلبي.

قال ابن أبي حاتم: قال أبي: فكان كما قال؛ لقد رفع الله ﷻ

شأن أحمد بن حنبل بعدما امتحن، وعظم عند الناس وارتفع أمره جدًا.

قال ابو الفؤرج: وقد بلغنا عن الشافعي ﷺ أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام يخبره بما سيلقى أحمد من الامتحان في خلق القرآن، ويأمره أن يعلم أحمد بذلك.

- وعن أبي جعفر الأنباري، يقول: لما حُمل أحمد بن حنبل إلى المأمون أُخبرت، فعَبرت الفرات فإذا هو جالس في الخان فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعنيت. فقلت له: ليس هذا عناء، وقلت له: يا هذا، أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن، ليجيبن بإجابتك خلق كثير من خلق الله، وإن أنت لم تجب؛ ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، ولا بد من الموت، فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء، فجعل أحمد يبكي ويقول: ما شاء الله، ما شاء الله. ثم قال لي أحمد: يا أبا جعفر، أعد علي ما قلت؟ فأعدت عليه. فجعل يقول: ما شاء الله، ما شاء الله.

- وعن صالح بن أحمد، قال: قال أبي: لما صرنا إلى أَذَنة[١] ورحلنا منها -وذلك في جوف الليل- وفتح لنا بابها، فإذا رجل قد دخل، وقال: البشرى! قد مات الرجل[٢]. قال أبي: وكنت أدعو الله أن لا أراه.

- وعن محمد بن إبراهيم البوشنجي، يقول: سمعت أحمد بن حنبل، يقول: دعوت ثلاث دعوات، فتبينت الإجابة في اثنتين، دعوته أن لا يجمع بيني وبين المأمون، ودعوته أن لا أرى المتوكل،

(١) بلد مشهور من الثغور قرب المصيصة. (معجم البلدان) (١/ ١٣٢). وهي: أضنة من أكبر مدن تركيا.

(٢) يعني المأمون. وهذه من كرامات الإمام، فإنه دعا الله أن لا يرى المأمون.

فلم أر المأمون، مات بالبذندون -وهو نهر الروم- وأحمد محبوس بالرقَّة[١] حتى بويع المعتصم بالروم ورجع، فرُدَّ أحمد إلى بغداد في سنة ثمان عشرة ومئتين، والمعتصم امتحنه، فأما المتوكل، فإنه لما أحضر أحمد دار الخلافة ليحدث ولده، قعد له المتوكل في خوخة، حتى نظر إلى أحمد ولم يره أحمد.

- وعن صالح بن أحمد، قال: لما صار أبي ومحمد بن نوح إلى طرسوس، رُدَّا في أقيادهما، فلما صار إلى الرقة حُملا في سفينة فلما وصلا إلى عانات توفي محمد بن نوح، فأطلق عنه قيده وصلى عليه أبي.

- وعن حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: ما رأيت أحدًا على حداثة سنه وقلة علمه، أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير، قال لي ذات يوم وأنا معه خِلوين: يا أبا عبد الله، الله، الله، إنك لست مثلي أنت رجل يُقتدى بك، وقد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك فاتق الله واثبت لأمر الله -أو نحو هذا من الكلام- فعجبت من تقويته لي، وموعظته إياي؛ فانظر بما ختم الله له، مرض وصار إلى بعض الطريق فمات، فصليت عليه ودفنته -أظنه قال: بعانة-.

قال أحمد بن علي بن ثابت: وكانت وفاته سنة ثمان عشرة ومئتين.

❐ ❐ ❐

(١) مدينة مشهورة على نهر الفرات من الجانب الشرقي (معجم البلدان) (٣/ ٥٨). وهي من مدن سوريا اليوم.

الباب الرابع والستون
في ذكر ما جرى له بعد المأمون

قد ذكرنا أنه لما جاء الخبر بموت المأمون رُد أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح في أقيادهما، فمات محمد بن نوح في الطريق، ورُد أحمد إلى بغداد مقيدًا.

- عن أبي العباس الرقي - وكان من حفاظ أهل الحديث - أنهم دخلوا على أحمد بالرقة وهو محبوس، فجعلوا يذاكرونه ما روي في التقية من الأحاديث، فقال أحمد: وكيف تصنعون بحديث خباب: «إن من كان قبلكم كان ينشر أحدهم بالمنشار ثم لا يصده ذلك عن دينه»، قال: فيئسنا منه. فقال أحمد: لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلاً بالسيف، إنما أخاف فتنة بالسوط، وأخاف أن لا أصبر. فسمعه بعض أهل الحبس وهو يقول ذلك، فقال: لا عليك يا أبا عبد الله فما هو إلا سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سري عنه، ورد من الرقة وحبس.

- وعن صالح بن أحمد، قال: لما جاء نعي المأمون رد أبي ومحمد بن نوح في أقيادهما إلى الرقة، وأخرجا في سفينة مع قوم محبسين، فلما صاروا بعانات، توفي محمد بن نوح ودفن بها، ثم صار أبي إلى بغداد وهو مقيد، فمكثت بالياسرية أياما، ثم صار إلى الحبس في دار اكتريت له عند دار عمارة، ثم نقل بعد ذلك إلى حبس العامة في درب الموصلي، وفي رواية: في درب يعرف بالموصلية.

- وعن صالح بن أحمد، قال: قال أبي: كنت أصلي بأهل السجن وأنا مقيد.

- وعن أبي بكر الأعين، قال: قلت لآدم العسقلاني: إني أريد أن

أخرج إلى بغداد، أفلك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت بغداد فأت أحمد بن حنبل فأقرئه مني السلام، وقل له: يا هذا، اتق الله وتقرب إليه بما أنت فيه، ولا يستفزنك أحد، فإنك إن شاء الله مشرف على الجنة، وقل له: حدثنا الليث بن سعد، ومحمد بن عجلان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أرادكم على معصية الله فلا تطيعوه**». فأتيت أحمد بن حنبل في السجن فدخلت عليه، فسلمت عليه وأقرأته السلام، وقلت له هذا الكلام والحديث، فأطرق أحمد إطراقة ثم رفع رأسه فقال: رَحِمَهُ اللَّهُ حيًا وميتًا، فلقد أحسن النصيحة.

- وعن أبي بكر محمد بن طريف الأعين، قال: أتيت آدم بن أبي إياس، فقلت له: إن عبد الله بن صالح يقرئك السلام، قال: لا تقرئني منه السلام ولا تقرئه مني السلام. فقلت: ولم؟ قال: لأنه قال: القرآن مخلوق، فقلت له: إنه قد اعتذر اليوم وأخبر الناس برجوعه عن ذلك، إن كان كذلك فأقرئه مني السلام. فلما فرغت قلت له: إني أريد الخروج إلى بغداد، فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، ائت أحمد بن حنبل فاقرأ عليه مني السلام، وقل له: يا هذا، اتق الله وتقرب إلى الله بما أنت عليه، ولا يستفزنك أحد عن دينك، فإنك إن شاء الله مشرف على الجنة، وقل له: حدثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أرادكم على معصية الله فلا تطيعوه**»، فأتيته وهو في السجن فأقرأته السلام وأخبرته بالكلام والحديث، فأطرق مليا، ثم قال: يرحمه الله حيا وميتا قد أحسن النصيحة.

❐ ❐ ❐

الباب الخامس والستون
في ذكر خبره مع المعتصم

لما مات المأمون رُد أحمد إلى بغداد، فسجن إلى أن امتحنه المعتصم، وكان أحمد بن أبي داود على قضاء القضاة، فحمله على امتحان الناس بخلق القرآن.

قال أبو بكر المروذي: لما سجن أحمد بن حنبل، جاء السجّان، فقال له: يا أبا عبد الله، الحديث الذي رُوي في الظلَمَة وأعوانهم صحيح؟ قال: نعم، قال السجان: فأنا من أعوان الظلمة؟ قال أحمد: فأعوان الظلمة من يأخذ شعرك، ويغسل ثوبك، ويصلح طعامك، ويبيع ويشتري منك، فأما أنت فمن أنفسهم.

- وعن صالح بن أحمد، قال: قال أبي: لما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة حولت إلى دار إسحاق بن إبراهيم، يوجه إلي في كل يوم برجلين، أحدهما يقال له: أحمد بن رباح، والآخر أبو شعيب الحجام، فلا يزالان يناظراني، حتى إذا أرادا الانصراف دعي بقيد فزيد في قيودي، فصار في رجله أربعة أقياد، قال أبي: فلما كان في اليوم الثالث دخل علي أحد الرجلين فناظرني، فقلت له: ما تقول في علم الله؟ قال: علم الله مخلوق، فقلت له: كفرت، فقال الرسول الذي كان يحضر من قبل إسحاق بن إبراهيم: إن هذا رسول أمير المؤمنين! فقلت له: إن هذا قد كفر، فلما كان في الليلة الرابعة وجه -يعني المعتصم- ببُغا الذي كان يقال له: الكبير، إلى إسحاق فأمره بحملي إليه، فأدخلت إلى إسحاق فقال: يا أحمد، إنها والله نفسك، إنه لا يقتلك بالسيف، إنه قد آل إن لم تجبه أن

يضربك ضربًا بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، أليس قد قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] أفيكون مجعولاً إلا مخلوقًا؟ فقلت له: قد قال الله ﷻ: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥] أفخلقهم؟ قال: فسكت، ثم قال: اذهبوا به قال أبي: فلما صرنا إلى الموضع المعروف بباب البستان أُخرجت، وجيء بدابة فَحُمِلتُ عليها وعلي الأقياد، ما معي أحد يمسكني، فكدت غير مرة أن أخر على وجهي لثقل القيود، فجيء بي - يعني إلى دار المعتصم - فأدخلت حجره وأدخلت إلى بيت، وأقفل الباب علي، وذلك في جوف الليل، وليس في البيت سراج، فأردت أن أتمسح للصلاة، فمددت يدي فإذا أنا بإناء فيه ماء وطست موضوع، فتوضأت للصلاة وصليت، فلما كان من الغد أخرجت تِكتي من سراويلي، وشددت بها الأقياد أحملها، وعطفت سراويلي، فجاء رسول المعتصم، فقال: أجب فأخذ بيدي، فأدخلني عليه والتكة بيدي أحمل بها الأقياد، وإذا هو جالس وابن أبي دُؤادٍ حاضر، وقد جمع خلقًا كثيرًا من أصحابه.

- وعن إبراهيم بن محمد بن الحسن، يقول: أُدخل أحمد بن حنبل على الخليفة وعنده ابن أبي دؤاد وأبو عبد الرحمن الشافعي، فأجلس بين يدي الخليفة، وكانوا هولوا عليه، وقد كانوا ضربوا عنق رجلين؛ فنظر أحمد إلى عبد الرحمن الشافعي، فقال: أي شيء تحفظ عن الشافعي في المسح؟ فقال ابن أبي دؤاد: انظروا رجلاً هو ذا يقدم به لضرب عنقه يناظر في الفقه!

- وعن صالح بن أحمد، قال: قال أبي: لما دخلت عليه قال لي - يعني المعتصم -: أُدنُه، أُدْنُه فلم يزل يدنيني حتى قربت منه، ثم قال:

اجلس، فجلست وقد أثقلتني الأقياد، فمكثت قليلاً ثم قلت: تأذن في الكلام؟ فقال: تكلم فقلت: إلى ما دعا الله ورسوله؟ فسكت هنيهة، ثم قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله فقلت: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله ثم قلت: إن جدك ابن عباس يقول: لما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ سألوه عن الإيمان، فقال: «**أتدرون ما الإيمان؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تعطوا الخمس من المغنم**».

فقال أبي: فقال - يعني المعتصم -: لولا أني وجدتك في يد من كان قبلي ما عرضت لك.

ثم قال: يا عبد الرحمن بن إسحاق، ألم آمرك أن ترفع المحنة؟ قال أبي: فقلت: الله أكبر، إن في هذا لفرجًا للمسلمين، ثم قال لهم - يعني المعتصم -: ناظروه، كلموه، ثم قال: يا عبد الرحمن، كلمه فقال لي عبد الرحمن: ما تقول في القرآن؟ قلت له: ما تقول في علم الله؟ فسكت، فقال لي بعضهم: أليس قال الله ﷻ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] والقرآن أليس هو شيئًا؟ قال أبي: فقلت: قال الله ﷻ ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] فدمَّرت إلا ما أراد الله ﷻ؟ وقال بعضهم: قال الله ﷻ: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] أفيكون محدثًا إلا مخلوقًا؟ قال أبي: فقلت له: قال الله ﷻ: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] الذكر هو القرآن، وتلك ليس فيها ألف ولا لام.

قال أبي: وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين: إن الله ﷻ خلق الذكر فقلت: هذا خطأ؛ حدثنا غير واحد: «أن الله ﷻ كتب الذكر»، واحتجوا عليَّ بحديث ابن مسعود: «ما خلق الله ﷻ من جنةٍ

ولا نار ولا سماءٍ ولا أرض أعظم من آية الكرسي » قال أبي: فقلت: إنما يوقع الخلق على الجنة، والنار، والسماء، والأرض، ولم يقع على القرآن.

قال: فقال بعضهم: حَدثنا حديث خباب: « يا هنتاه، تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه ».

قال أبي: هذا كذا هو، فجعل ابن أبي دؤاد ينظر إليه كالمغضب قال: وكان يتكلم هذا فأرد عليه، ويتكلم هذا فأرد عليه، فإذا انقطع الرجل منهم اعترض ابن أبي دؤاد، فيقول: يا أمير المؤمنين، هو والله ضال مضل مبتدع! قال أبي: فيقول: كلموه، ناظروه، فيكلمني هذا فأرد عليه، ويكلمني هذا فأرد عليه، فإذا انقطعوا يقول لي - المعتصم -: ويحك يا أحمد! ما تقول. فأقول: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئا من كتاب الله ﷻ، أو سنة رسول الله ﷺ حتى أقول به، فيقول ابن أبي دؤاد: وأنت لا تقول إلا ما في كتاب الله، أو سنة رسول الله؟ فقلت له: كما تأولت تأويلاً، فأنت أعلم، وما تأولتُ ما يُحبس عليه ويقيد عليه.

- وعن البوشنجي، قال: حدثني بعض أصحابنا، أن ابن أبي دؤاد أقبل على أحمد يكلمه، فلم يلتفت إليه أحمد، حتى قال المعتصم لأحمد: ألا تكلم أبا عبد الله؟ فقال أحمد: لست أعرفه من أهل العلم فأكلمه.

- وعن صالح بن أحمد قال: جعل ابن أبي دؤاد يقول: يا أمير المؤمنين، والله لئن أجابك لهو أحب إليَّ من مئة ألف دينار، ومئة ألف دينار - فيعد من ذلك ما شاء الله - قال: فقال - يعني المعتصم -: والله لئن أجابني لأطلقن عنه بيدي، ولأركبن إليه بجندي، ولأطأن عقبه.

ثم قال: يا أحمد والله إني عليك لشفيق، وإني لأشفق عليك كشفقتي على هارون ابني، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئًا من كتاب الله ﷻ، أو سنة رسوله.

فلما طال المجلس ضَجِر، وقال: قوموا، وحبسني، وعبد الرحمن بن إسحاق يكلمني، وقال: ويحك! أجبني، وقال لي: ما أعرفك، ألم تكن تأتينا؟ فقال له عبد الرحمن بن إسحاق: يا أمير المؤمنين، أعرفه منذ ثلاثين سنة يرى طاعتك والجهاد والحج معكم، قال: فيقول: والله إنه لعالم، وإنه لفقيه. وما يسوؤني أن يكون مثله معي يرد عني أهل الملل، ثم قال لي: ما كنت تعرف صالحًا الرشيدي؟ قال: قلت: قد سمعته باسمه. قال: كان مؤدبي، وكان في ذلك الموضع جالسًا - وأشار إلى ناحية الدار - فسألته عن القرآن، فخالفني فأمرت به فوطئ وسحب.

ثم قال لي: يا أحمد، أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي. قال: قلت: أعطوني شيئًا من كتاب الله ﷻ أو سنة رسوله، فطال المجلس، فقام فدخل، ورددت إلى الموضع الذي كنت فيه.

فلما كان بعد المغرب وجه إلي برجلين من أصحاب ابن أبي دؤاد، يبيتان عندي ويناظراني، ويقيمان معي، حتى إذا كان وقت الإفطار جيء بالطعام، ويجتهدان بي أن أفطر فلا أفعل، قال أبي: ووجه إلي - يعني المعتصم - ابن أبي دؤاد في بعض الليل، فقال: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول؟ فأرد عليه نحوا مما كنت أرد. فقال ابن أبي دؤاد: والله لقد كتبت اسمك في السبعة، يعني يحيى بن معين وغيره، فمحوته.

- قلت: السبعة: يحيى بن معين، وأبو خيثمة، وأحمد الدورقي، والقواريري، وسعدويه، وسجادة، وأحمد بن حنبل، وقيل: خلف المخزومي.

ولقد ساءني أخذهم إياك، ثم يقول: إن أمير المؤمنين قد حلف أن يضربك ضربًا بعد ضرب؟ وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، ويقول: إن أجابني جئت إليه حتى أطلق عنه بيدي، ثم انصرف.

فلما أصبح - وذلك في اليوم الثاني - جاء رسوله فأخذ بيدي حتى ذهب بي إليه، فقال لهم: ناظروه، كلموه. فجعلوا يناظروني، ويتكلم هذا من هنا فأرد عليه، ويتكلم هذا من هنا فأرد عليه، فإذا جاءوا بشيء من الكلام مما ليس في كتاب الله ﷻ، ولا سنة رسوله ولا فيه خبر، قلت: ما أدري ما هذا؟ قال: يقولون: يا أمير المؤمنين، إذا توجهت له الحجة علينا ثبت، وإن كلمناه بشيء يقول: لا أدري ما هذا، فيقول: ناظروه، فقال الرجل: يا أحمد، أراك تذكر الحديث وتنتحله. قلت: ما تقول في ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ﴾ [النساء: ١١]؟ فقال: خص الله ﷻ بها المؤمنين، فقلت: ما تقول إن كان قاتلا أو عبدا أو يهوديا قال: فسكت، وإنما احتججت عليهم بهذا، لأنهم كانوا يحتجون بظاهر القرآن، وحيث قال لي: أراك تنتحل الحديث. فلم يزالوا كذا إلى أن قرب الزوال، فلما ضجر قال لهم: قوموا، وخلا بي وبعبد الرحمن بن إسحاق فلم يزل يكلمني، ثم قام فدخل، ورددت إلى الموضع.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: كتب إلي الفتح بن شخرف بخط يده قال: قال ابن حطيط - رجل قد سماه من أهل الفضل، من أهل

خراسان - حبس أحمد بن حنبل وبعض أصحابه في المحنة في دار قبل أن يضرب. قال أحمد بن حنبل: فلما كان الليل نام من كان معي من أصحابي، وأنا متفكر في أمري. قال: فإذا برجل طويل يتخطى الناس حتى دنا مني. فقال: أنت أحمد بن حنبل؟ فسكت، فقالها ثانية، فسكت، فقالها ثالثة: أنت أبو عبد الله أحمد بن حنبل؟ قلت: نعم، قال: اصبر ولك الجنة، قال أحمد: فلما مسني حر السوط ذكرت قول الرجل.

- وعن صالح بن أحمد، قال: قال أبي: فلما كانت الليلة الثالثة، قلت: خليق أن يحدث غدًا من أمري شيء، فقلت لبعض من كان معي، الموكل بي: ارتد لي خيطا، فجاءني بخيط فشددت به الأقياد، ورددت التكة إلى سروايلي؛ مخافة أن يحدث من أمري شيء فأتعرى، فلما كان الغد في اليوم الثالث وجه إلي، فأدخلت، فإذا الدار غاصة، فجعلت أدخل من موضع إلى موضع، وقوم معهم السيوف، وقوم معهم السياط، وغير ذلك.

ولم يكن في اليومين الماضيين كثير أحد من هؤلاء، فلما انتهيت إليه قال: اقعد. ثم قال: ناظروه، كلموه قال: فجعلوا يناظروني، ويتكلم هذا فأرد عليه، وجعل صوتي يعلو أصواتهم، فجعل بعض من على رأسي قائم يومئ إلي بيده. فلما طال المجلس نحاني ثم خلا بهم، ثم نحاهم وردني إليه، وقال: ويحك يا أحمد! أجبني حتى أطلق عنك بيدي، فرددت عليه نحوا مما كنت أرد، فقال لي عليك - وذكر اللعن - ثم قال: خذوه واسحبوه وخلعوه. قال: فسحبت ثم خلعت.

قال: وقد كان صار إلي شعر من شعر النبي ﷺ، فصررته في كم قميصي، فوجه إلي إسحاق بن إبراهيم: ما هذا المصرور في كم

قميصك؟ فقلت: شعر من شعر النبي ﷺ. قال: وسعى بعض القوم إلى القميص ليخرقه علي، فقال لهم -يعني المعتصم-: لا تخرقوه.

فنُزع القميص عني. قال: فظننت أنه إنما درئ عن القميص الخرق بسبب الشعر الذي كان فيه. قال أبي: وجلس على كرسي -يعني المعتصم- ثم قال: العقابين والسياط، فجيء بالعقابين[1] فمدت يداي، فقال بعض من حضر خلفي: خذ ناتئ الخشبتين بيديك وشد عليهما، فلم أفهم ما قال فَتَخلعت يداي.

- وعن البوشنجي، يقول: ذكروا أن المعتصم لان في أمر أحمد لما علق في العُقابين، ورأى ثبوته وتصميمه وصلابته في أمره، حتى أغراه ابن أبي دؤاد، وقال له: إن تركته، قيل: إنك تركت مذهب المأمون وسَخِطت قوله، فهاجه ذلك على ضربه.

- وعن صالح، قال: قال أبي: لما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم، فقال: ائتوني بغيرها، فأتى بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا. قال: فجعل يتقدم إلي الرجل منهم فيضربني سوطين، فيقول له: -يعني المعتصم- شد قطع الله يدك ثم يتنحى، ثم يتقدم الآخر فيضربني سوطين، وهو في كل ذلك يقول لهم: شدوا قطع الله أيديكم. فلما ضربت تسعة عشر سوطا، قام إلي -يعني المعتصم- فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك شفيق. قال: فجعل عجيف ينخشني بقائم سيفه، وقال: تريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟! وجعل بعضهم يقول: ويلك! الخليفة على رأسك قائم! وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي، اقتله، وجعلوا يقولون له: يا أمير المؤمنين أنت صائم، وأنت في الشمس قائم!

(١) هما خشبتان يشبح الرجل الجلد بينهما (اللسان) (ح).

فقال لي: ويحك يا أحمد ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئا من كتاب الله ﷻ أو سنة رسوله ﷺ، أقول به. قال: ثم رجع فجلس، ثم قال للجلاد: تقدم أوجع قطع الله يدك، ثم قام الثانية، فجعل يقول: ويلك يا أحمد! أجبني، فجعلوا يقبلون علي ويقولون: ويلك يا أحمد إمامك على رأسك قائم! وجعل عبد الرحمن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تفعل ما تصنع؟ قال: وجعل يقول -يعني المعتصم-: ويحك أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي. قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطوني شيئًا من كتاب الله ﷻ أو سنة رسوله حتى أقول به. قال: فرجع فجلس، فقال للجلادين: تقدموا، فجعل الجلاد يتقدم ويضربني سوطين ويتنحى، وهو في خلال ذلك يقول: شد قطع الله يدك! قال أبي: فذهب عقلي، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أطلقت عني، فقال لي رجل ممن حضر: إنا كببنا على وجهك، وطرحنا على ظهرك بارية ودسناك. قال أبي: فما شعرت بذلك، وأتوني بسويق، فقالوا لي: اشرب وتقيأ، فقلت: لست أفطر ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فتقدم ابن سماعة فصلى، فلما انفتل من الصلاة، قال لي: صليت والدم يسيل من ثوبك؟! فقلت: قد صلى عمر وجرحه يثعب دمًا.

قال أبو الفضل: ثم خلي عنه، فصار إلى منزله، فمكث في السجن منذ أخذ وحمل إلى أن ضرب وخلي عنه ثمانية وعشرين شهرًا.

قال صالح: ولقد أخبرني أحد الرجلين الذين كانا مع أبي -يعني في الحبس- وكان هذا الرجل قد سمع ونظر، ثم جاءني بعد ذلك فقال لي: يا ابن أخي، رحمة الله على أبي عبد الله، والله ما رأيت أحدا

يشبهه، ولقد جعلت أقول له في ما يوجه إلينا بالطعام: يا أبا عبد الله، أنت صائم، وأنت في موضع تقية، ولقد عطش فقال لصاحب الشراب: ناولني، فناولته قدحا فيه ماء وثلج، فأخذه ونظر إليه هنية ثم رده عليه ولم يشرب، فجعلت أعجب من صبره على الجوع والعطش، وهو في ما هو فيه من الهول!

قال صالح: وقد كنت ألتمس وأحتال أن أوصل إليه طعاما أو رغيفا أو رغيفين في تلك الأيام، فلم أقدر على ذلك، وأخبرني رجل حضره: أنه تفقده في هذه الثلاثة أيام وهم يناظرونه ويكلمونه، فما لحن في كلمة، قال: وما ظننت أن أحدا يكون في مثل شجاعته وشدة قلبه.

- وعن محمد بن إبراهيم البوشنجي، قال: قدم المعتصم من بلاد الروم بغداد في شهر رمضان سنة ثمان عشرة، فامتحن فيها أحمد، وضرب بين يديه، فحدثني من أثق به من أصحابنا عن محمد بن إبراهيم بن مصعب - وهم يومئذ على الشرط للمعتصم خليفة إسحاق بن إبراهيم - أنه قال: ما رأيت أحدا لم يداخل السلطان ولا خالط الملوك أثبت قلبا من أحمد يومئذ، ما نحن في عينيه إلا كأمثال الذباب.

قلت: هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها، كما هانت على بلال نفسه. وقد روينا عن سعيد بن المسيب: أنه كانت نفسه عليه في الله تعالى، أهون من نفس ذبابة، وإنما تهون أنفسهم عليهم لتلمحهم العواقب، فعيون البصائر ناظرة إلى المآل لا إلى الحال، وشدة ابتلاء أحمد دليل على قوة دينه، لأنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «يبتلى الرجل على حسب دينه» فسبحان من أيده وبصره، وقواه ونصره.

- وعن إبراهيم بن إسحاق الأنصاري، قال: سمعت بعض الجلادين، يقول: لقد بطل أحمد بن حنبل الشطار، ولقد ضربته ضربا لو أبرك لي بعير فضربته تلك الضرب، لنقبت عن جوفه.

- وعن شاباص التائب، قال: لقد ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا، لو ضربته فيلاً لهدته.

- وعن محمد بن جعفر الراشدي، قال: حدثني بعض أصحابنا، قال: لما أخذت أبا عبد الله السياط، قال: بك أستغيث يا جبار السماء، ويا جبار الأرض.

وقد ذكر إبراهيم بن محمد بن عرفة في «تاريخه» أن أحمد ضرب ستة وثلاثين سوطًا.

- وعن يحيى بن نعيم، قال: لما أخرج أحمد بن حنبل إلى المعتصم يوم ضرب، قال له العون الموكل به: ادع على ظالمك. فقال: ليس بصابر من دعا على ظالمه.

- وعن أبي القاسم البغوي، قال: رأيت أحمد بن حنبل داخلاً إلى جامع المدينة وعليه كساء أخضر، وبيده نعلاه حاسرا الرأس، فرأيت شيخًا طوالاً أبيض اللحية؛ وكان على دكة المنارة قوم من أصحاب السلطان فنزلوا واستقبلوه وقبلوا رأسه ويده وقالوا له: ادع على من ظلمك فقال: ليس بصابر من دعا على ظالم.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لما حملت إلى الدار مكثت يومين لم أطعم، فلما ضربت جاؤوني بسويق، فلم أشرب وأتممت صومي.

- وعن أبي عمر المخزومي، قال: كنت بمكة أطوف بالبيت مع سعيد بن منصور فإذا صوت من ورائي: ضرب أحمد بن حنبل اليوم.

قال: فجاء الخبر أنه ضرب في ذلك اليوم. وفي رواية أخرى: فقال لي سعيد بن منصور: أتسمع ما أسمع؟ قلت: نعم، قال: فاعرف ذلك اليوم، قال: فجاء الخبر أنه ضرب في ذلك اليوم.

- وعن محمد بن سويد الطحان، قال: كنا عند عاصم بن علي، ومعنا أبو عبيد القاسم بن سلام وإبراهيم بن أبي الليث - وذكر جماعة - وأحمد بن حنبل يضرب ذلك اليوم، فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي فنأتي هذا الرجا فنكلمه؟ قال: فما يجيبه أحد، فقال إبراهيم بن أبي الليث: يا أبا الحسين أنا أقوم معك، فصاح: يا غلام خفي، فقال له إبراهيم: أبلغ إلى بناتي فأوصيهن وأجدد بهن عهدا، قال: فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط، ثم جاء فقال عاصم: يا غلام، خفي، فقال: يا أبا الحسين، إني ذهبت إلى بناتي فبكين، قال: وجاء كتاب ابنتي عاصم بن واسط: يا أبانا، إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل فضربه بالسوط على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق الله ولا تجبه إن سألك، فوالله لأن يأتينا نعيك، أحب إلينا من أن يأتينا أنك قلت.

- وعن أبي شعيب الحراني، قال: كنا مع أبي عبيد القاسم بن سلام بباب المعتصم وأحمد بن حنبل يضرب، قال: فجعل أبو عبيد يقول: أيضرب سيدنا؟ لا صبر[1]، أيضرب سيدنا؟ لا صبر، قال أبو شعيب: فقلت أنا:

ضربوا ابن حنبل بالسياط بظلمهم ... بغيًا فثبت بالثبات الأنور
قال الموفق حين مدد بينهم ... مدَّ الأديم على الصعيد القرقرِ
إني أموت ولا أبوء بفجرةٍ ... تُصلي بوائقها مَحَلَّ المفتري

(١) يحمل هذا والله اعلم ان صح على شدة المصيبة حتى يكاد الصبر ينفد لا على الجزع وترك الصبر فذلك محرم.

- وعن أبي حاتم، قال: لما كان اليوم الذي ضُرب فيه أحمد، قلت: أمر اليوم فأعرف خبر أحمد، فبكرت فإذا أنا بشيخ قائم، وهو يقول: اللهم ثبته، اللهمَّ أعنه ثم لم يزل كالحيران، ويقول: إن كان أجاب حتى أدخل؛ فأقوم مقامه، فخرج رجل، فقال: لم يجبهم، فقال: الحمد لله، فقلت: من هذا؟ فقالوا: بشر بن الحارث.

سياق بيان فضله في صبره وما تم له

- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان الصابر منهم على دينه له أجر خمسين منكم**». قالوا: منا؟ قال: «**منكم**» حتى أعادها ثلاث مرات[(١)].

- وعن الشافعي، قال: أشد الأعمال ثلاثة، الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يُرجى ويُخاف.

- وعن ابن أبي حاتم، قال: سمعت أبا زرعة، يقول: لم أزل أسمع الناس يذكرون أحمد بن حنبل بخير ويقدمونه على يحيى بن معين، وأبي خيثمة، غير أنه لم يكن من ذكره بعد ما صار بعد أن امتحن، فلما امتحن، ارتفع ذكره في الآفاق[(٢)].

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قال لي أبي: يا بني لقد أعطيت المجهود من نفسي - يعني في المحنة -.

قال: وكتب أهل المطامير إلى أحمد بن حنبل: إن رجعت عن مقولتك ارتددنا عن الإسلام!!

---

(١) رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة.

(٢) (الجرح والتعديل) (١/ ٣٠٩).

- وعن أبي غالب ابن بنت معاوية قال: ضرب أحمد بن حنبل بالسياط في الله، فقام مقام الصديقين، في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومئتين.

- وعن جعفر بن أبي هاشم، قال: مكث أحمد بن حنبل في السجن سنة سبع عشرة وثماني عشرة وتسع عشرة، وأخرج في رمضان.

سياق كيفية خروجه من دار المعتصم

عن ابي حاتم، قال: قال إبراهيم بن الحارث -من ولد عبادة بن الصامت-: قال أبو محمد الطفاوي لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، أخبرني عما صنعوا بك؟ قال: لما ضربت بالسياط جاء ذاك الطويل اللحية -يعني عجيفا- فضربني بقائم السيف، فقلت: جاء الفرج تضرب عنقي وأستريح، فقال له ابن سماعة: يا أمير المؤمنين، اضرب عنقه ودمه في رقبتي فقال له ابن أبي دؤاد: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإنه أن مات في دارك، قال الناس: صبر حتى قتل، فاتخذه الناس إمامًا وثبتوا على ما هم فيه، لا ولكن أطلقه الساعة، فإن مات خارجًا من منزلك شك الناس في أمره [وقال بعضهم: أجاب][(١)]، وقال بعضهم: لم يجبه فيكون الناس في شك من أمره.

وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبا زرعة، يقول: دعا المعتصم بعم أحمد بن حنبل، ثم قال للناس: تعرفونه؟ قالوا: نعم، هو أحمد بن حنبل. قال: فانظروا إليه أليس هو صحيح البدن؟ قالوا: نعم، ولولا أنه فعل ذلك لكنت أخاف أن يقع شر لا يقام له، فلما قال:

(١) زيادة من (سير أعلام النبلاء) ١١/ ٢٥٩ . (ح) (ت).

قد سلمته إليكم صحيح البدن، هدأ الناس وسكنوا.

- وعن ميمون بن الأصبغ، قال: أخرج أحمد بن حنبل بعد أن اجتمع الناس على الباب وضجوا حتى خاف السلطان فخرج.

❐ ❐ ❐

الباب السادس والستون
في ذكر تلقي المشايخ إياه بعد انقضاء المحنة ودُعائهم له

- عن مهنأ بن يحيى، قال: رأيت يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري حين أخرج أحمد من المحبس، وهو يقبل جبهة أحمد ووجهه، ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبل جبهة أحمد ورأسه.

- وعن الجَروي، قال: قلت للحارث بن مسكين: إن هذا الرجل - أعني أحمد بن حنبل - قد ضرب، فاذهب بنا إليه، فذهبت أنا وهو، فدخلنا عليه حدثان ضربه. فقال لنا: ضربت فسقطت وسمعت ذا - يعني ابن أبي دؤاد - يقول: يا أمير المؤمنين هو والله ضال مضل. فقال له الحارث: أخبرني يوسف بن عمر بن يزيد، عن مالك بن أنس: أن الزهري سعي به حتى ضرب بالسياط، فقيل لمالك بعد ذلك: إن الزهري أقيم للناس وعلقت كتبه في عنقه، فقال مالك: قد ضرب سعيد بن المسيب بالسياط وحلق رأسه ولحيته، وضرب أبو الزناد بالسياط، وضرب محمد بن المنكدر وأصحاب له في حمام بالسياط، قال: وقال عمر بن عبد العزيز: لا تغبطوا أحدًا لم يصبه في هذا الأمر أذى، قال: وما ذكر مالك نفسه، قال: فأعجب أحمد بقول الحارث.

قلت: وما زال الناس يُبتلون في الله تعالى ويصبرون، وقد كانت الأنبياء تُقتل، وأهل العلم في الأمم السالفة يقتلون ويحرقون وينشر أحدهم بالمنشار وهو ثابت على دينه، ولولا كراهية التطويل لذكرت من ذلك بأسانيده ما يطول، غير أني أوثر الاختصار.

سياق ذكر جعله المعتصم في حل من ضَربه ومن حضر

- عن صالح بن أحمد: سمعت أبي يقول: لقد جعلت الميت في حل من ضربه إياي، ثم قال: مررت بهذه الآية ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] فنظرت في تفسيرها فإذا هو ما أخبرنا هاشم بن القاسم، قال: أخبرنا المبارك بن فضالة، قال: أخبرني من سمع الحسن يقول: إذا كان يوم القيامة جثت الأمم كلها بين يدي الله ﷻ، ثم نودي أن لا يقوم إلا من أجره على الله، قال: فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا. قال أبي: فجعلت الميت في حل من ضربه إياي، وجعل يقول: وما على رجل أن لا يعذب الله بسببه أحدًا!

- قال ابن أبي حاتم: وحدثنا أحمد بن سنان، قال: بلغني أن أحمد بن حنبل جعل المعتصم في حل يوم فتح بابل، أو في يوم فتح عمورية، فقال: هو في حل من ضربي.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قال لي أبي: وجَّه إليَّ الواثق أن أجعل المعتصم في حل من ضربه إياي، فقلت: ما خرجت من داره حتى جعلته في حل، وذكرت قول النبي ﷺ: « **لا يقوم يوم القيامة إلا من عفا** » فعفوت عنه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قال لي أبو عبد الله: قد سألني إسحاق بن إبراهيم أن أجعل أبا إسحاق في حل، فقلت له: قد كنت جعلته في حل، ثم قال أبو عبد الله: تفكرت في الحديث: « إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: لا يقم إلا من عفا ». وذكرت قول الشعبي: إن تعف عنه مرة يكن لك من الأجر مرتين.

- وعن أبي علي الحسين بن عبد الله الخرقي - وقد رأى أحمد بن حنبل - قال: بت مع أحمد بن حنبل ليلة، فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح، فقلت: أبا عبد الله، كثير بكاؤك الليلة، فما السبب؟ فقال لي: ذكرت ضرب المعتصم إياي ومر بي في الدرس: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ٤٠] فسجدت وأحللته من ضربي في السجود.

- وعن إبراهيم الحربي، قال: أحل أحمد بن حنبل من حضر ضربه وكل من شايع فيه والمعتصم، وقال: لولا أن ابن دؤاد داعية[1] لأحللته.

- وعن أبي العباس بن واصل المقرئ يقول: قال لي فوران: وجه إلي أبو عبد الله أحمد بن حنبل في الليل فدعاني، فقال لي: كيف أخبرتني عن فضل الأنماطي؟ قال: قلت: يا أبا عبد الله، قال لي فضل: لا أجعل في حل من أمر بضربي حتى أقول: القرآن مخلوق، ولا من تولى الضرب، ولا من سره ممن حضر وغاب من الجهمية، فقال لي أحمد بن حنبل: لكني جعلت المعتصم في حل ومن تولى ضربي ومن غاب ومن حضر، وقلت: لا يعذب في أحد. وذكرت حديثين يرويان عن النبي ﷺ: **« إن الله ﷻ ينشئ قصورًا فيرفع الناس رؤوسهم، فيقولون: لمن هذا القصور ما أحسنها؟ فيقال: لمن أعطى ثمنها، قيل وما ثمنها؟ قال: من عفا عن أخيه المسلم، (و) يأمر الله ﷻ بعقد لواء فينادي مناد: ليقم تحت هذا اللواء إلى الجنة من له عند الله عهد، فيقال: بين بين من هو؟ قال: من عفا عن أخيه المسلم »**.

---

(١) أي إلى البدعة.

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: قرأت على أبي روح عن أشعث عن الحسن: «إن لله ﷻ بابًا في الجنة لا يدخله إلا من عفا عن مظلمة». فقال لي: يا بني، ما خرجت من دار أبي إسحاق حتى أحللته ومن معه إلا رجلين، ابن أبي دؤاد وعبد الرحمن بن إسحاق فإنهما طلبا دمي، وأنا أهون على الله ﷻ من أن يعذب في أحدًا، أشهدك أنهما في حل.

سياق ذكر بقاء أثر الضرب عليه

- عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: نظر إلى أبي رجل ممن يبصر الضرب والعلاج، فقال: قد رأيت من ضُرب ألف سوط ما رأيت ضربًا مثل هذا، لقد جر عليه من خلفه ومن قدامه ثم أخذ ميلاً فأدخله في بعض تلك الجراحات فنظر فيه، فقال: لم تنقب، وجعل يأتيه ويعالجه، وقد كان أصحاب وجهه غير ضربة، ومكث متكئًا على وجهه ما شاء الله. ثم قال: إن هاهنا شيئًا أريد أن أقطعه، فجاء بحديدة فجعل يعلق اللحم بها ويقطعه بسكين معه، وهو صابر لذلك يحمد الله ﷻ في ذلك فبرئ منه. ولم يزل يتوجع من مواضع منه وكان أثر الضرب بينًا في ظهره إلى أن توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. فسمعت أبي يقول: والله لقد أعطيت المجهود من نفسي، ولوددت أن أنجو من هذا الأمر الذي أخاف كفافًا لا علي ولا لي.

قال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: أتيت أحمد بن حنبل بعدما ضرب بثلاث سنين أو نحوها فقلت له: ذهب عنك أثر الضرب؟ فأخرج يده اليسرى على كوعه اليمنى، وقال: هذا، كأنه يقول: خلع، وأنه يجد منها ألم ذلك.

وبلغني عن الحسين بن المنادي قال: حدثني جدي، قال: لقيت أبا عبد الله بعدما انكشف ذلك البلاء، فرأيت بين يديه مجمرة فيها جمر، يضع خرقة ملفوفة في يده فيسخنها بالنار، ثم يجعلها على جنبه من الضرب الذي كان ضرب، فالتفت إلي، فقال: يا أبا جعفر، ما كان في القوم أرأف بي من المعتصم.

❐ ❐ ❐

الباب السابع والستون
في ذكر تحديثه بعد موت المعتصم

- عن محمد بن إبراهيم البوشنجي، يقول في سنة سبع وعشرين: حدث أحمد بن حنبل ببغداد ظاهرًا جهرة، وذلك حين مات المعتصم، بلغنا انبساطه في الحديث ونحن بالكوفة، فرجعت إليه فأدركته في رجب من هذه السنة وهو يحدث، ثم قطع الحديث لثلاث بقين من شعبان من غير منع من السلطان، ولكن كتب الحسن بن علي بن الجعد - وهو يومئذ قاض ببغداد - إلى ابن أبي دؤاد: إن أحمد قد انبسط في الحديث. فبلغ ذلك أحمد فأمسك عن الحديث من غير أن يمنع، ولم يكن حدث أيام المعتصم فيما بلغنا، وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر، ثم لم يحدث إلى أن توفي.

❐ ❐ ❐

الباب الثامن والستون
في ذكر قصته مع الواثق

وَلِيَ الواثق أبو جعفر هارون بن المعتصم في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومئتين، وحسَّن له ابنُ أبي دؤاد امتحان الناس بخلق القرآن، ففعل ذلك ولم يعترض لأحمد، إما لما علم من صبره، أو لما خاف من تأثير عقوبته، لكنه أرسل إلى أحمد بن حنبل: لا تساكني بأرض. فاختفى أحمد بقية حياة الواثق، فما زال يتنقل في الأماكن ثم عاد إلى منزله بعد أشهر، فاختفى فيه إلى أن مات الواثق.

- وعن أحمد بن علي بن ثابت، قال: أقام أحمد بن حنبل مدة اختفائه عند إسحاق بن إبراهيم بن هانئ وبيت الوالد والولد واحد.

- وعن البغوي، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل في سنة ثمان وعشرين في أولها، وقد حدث حديث معاوية عن النبي ﷺ أنه قال: «**لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة، فأعدوا للبلاء صبرًا**»[(١)] فجعل يقول: اللهم رضينا! اللهم رضينا!

- وعن إبراهيم بن هانئ: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاثة أيام. ثم قال: اطلب لي موضعا حتى أتحول إليه. قلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله فقال: افعل فإذا فعلت أفدتك، فطلبت له موضعا، فلما خرج قال لي: اختفى رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام ثم تحول، وليس ينبغي أن يتبع رسول الله في الرخاء ويترك في الشدة.

---

(١) أخرجه أحمد، وابن ماجه (٤٠٣٥) قال البوصيري في مصباح الزجاجة هذا إسناده صحيح ورجاله ثقات، صححه ابن حبان.

- وعن فتح بن شخرف، قال: قال لي إبراهيم بن هانئ: اختفى عندي أحمد بن حنبل ثلاث ليال. ثم قال: اطلب لي موضعا حتى أدور فيه، فقلت: لا آمن عليك يا أبا عبد الله. فقال لي: النبي ﷺ اختفى في الغار ثلاثة أيام ثم دار، وليس ينبغي أن تتبع سنة رسول الله ﷺ في الرخاء وتترك في الشدة. قال فتح: حدثت به صالحا وعبد الله فقالا: لم نسمع هذه الحكاية إلا منك وحدثت بها إسحاق بن إبراهيم بن هانئ فقال: ما حدثني أبي بها.

- وعن أبي زرعة، يقول: قلت لأحمد بن حنبل: كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟ فقال: لو وضع الصدق على جرح لبرأ.

❐ ❐ ❐

الباب التاسع والستون
في ذكر قصته مع المتوكل

ولي المتوكل على الله بعد الواثق في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين ومئتين، وسنه ست وعشرون سنة يومئذ، فأظهر الله ﷻ به السنة، وكشف تلك الغمة، فشكره الناس على ما فعل.

- عن إبراهيم بن محمد التيمي قاضي البصرة يقول: الخلفاء ثلاثة، أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بني أمية، والمتوكل محا البدع وأظهر السنة.

- وعن علي بن الجهم، قال: وجه إلي أمير المؤمنين المتوكل، فأتيت فقال لي: يا علي، رأيت النبي ﷺ في المنام فقمت إليه، فقال لي: تقوم إلي وأنت خليفة! فقلت له: أبشر يا أمير المؤمنين، أما قيامك إليه فقيامك بالسنة، وقد عدك من الخلفاء، فسر بذلك.

- وعن علي بن إسماعيل، قال: رأيت جعفرا المتوكل بطرسوس في النوم وهو في النور جالس، قلت: المتوكل؟ قال: المتوكل، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: بماذا؟ قال: بقليل من السنة أحييتها. قلت: أطفأ المتوكل نيران البدعة وأوقد مصابيح السنة.

- وعن أبي عبد الله غلام الخليل قال: أنشدني أبو جعفر الغواص بعبادان بعد زوال المحنة:

ذهبت دولة أصحاب البدع ... ووهى حبلهم ثم انقطع
وتداعى بانصراف جمعهم ... حزب إبليس الذي كان جمع
قل لهم يا قوم في بدعتهم ... من فقيه أو إمام يتبع

مثل سفيان أخي الثوري الذي ... علَّم الناس دقيقات الورع
أو سليمان أخي التيم الذي ... ترك النوم لهول المطلع
أو فقيه الحرمين مالك ... ذلك البحر الغزير المنتجع
أو فتى الإسلام أعني أحمدا ... ذاك لو قارعه القرا قرع
لم يخف سوطهم إذ خوفوه ... لا ولا سيفهم لما لمع

فصل

ثم بعث المتوكل بعد مضي خمس سنين من ولايته بتسيير أحمد بن حنبل إليه.

- عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: وجه المتوكل إلى إسحاق بن إبراهيم يأمره بحمل أبي إليه، فوجه إسحاق إلى أبي، فقال له: إن أمير المؤمنين كتب إلي يأمرني بإشخاصك إليه، فتأهب لذلك. قال أبي: وقال لي: اجعلني في حل من حضور ضربك. قلت: قد جعلت كل من حضر في حل.

قال أبي: وقال أسألك عن القرآن مسألة مسترشد لا مسألة امتحان، وليكن ذلك عندك مستورًا، ما تقول في القرآن؟ فقلت: القرآن كلام الله غير مخلوق، قال لي: من أين قلت: غير مخلوق؟ فقلت: قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق بين الخلق والأمر، فقال إسحاق: الأمر مخلوق، وقلت: يا سبحان الله أمخلوق يخلق مخلوقًا!! فقال: وعمن تحكي أنه ليس بمخلوق؟ فقلت: جعفر بن محمد قال: ليس بخالق ولا مخلوق، قال: فسكت. فلما كان في الليلة الثانية وجه إلي، فقال: ما تقول في الخروج. فقلت: ذاك إليكم، وجاء إلى أبي جماعة من الأنصار والهاشميين عندما وجه المتوكل في حمله

فقالوا: تُكلِّمه؟ فقال: قد نويت أن أكلمه في أهله والأنصار والمهاجرين وما فيه مصلحة للمسلمين، وكان حمله إلى المتوكل في سنة سبع وثلاثين ومئتين، فأخرج حتى إذا صرنا في موضع يقال له: بصرى بات أبي في المسجد ونحن معه، فلما كان في جوف الليل جاء النيسابوري. فقال: يقول لك: ارجع، فقلت له: يا أبه، أرجو أن يكون خيره، فقال: لم أزل أدعو الله ﷻ[1].

سياق ما حدث بعد ذلك

من تحريض الأعداء على أحمد من أنه أخفى بعض العلويين عنده.

لما خرج أحمد ﷺ إلى المتوكل، رُد من بعض الطريق، ثم توفي إسحاق بن إبراهيم، فرفع الأعداء إلى المتوكل أن عند أحمد علويًا.

- عن صالح بن أحمد، قال: لما ولي عبد الله بن إسحاق كتب المتوكل إليه أن وجه إلى أحمد بن حنبل أن عندك طلبة أمير المؤمنين، فوجه بحاجبه مظفر، وحضر معه صاحب البريد -وكان يعرف بابن الكلبي- وكان قد كتب إليه أيضا، قال له مظفر: يقول لك الأمير: قد كتب إلي أمير المؤمنين أن عندك طلبته؟ وقال له ابن الكلبي مثل ذلك، وكان قد نام الناس.

- وعنه، قال: دق الباب وأبي في إزار، فلما قُرئ عليه الكتاب وكأنهم أومؤوا إلى أن عنده علويًا، قال لهم: ما أعرف من هذا شيئًا، وإني

(١) أي أن لا أراه، وقد سبق أن الإمام أحمد، قال: دعوت الله أن لا أرى المتوكل، وقال: تبينت الإجابة فيها.

لأرى طاعته في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة، وإني أتأسف عن تخلفي عن الصلاة في جماعة، وعن حضور الجمعة ودعوة المسلمين، وقد كان إسحاق وجه إليه قبل موته: الزم بيتك ولا تخرج إلى جمعة ولا جماعة، وإلا نزل بك ما نزل بك في أيام أبي إسحاق، ثم قال له ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك أن ما عندك طلبته فتحلف، قال: إن استحلفتموني حلفت، فأحلفه بالله وبالطلاق أن ما عنده طلبة أمير المؤمنين، ثم قال له: أريد أن أفتش منزلك، وكنت حاضرا، فقال: ومنزل ابنك، فقام مظفر وابن الكلبي وامرأتان معهما، فدخلا ففتشا البيت، ثم فتش الامرأتان النساء، ثم دخلوا منزلي ففتشوه، ودلوا شمعة في البئر فنظروا، ووجهوا النساء ففتشوا الحرم ثم خرجوا، فلما كان بعد يومين، ورد كتاب علي بن الجهم: إن أمير المؤمنين قد صح عنده براءتك مما قرفت به، وقد كان أهل البدع مدوا أعينهم، فالحمد لله الذي لم يشمتهم بك، وقد وجه إليك أمير المؤمنين يأمرك بالخروج، فالله الله أن تستعفي أو أن ترد المال.

- وعن أبي جعفر بن ذريح العُكبري، قال: طلبت أحمد بن حنبل في سنة ست وثلاثين ومئتين لأسأله عن مسألة فسألت عنه فقالوا: خرج يصلي، فجلست حتى جاء، فسلمت عليه فرد علي السلام، فدخل الزقاق وأنا أماشيه فلما بلغنا آخر الدرب، إذا باب يفرج، فدفعته وصار خلفه، وقال: اذهب عافاك الله، فثنيت عليه، فقال: اذهب عافاك الله، فخرج رجل فسألته عن تخلفه عن كلامي، فقال: ادعي عليه عند السلطان أن عنده علويًا، فجاء محمد بن نصر، فأحاط بالمحلة ففتشت، فلم يوجد فيها شيء مما ذكره فأحجم عن كلام العامة.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قد جاءني أبو علي يحيى بن خاقان، فقال لي: إن كتابًا جاءه فيه: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك: لو سَلِمَ أحد من الناس سلمت أنت، هاهنا رجل قد رَفَع عليك وهو في أيدينا محبوس، رفع عليك أن علويًا قد توجه من قبل خراسان، وقد بعثت برجل من أصحابك يتلقاه وهو ذا محبوس؛ فإن شئت ضربته، وإن شئت حبسته، وإن شئت بعثت به إليك، قال: فقلت له: ما أعرف مما قال شيئًا، أرى أن تطلقوه ولا تعرضوا له، فقلت لأبي عبد الله: سفك الله دمه قد أشاط[1] بدمائكم، فقال: ما أراد إلا استئصالنا، ولكن قلت: لعل له والدة أو أخوات أو بنات، أرى أن تخلوا سبيله ولا أن تعرضوا له.

- وعن إبراهيم بن إسحاق، قال: إن المتوكل أخذ العلوي الذي سعى بأبي عبد الله إلى السلطان، وأرسله إلى أبي عبد الله ليقول فيه مقالة للسلطان، فعفا عنه، وقال: لعله يكون له صبيان يُحزنهم قتله.

سياق قصة خروجه إلى العسكر بعد انقضاء أمر هذه التهمة

- عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: ورد كتاب علي بن الجهم: ان أمير المؤمنين قد وجه إليك يعقوب المعروف بقوْصَرَّة[2] ومعه جائزة ويأمرك بالخروج، فالله الله أن تستعفي أو أن ترد المال، فيتسع القول لمن يبغضك، فلما كان الغد ورد يعقوب فدخل إليه، فقال: يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول: قد صح عندنا نقاء ساحتك، وقد

(١) **أشطت بدمه**: أردت إذهابه (اللسان). (ح) (ت).
(٢) لقب يعقوب أحد حجاب المتوكل (ح).

أحببت أن آنس بقربك، وأن أتبرك بدعائك، وقد وجهت إليك عشرة آلاف درهم معونة على سفرك، فأخرج بدرة فيها صرة نحو من مئتي دينار، والباقي دراهم صحاح، فلم ينظر إليها، ثم شدها يعقوب وقال له: أعود غدا حتى أنظر ما تعزم عليه، وقال له: يا أبا عبد الله، الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل البدع. وانصرف، فجئت بإجانة خضراء فكببتها، على البدرة، فلما كان عند المغرب، قال: يا صالح خذ هذا صيره عندك، فصيرتها عند رأسي فوق البيت، فلما كان السحر إذا ينادى: يا صالح، فقمت فصعدت إليه فقال: ما نمت ليلتي هذه، فقلت: لم يا أبه؟ فجعل يبكي، وقال: سلمت من هؤلاء حتى إذا كان آخر عمري بليت بهم، قد عزمت على أن أفرق هذا الشيء إذا أصبحت، فقلت: ذلك إليك، فلما أصبح جاءه الحسن البزاز والمشايخ، فقال: جئني يا صالح بميزان؛ فقال: وجهوا إلى أبناء المهاجرين والأنصار، ثم قال: وجه إلى فلان حتى يفرق في ناحيته، وإلى فلان، فلم يزل حتى فرقها كلها ونفضت الكيس، ونحن في حالة الله تعالى بها عليم، فجاء بني لي فقال: أعطني يا أبه درهما، فنظر إلي فأخرجت قطعة أعطيته، وكتب صاحب البريد أنه قد تصدق بالدراهم من يومه حتى تصدق بالكيس.

قال علي بن الجهم: فقلت له: يا أمير المؤمنين، قد تصدق بها وعلم الناس أنه قد قبل منك، وما يصنع أحمد بالمال؟ وإنما قوته رغيف، قال: فقال لي: صدقت يا علي.

قال صالح: ثم أخرجنا ليلاً معنا حراس معهم النفاطات، فلما أضاء الفجر، قال لي: يا صالح، أمعك دراهم؟ قلت: نعم. قال: أعطهم فأعطيتهم درهمًا درهمًا، فلما صرنا إلى الحناطين، قال يعقوب:

قفوا هاهنا، ثم وجه إلى المتوكل يعلمه بمصيرنا، فدخلنا العسكر وأبي منكس الرأس ثم جاء وصيف يريد الدار، فلما نظر إلى الناس وجمعهم، قال: ما هؤلاء؟ قالوا: هذا أحمد بن حنبل، فوجه إليه بعدما جاز ليحيى بن هرثمة، فقال: يقرئك الأمير السلام، ويقول: الحمد لله الذي لم يشمت بك أهل البدع، قد علمت ما كان حال ابن أبي دؤاد، فينبغي أن تتكلم بما يحب الله ﷻ ثم أنزل دار إيتاخ، فجاء علي بن الجهم، فقال: قد أمر لكم أمير المؤمنين بعشرة آلاف مكان التي فرقها، وأمر أن لا يعلم بذلك فيغتم، ثم جاءه أحمد بن معاوية، فقال: إن أمير المؤمنين يكثر ذكرك ويشتهي قربك، وتقيم هاهنا تحدث، فقال: أنا ضعيف، ثم وضع إصبعه على بعض أسنانه، فقال: إن بعض أسناني يتحرك، وما أخبرت بذلك ولدي، ثم وجه إليه: ما تقول في بهيمتين انتطحتا فعقرت أحداهما الأخرى، فسقطت فذبحت؟ فقال: إن كان طرف بعينه، ومصع بذنبه، وسال دمه؛ يؤكل.

ثم صار إليه يحيى بن خاقان، فقال: يا أبا عبد الله، قد أمرني أمير المؤمنين أن أصير إليك لتركب إلى عبد الله ولده، وأمرني أن أقطع لك سوادا وطيلسانا وقلنسوة، فأي قلنسوة تلبس؟ فقلت: ما رأيته لبس قلنسوة قط، وقال: إن أمير المؤمنين قد أمر أن يصير لك مرتبة في أعلى المراتب، ويصير أبو عبد الله في حجرك، ثم قال لي: قد أمر أمير المؤمنين أن يُجري عليكم وعلى قراباته أربعة آلاف درهم، ثم عاد يحيى من الغد، فقال: يا أبا عبد الله تركب؟ قال: ذاك إليك، فقال: استخر الله ﷻ فلبس إزاره وخفيه، وقد كان خفه قد أتى عليه نحو من خمس عشرة سنة مرقوع برقاع عدة، فأشار يحيى إلى أن يلبس قلنسوة، فقلت:

ما له قلنسوة، ولا رأيته يلبس قلنسوة، فقال: كيف يدخل حاسرا! وطلبنا له دابة يركبها، فقال يُحيى: مُصَلّى[١]، فجلس على التراب، وقال: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم» ثم ركب بَغل بعض التجار، فمضينا معه حتى إذا دخل دار أبي عبد الله أجلس في بيت في الدهليز، ثم جاء يحيى فأخذ بيده حتى أدخله ورفع لنا الستر ونحن ننظره، فقعد، فقال له: يا أبا عبد الله، إن أمير المؤمنين جاء بك ليتبرك بقربك، ويصير أبا عبد الله في حجرك، قال صالح: فأخبرني بعض الخدم أن المتوكل كان قاعدا وراء ستر، فلما دخل أبي الدار قال لأمه: يا أماه، قد أنارت الدار، ثم جاء خادم بمنديل، فأخذ يحيى المنديل وأخرج مبطنة فيها قميص، فأدخل يده في جيب القميص والمبطنة ثم أخذ بيده فأقامه حتى أدخل جيب القميص والمبطنة في رأسه، ثم أدخل يده فأخرج يده اليمنى، وكذلك اليسرى، وهو لا يحرك يده، ثم أخذ قلنسوة فوضعها على رأسه، وألبسه طيلسانا، ولم يجيئوا بخف فبقي الخف عليه، ثم انصرف فلما صار إلى الدار نزع الثياب عنه، ثم جعل يبكي، ثم قال: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة، حتى إذا كان آخر عمري بليت بهم! ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام، فكيف بمن يجب علي نصحه من وقت أن تقع عيني عليه إلى أن أخرج من عنده[٢]؟ ثم قال: يا صالح، وجه هذه الثياب إلى بغداد تباع وتصدق بثمنها، ولا يشتري منكم أحد شيئا، فوجهت بها فبيعت وفرق ثمنها.

(١) نوع من انواع الخيل (ح) (ت).

(٢) قلت: وهذا هو الواجب أن يكون في نفس كل عالم يريد الدخول على الولاة والسلاطين.

- وعن زهير بن محمد، قال: أنا أول من تلقى أبا عبد الله قبل أن يخرج من الحراقة[١]، قال: فخرج وعليه الكساء الذي خلع عيه، قال: فسقط وجعل يجره وما سواه عليه.

- وعن صالح بن أحمد، قال: أخبرناه أن الدار التي هو فيها لإيتاخ. فقال: اكتب رقعة إلى محمد بن الجراح، استعف لي من هذه الدار، فكتبنا رقعة، فأمر المتوكل أن يعفى منها، ووجه إلى قوم ليخرجوا عن منازلهم، فسأل أن يعطى من ذلك، فاكتريت لنا دار بمئتي درهم فصار إليها، وأجرى لنا مائدة وثلج، وضرب الخيش، وفرش الطبري، فلما رأى الخيش والطبري تنحى عن ذلك الموضع، وألقى نفسه على مضربة له، واشتكت عينه ثم بَرئت، فقال: ألا تعجب؟ كانت عيني تشتكي فتمكث حينا حتى تبرأ، ثم قد برئت في سرعة.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: قال لي أحمد بن حنبل ونحن بالعسكر: لي اليوم ثمان منذ لم آكل شيئًا ولم أشرب إلا أقل من ربع سويق، وكان يمكث ثلاثا لا يطعم فإذا كانت ليلة الرابعة أضع بين يديه قدر نصف ربع سويق، فربما شربه وربما ترك بعضه، وكان إذا ورد عليه أمر يغمه لم يطعم ولم يفطر إلا على شربة ماء.

- وعن صالح بن أحمد، قال: جعل أبي يواصل في العسكر يفطر في كل ثلاث على تمر شهريز، فمكث بذلك خمسة عشر يوما، يفطر في كل ثلاث، ثم جعل بعد ذلك يفطر ليلة وليلة، لا يفطر إلا على رغيف وكان إذا جيء بالمائدة توضع في الدهليز لكي لا يراها، فيأكل من حضر، وكان إذا أجهده الحر تلقى له خرقة فيضعها على صدره، وفي كل يوم يوجه المتوكل

(١) من أنواع السفن. (ح) (ت).

بابن ماسويه ينظر إليه ويقول: يا أبا عبد الله، أنا أميل إليك وإلى أصحابك، وما بك من علة إلا الضعف وقلة الرز[١]، وإن عيادنا ربما أمرناهم بأكل دهن الخل فإنه يلين، وجعل يجيء بالشيء ليشربه فيصبه، وجعل يعقوب وعتاب يصيران إليه، فيقولان له: يقول لك أمير المؤمنين: ما تقول في ابن أبي دؤاد، وفي ماله؟ فلا يجيب في ذلك شيئا، وجعلا يخبرانه بما حدث من أمر ابن أبي دؤاد في كل يوم، ثم أحضر ابن أبي دؤاد إلى بغداد بعد ما أشهد عليه ببيع ضياعه، وكان ربما صار إليه يحيى وهو يصلي، فيجلس في الدهليز حتى يفرغ، ويجيء علي بن الجهم، فينتزع سيفه وقلنسوته ويدخل عليه.

وأمر المتوكل أن يُشترى لنا دار، فقال لي: يا صالح، قلت: لبيك قال: لئن أقررت لهم بشراء دار لتكونن القطيعة بيني وبينك، إنما يريدون أن يصيروا هذا البلد لي مأوى ومسكنا، فلم يزل يدفع شراء الدار حتى اندفع، وصار إلي صاحب النزل، فقال: أعطيك كل شهر ثلاثة آلاف درهم مكان المائدة؟ قلت: لا. وجعلت رسل المتوكل تأتيه يسألونه عن خبره، فيصيرون إليه، فيقولون له: هو ضعيف، وفي خلال ذلك يقولون: يا أبا عبد الله، لا بد له من أن يراك فيسكت، فإذا خرجوا، قال: أما تعجب من قولهم: لا بد أن يراك، وما علمهم من أنه لا بد أن يراني؟ وجاء يعقوب، فقال: يا أبا عبد الله أمير المؤمنين مشتاق إليك، ويقول: انظر اليوم الذي تصير إليه فيه أي يوم هو حتى أعرفه؟ فقال: ذاك إليكم، فقال: يوم الأربعاء يوم خال، ثم خرج

(١) **الرز - بكسر الراء وتشديد الزاي -**: غمز الحدث وحركته في البطن للخروج حتى يحتاج صاحبه إلى دخول الخلاء (اللسان) أي: أنه لا يجد شيئًا من هذا لقلة الطعام. (ح).

يعقوب، فلما كان من الغد جاء فقال: البشرى يا أبا عبد الله، أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام، ويقول لك: قد أعفيتك من لبس السواد والركوب إلى ولاة العهد وإلى الدار، فإن شئت فالبس القطن، وإن شئت فالبس الصوف، فجعل يحمد الله ﷻ على ذلك. ثم قال له يعقوب: إن لي ابنا وأنا معجب به، وله من قلبي موقع، فأحب أن تحدثه بأحاديث، فسكت، فلما خرج، قال: أتراه ما يرى ما أنا فيه؟!

- وعن المروذي قال: سمعتُ يعقوب - رسول الخليفة - يقول لأبي عبد الله: يجيئك ابني بين المغرب والعشاء فتحدثه بحديث واحد أو حديثين؟

فقال: لا، لا يجيء، فلما خرج سمعته يقول: ترى لو بلغ أنفه طرف السماء حدثته[1]؟ أنا أحدث حتى يوضع الحبل في عنقي؟!

- وعن صالح بن أحمد، قال: كان أبي يختم من جمعة إلى جُمعة فإذا ختم يدعو ونؤمن، فلما فرغ جعل يقول: أستخير الله ﷻ، مرارًا، فجعلت أقول: ما تريد؟ فقال: أعطى الله عهدًا إن عهده كان مسؤولاً وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] أني لا أحدث حديثًا تامًا أبدًا حتى ألقى الله ﷻ، ولا أستثني منكم أحدًا، وجاء علي بن الجهم، فقلنا له، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] وأخبر المتوكل بذلك. وقال أبي: يريدون أن أحدث فيكون هذا البلد حبسي، وإنما كان سبب الذين أقاموا بهذا البلد أنهم أعطوا فقبلوا، وأمروا فحدثوا، وكان يدخل عليه يحيى ويعقوب وعتاب وغيرهم فيتكلمون وهو مغمض العين يتعلل، وضَعف ضعفًا شديدًا، فكانوا يخبرون المتوكل بضعفه فيتوجع

(١) في (د): (لو بلغ أنفه إلى السماء ما حدثته). (ح).

لذلك، ويوجه إليه في كل وقت يسأله عن حاله، كان في خلال ذلك يأمر لنا بالمال، فيقول: يوصل إليهم ولا يعلم شيخهم. ويقول: ما يريد منهم؟ إن كان هو لا يريد الدنيا فلم يمنعهم؟ وقالوا للمتوكل: أنه لا يأكل من طعامك، ولا يجلس على فراشك، ويحرم هذا الشراب الذي تشرب، فقال: لو نشر المعتصم، وقال لي فيه شيء لم أقبله.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: أنا منذ كذا وكذا أستخير الله ﷻ في أن أحلف أن لا أحدث، وقال: قد تركنا الحديث وليس يتركونا.

- وعن ابن أبي حاتم، قال: حدثنا صالح: ثم انحدرت إلى بغداد وخلفت عبد الله عنده، فإذا عبد الله قد قدم، وجاء بثيابي التي كانت عنده. فقلت: ما حالك؟ فقال: قال لي: انحدر وقل لصالح لا يخرج، فأنتم كنتم آفتي، والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما أخرجت واحدا منكم معي، ولولا مكانكم لمن كانت توضع هذا المائدة؟ ولمن كان يفرش هذا الفرش، ويجرى هذا الشيء؟ فكتبت أعلمه بما قال عبد الله، فكتب بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك، ودفع عنك كل مكروه ومحذور الذي حملني على الكتابة إليك، والذي قلت لعبد الله: لا يأتيني منك أحد رجاء أن ينقطع ذكري ويخمد، فإنكم إذا كنتم هاهنا فشا ذكري، وكان يجتمع الناس إليك، قوم ينقلون أخبارنا، ولم يكن إلا خير، واعلم يا بني، أنك إن أقمت فلم تأتيني أنت ولا أخوك فهو رضائي، فلا تجعل في نفسك إلا خيرا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال أبو الفضل: ثم ورد كتاب آخر بخطه إلي يذكر فيه: بسم الله

الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك ودفع عنك السوء برحمته، كتابي إليك، وأنا بأنعم من الله ﷻ مُتظاهرة، أسأله تمامها والعون على أداء شكرها، وقد انفكت عنا عقد، إنما كان حبس من كان هاهنا لما أعطوا فقبلوا، وأجري عليهم فصاروا في الحد الذي صاروا إليه، وحدثوا ودخلوا عليهم. فنسأل الله ﷻ أن يعذنا من شرهم وأن يخلصنا، فقد كان ينبغي لكم لو فديتموني بأموالكم وأهاليكم لهان ذلك عليكم للذي أنا فيه، ولا يكبر عليكم ما أكتب به إليكم، فالزموا بيوتكم لعل الله ﷻ أن يخلصنا، والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم ورد علي غير كتاب بخطه بنحو من هذا، فلما خرجنا رفعت المائدة والفرش، وكل ما كان أقيم لنا، وأوصى وصية: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أحمد بن حنبل، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين، وأن يحمدوه في الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين، وأوصى أنه رضي بالله ﷻ ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وأوصى أن لعبد الله بن محمد المعروف بفُوران علي نحوًا من خمسين دينارًا، وهو مصدق فيما قال، فيقضى ما له علي من غلة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطي ولد صالح [وعبد الله ابني أحمد بن محمد بن حنبل][(١)] كل ذكر وأنثى عشرة دراهم، عشرة دراهم، بعد وفاء مال أبي محمد. شهد أبو يوسف صالح وعبد الله ابنا أحمد بن محمد بن حنبل.

(١) زيادة من (سيرة الإمام أحمد). (ح).

- وعن أبي بكر المروذي، قال: أنبهني أبو عبد الله ذات ليلة وقد كان واصل، فإذا هو قاعد، فقال: هو ذا يدار بي من الجوع، فأطعمني شيئا فجئته بأقل من رغيف، فأكل، ثم قال: لولا أني أخاف العون على نفسي ما أكلت، وكان يقوم من فراشه إلى الخروج، فيقعد يستريح من الضعف من الجوع، حتى إن كنت لأبل له الخرقة فيلقيها على وجهه لترجع إليه نفسه، حتى أوصى وأشهد على وصيته من الضعف من غير مرض. فسمعته يقول عند وصيته ونحن بالعسكر: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد، أوصى: أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يحمدوا الله في الحامدين وأن ينصحوا لجماعة المسلمين، وأوصي: أني رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، وأوصى أن عليه خمسين دينارا تؤدى من الغلة حتى تستوفى.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يومًا، ما ذاق شيئًا إلا مقدار ربع سويق، في كل ليلة كان يشرب شربة ماء، وفي كل ثلاث ليال يستف حفنة من السويق، فرجع إلى البيت ولم ترجع إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر، ورأيت مآقيه قد دخلا في حدقتيه.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: كان أبو عبد الله بالعسكر يقول: انظر هل تجد لي ماء الباقلاء؟ فكنت ربما بللت خبزة بالماء فيأكله بالملح، ومنذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا ما ذاق طبيخًا ولا دسمًا.

- وعنه، قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: إني لأتمنى الموت

صباحًا ومساءً أخاف أن أفتن بالدنيا، لقد تفكرت البارحة، فقلت: هذه محنتان، امتحنت بالدين، وهذه محنة بالدنيا، وقال لي ونحن بالعسكر: ألا تعجب! كان قوتي فيما مضى أرغفة، وقد ذهبت عني شهوة الطعام فما أشتهيه، قد كنت في السجن آكل، وذلك عندي زيادة في إيماني وهذا نقصان، وقال لنا يوما ونحن بالعسكر: لي اليوم ثمان لم آكل شيئًا ولم أشرب إلا أقل من ربع سويق. وكان يمكث ثلاثًا لا يطعم، وأنا معه، فإذا كان الليلة الرابعة أضعه بين يديه قدر نصف ربع سويق، فربما شربه وربما ترك بعضه، فمكث نحو من خمسة عشر يومًا، أو أربعة عشر يومًا لم يطعم إلا أقل من اربعين سويقًا، وكان إذا ورد عليه أمر يغمه لم يطعم ولم يفطر، وواصل إلا شربة ماء، وكلم في أمره وفي الحمل على نفسه، فقيل له: لو أمرت بقدر تطبخ لك لترجع إليك نفسك؟ فقال: الطبيخ طعام المطمئنين، مكث أبو ذر ثلاثين يوما ما له طعام إلا ماء زمزم؛ وهذا إبراهيم التيمي كان يمكث في السجن كذا وكذا لا يأكل، وهذا ابن الزبير كان يمكث سبعًا.

- وعن صالح بن أحمد: أن المتوكل كان قد اكترى لهم دارا، قال: فسأل أبي أن يحول من الدار التي اكتريت له، فاكترى هو دارًا وتحول إليها فسأل عنه المتوكل فقيل له: إنه عليل. فقال: كنت أريد أن يكون في قربي وقد أذنت له، يا عبيد الله، احمل إليه ألف دينار يقسمها، وقل لسعيد يهيئ له حراقة ينحدر فيها، فجاءه علي بن الجهم في جوف الليل، ثم جاء عبيد الله ومعه ألف دينار، فقال: قد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره فردها، وقال: أنا رقيق على البرد، والبر أرفق بي فكتب له جواز، وكتب إلى محمد بن عبد الله في بره وتعاهده فقدم علينا بين الظهر والعصر.

- وعن سليمان بن الأشعث، يقول: كتب المتوكل إلى خليفته أن يحمل أحمد إليه، فحمل إليه، فلما قدم أحمد أمر أن يفرغ له قصر ويبسط له فيه، ويجري على مائدته كل يوم كذا وكذا، وأراد أن يسمع ولده الحديث فأبى أحمد ولم يجلس على بساطه، ولم ينظر إلى مائدته وكان صائمًا، فإذا كان عند الإفطار أمر رفيقه الذي معه أن يشتري له ماء الباقلاء فيفطر عليه، فبقي أيامًا على هذه الحال، وكان علي بن الجهم من أهل السنة، حسن الرأي في أحمد فكلم أمير المؤمنين فيه وقال: هذا رجل زاهد لا ينتفع به، فإن رأى أمير المؤمنين أن يؤذن له. ففعل، ورجع أحمد إلى منزله.

- وعن أبي بكر المرُّوذي، قال: سمعت إسحاق بن حنبل ونحن بالعسكر يناشد أبا عبد الله ويسأله الدخول على الخليفة ليأمره وينهاه. وقال: إنه يقبل منك، هذا إسحاق بن راهويه يدخل على ابن طاهر فيأمره وينهاه، فقال أبو عبد الله: تحتج علي بإسحاق! فأنا غير راض بفعلك، ما له في رؤيتي خير، ولا لي في رؤيته خير، يجب علي إذا رأيته أن آمره وأنهاه، والدنو منهم فتنة، والجلوس معهم فتنة، ونحن متباعدون منهم ما أرانا نسلم، فكيف لو قربنا منهم؟ قال المروذي: وسمعت إسماعيل ابن أخت ابن المبارك يناظر أبا عبد الله ويكلمه في الدخول على الخليفة، فقال له أبو عبد الله: قد قال خالك - يعني ابن المبارك - لا تأتيهم فإن أتيتهم فاصدقهم، وأنا أخاف أن لا أصدقهم. وسمعت أبا عبد الله، يقول: لو دخلت عليه ما ابتدأته إلا بأبناء المهاجرين والأنصار.

وفي رواية أن عم أحمد قال له: لو دخلت على الخليفة فإنك تكرم عليه، فقال: أنما غمي من كرامتي عليه. وبلغني عن أبي الحسين

بن المنادي، أنه قال: امتنع أحمد من الحديث قبل أن يموت بثمان سنين أقل أو أكثر وذلك أن المتوكل وجه إليه فيما بلغنا يقرأ عليه السلام، ويسأله أن يجعل المعتز في حجره ويعلمه العلم، فقال للرسول: أقرئ على أمير المؤمنين السلام، وأعلمه أن علي يمين مقفلةً أني لا أتم حديثًا حتى أموت، وقد كان أمير المؤمنين أعفاني مما أكره، وهذا مما أكره. فقام الرسول من عنده.

سياق ما جرى بينه وبين المتوكل بعد عودته من العسكر

- عن صالح بن أحمد، قال: كان يأتيه رسول المتوكل يبلغه السلام ويسأله عن حاله فنُسر نحن بذلك، وتأخذه نفضة حتى ندثره، ثم يقول: والله لو أن نفسي في يدي لأرسلتها، ويضم أصابعه ثم يفتحها.

وقدم المتوكل فنزل الشماسية يريد المدائن فقال: يا صالح، أحب أن لا تذهب إليهم ولا تنبههم، قلت: نعم، فلما كان بعد يوم وأنا قاعد خارجا وكان يومًا مطيرًا، إذ يحيى بن خاقان قد جاء والمطر عليه في موكب عظيم، فقال: سبحان الله! لم تصر إلينا حتى تبلغ أمير المؤمنين [السلام][(١)] عن شيخك حتى وجه بي، ثم نزل خارج الزقاق، فجهدت به أن يدخل على الدابة فلم يفعل، فجعل يخوض الطين. فلما صار إلى الباب نزع جرموقا كان خفه، ودخل البيت، وأبي في الزاوية قاعد عليه كساء مرقع وعمامة، والستر الذي على باب البيت، قطعة خيش، فسلم عليه وقبل جبهته وسأله عن حاله وقال: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام، ويقول: كيف أنت في نفسك؟ وكيف حالك؟ قد أنست

(١) زيادة من المصادر (ح).

بقربك، ويسأل أن تدعو الله ﷻ له. فقال: ما يأتي علي يوم إلا وأنا أدعو الله ﷻ له. ثم قال له: قد وجه معي ألف دينار تفرقها على أهل الحاجة، فقال يا أبا زكريا: أنا في البيت منقطع عن الناس، وقد أعفاني مما أكره وهذا مما أكره، فقال: يا أبا عبد الله الخلفاء لا يحتملون هذا كله. فقال: يا أبا زكريا تلطف في ذلك، فدعا له ثم قام، فلما صار إلى الدار رجع، وقال: كذلك لو وجه إليك بعض إخوانك كنت تفعل؟ قال: نعم. قال صالح: فلما صرنا إلى الدهليز، قال:

قد أمرني أمير المؤمنين أن أدفعها إليك تفرقها على أهل بيتك، فقلت: تكون عندك حتى تمضي هذه الأيام وقل يوم يمضي إلا رسول المتوكل يأتيه.

قال ابن أبي حاتم: وأخبرنا عبد الله بن أحمد فيما كتب إلي، قال: سمعت أبي يقول: لقد تمنيت الموت وهذا أشد علي من ذلك، ذاك فتنة الدين، الضرب والحبس كنت أحتمله في نفسي وهذه فتنة الدنيا. أو كما قال.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: هذا أمر أشد علي من ذلك، ذاك فتنة الدين، الضرب والحبس كنت أحتمله في نفسي، وهذه فتنة الدنيا.

- وعن المروذي، قال: قال لي أبو عبد الله: قد جاء يحيى بن خاقان ومعه شوي[1]، فجعل يقلله أبو عبد الله. قلت له: قالوا: إنها ألف دينار، قال: هكذا، قال: فرددتها عليه فبلغ الباب ثم رجع فقال: إن جاءك

(١) الأمر الهين ورذال المال (القاموس). (ح) (ت).

أحد من أصحابك بشيء تقبله؟ قلت: لا، قال: إنما أريد أن اخبر الخليفة بهذا. قلت لأبي عبد الله: أي شيء كان عليك لو أخذتها فقسمتها؟ فكلح وجهه، وقال: إذا أنا قسمتها أي شيء كنت أريد؟ أكون له قهرمانا؟!

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: كتب عبيد الله بن يحيى إلى أبي يخبره: إن أمير المؤمنين أمرني أن أكتب إليك أسألك عن أمر القرآن، لا مسألة امتحان، ولكن مسألة معرفة وبصيرة، فأملى علي أبي إلى عبيد الله بن يحيى: بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك يا أبا الحسن في الأمور كلها، ودفع عنك مكاره الدنيا والآخرة برحمته، قد كتبت إليك -رضي الله عنك- بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بما حضرني، وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين، فقد كان الناس في خوض من الباطل واختلاف شديد يغتمسون فيه، حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين، فنفى الله بأمير المؤمنين كل بدعة وانجلى عن الناس ما كانوا فيه من الذل وضيق المحابس، فصرف الله ذلك كله وذهب به بأمير المؤمنين، وقع ذلك من المسلمين موقعا عظيما، ودعوا الله لأمير المؤمنين، فأسأل الله أن يستجيب في أمير المؤمنين صالح الدعاء، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين، وأن يزيد في نيته، ويعينه على ما هو فيه.

فقد ذكر عن ابن عباس أنه قال: «لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم»، وذكر عن عبد الله بن عمر أن نفرا كانوا جلوسا بباب النبي ﷺ، فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا؟ فسمع رسول الله، فخرج فكأنما فقئ في وجهه حب رمان، فقال: «**أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما هاهنا في**

شيء، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه» وذكر أحاديث ثم قال: وقد قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التّوبَة: ٦]، وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعرَاف: ٥٤] فأخبر أن الأمر غير الخلق - وذكر آيات - وقال: لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن النبي ﷺ أو عن أصحابه، أو عن التابعين.

❐ ❐ ❐

الباب السبعون
في ذكر ما جرى له مع ابن طاهر
من طلب استئزاره وامتناعه عليه

- عن صالح بن أحمد قال: قدم محمد بن عبد الله بن طاهر، فوجه إلى أبي: أحب أن تصير إلي، وتعلمني اليوم الذي تعزم عليه حتى لا يكون عندي أحد، فوجه إليه: أنا رجل لم أخالط السلطان، وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره، فجهد أن يصير إليه فأبى، فكتب إلي إسحاق بن راهويه: إني دخلت على طاهر بن عبد الله، فقال: يا أبا يعقوب، كتب إلي محمد أنه وجه إلى أحمد ليصير إليه فلم يأته، فقلت: أصلح الله الأمير إن أحمد قد حلف أن لا يحدث، فلعله كره أن يصير إليه فيسأله أن يحدثه، فقال: ما تقول؟ قال: فقلت: نعم، قال صالح: فأخبرت أبي بذلك فسكت.

قلت: وإنما امتنع أحمد من زيارة ابن أبي طاهر لأنه كان سلطانا، وإلا فقد كان يزور أهل العلم والدين.

- وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: لما أطلق أبي من المحنة خشي أن يجيء إليه إسحاق بن راهويه، فرحل أبي إليه، فلما بلغ الري، دخل إلى مسجد فجاءه مطر كأفواه القرب، فلما كانت العتمة، قال له: اخرج من المسجد فإنا نريد أن نغلقه، فقال لهم: مسجد الله وأنا عبد الله، فقيل له: أيما أحب إليك أن تخرج أو تجر برجلك؟ قال أحمد: فقلت: سلامًا. فخرجت من المسجد والمطر والرعد والبرق، فلا أدري أين أضع رجلي ولا أين أتوجه، فإذا رجل قد خرج من داره فقال: يا هذا أين تمر في هذا الوقت؟ فقلت: لا أدري أين أمر؟ فقال لي: ادخل، فأدخلني دارا

فنزع ثيابي وأعطوني ثيابا جافة وتطهرت للصلاة، فدخلت إلى بيت فيه كانون فحم ولبود ومائدة منصوبة، فقيل لي: كل، فأكلت معهم، فقال لي: من أين أنت؟ قلت: أنا من بغداد فقل لي: تعرف رجلا يقال له: أحمد بن حنبل؟ فقلت: أنا أحمد بن حنبل، فقال لي: وأنا إسحاق بن راهويه.

❐ ❐ ❐

الباب الحادي والسبعون
في ذكر ما جرى له مع ولديه وعمه حينما قبلوا صلة السلطان

- عن صالح بن أحمد، قال: لما قدم أبي من عند المتوكل مكث قليلاً ثم قال: يا صالح، قلت: لبيك، قال: أحب أن تدع هذا الرزق فلا تأخذه ولا توكل فيه أحدًا، قد علمت أنكم إنما تأخذون هذا بسببي، فإذا أنا مت فأنتم تعلمون، فسكت، فقال: ما لك؟ فقلت: أكره أن أعطيك شيئًا بلساني وأخالف إلى غيره فأكون قد كذبتك ونافقتك، وليس في القوم أكثر عيالاً مني، ولا أعذر، وقد كنت أشكو إليك، فتقول: أمرك منعقد بأمري، ولعل الله أن يحل عني هذه العقدة، ثم قلت: وقد كنت تدعو لي وأرجو أن يكون الله ﷻ قد استجاب لك، فقال: لا تفعل؟ فقلت: لا، فقال: قم فعل الله بك وفعل، ثم أمر بسد الباب بيني وبينه، فتلقاني عبد الله وسألني فأخبرته، فقال: ما أقول؟ فقلت: ذاك إليك، فقال له مثل ما قال لي، فقال: لا أفعل، فكان منه نحو مما كان منه إلي، ولقينا عمه، فقال: لم أردتم أن تقولوا له؟ وما كان علمه إذا أخذتم شيئا؟ فدخل عليه، فقال: يا أبا عبد الله، لست آخذ شيئا من هذا، فقال: الحمد لله فهجرنا وسد الأبواب بيننا، وتحامى منازلنا أن يدخل منها إلى منزله شيء، وقد كان قديما قبل أن نأخذ من السلطان يأكل عندنا، وربما وجهنا بالشيء فيأكل منه، فلما مضى نحو من شهرين؛ كتب لنا بشيء فجيء به إلينا، فأول من جاء عمه فأخذه فأخبر فجاء إلى الباب الذي كان سده بيني وبينه وقد فتح الصبيان كوة، فقال: ادعو إلي صالحا، فجاءني الرسول، فقلت له: ليس أجيء، فوجه إلي: لم لم تجئ؟ فقلت له: هذا الرزق يرتزقه جماعة

كثيرة، وإنما أنا واحد منهم، وليس فيهم أعذر مني، فإذا كان توبيخ خصصت به أنا، فمضى، فلما نادى عمه بالأذان خرج، فلما خرج، قيل له: إنه قد خرج إلى المسجد، فجئت حتى صرت في الموضع الذي أسمع كلامه، فلما فرغ من الصلاة التفت إلى عمه ثم قال له: يا عدو الله، نافقتني وكذبتني وكان غيرك أعذر منك! زعمت أنك لا تأخذ من هذا شيئًا ثم أخذت، فأنت تستغل مئتي درهم وعمدت إلى طريق المسلمين تستغلهم، إنما أشفق أن تطوق يوم القيامة بسبع أرضين، ثم هجره وترك الصلاة في المسجد، وخرج إلى مسجد آخر يصلي فيه.

- وعن أبي جعفر بن ذريح العكبري، قال: طلبت أحمد بن حنبل في سنة ست وثلاثين ومئتين لأسأله عن مسألة، فسألت عنه فقالوا: إنه خرج يصلي خارجا، فجلس له على باب الدرب حتى جاء، فقمت فسلمت عليه فرد السلام، فدخل الزقاق وأنا أماشيه، فلما بلغنا آخر الدرب، إذا باب يفرج، فدخله وصار خلفه، وقال: اذهب عافاك الله، فالتفت فإذا مسجد على الباب وشيخ مخضوب قائم يصلي بالناس، فجلست حتى سلم الإمام، فخرج رجل، فقلت: هذا الشيخ هو من؟ قال: إسحاق عم أحمد بن حنبل، قلت: فما له لا يصلي خلفه؟ فقال: ليس يكلم ذا ولا ابنيه لأنهم أخذوا جائزة السلطان.

- وعن صالح بن أحمد، قال: بلغ أبي في زمان هجره لنا أنه قد كتب لنا بشيء فبلغه، فجاء إلى الكوة التي في الباب، فقال: يا صالح، انظر ما كان للحسن وأم علي، فاذهب به إلى فوران حتى يتصدق به في الموضع الذي أخذ منه. فقلت له: ما علم فوران من أي موضع أخذ، فقال: افعل ما أقول لك، فوجهت ما كان أضيف إليهما إلى فوران، وكان إذا بلغه أنا

قد قبلنا طوى تلك الليلة فلم يفطر، ثم مكث شهرًا لا أدخل عليه، ثم فتح الصبيان الباب، ودخلوا غير أنه لا يدخل إليه شيء من منزلي. ثم وجهت إليه يا أبت، قد طال هذا الأمر، وقد اشتقت إليك فدخلت عليه، فسكت، فأكببت عليه وقلت: يا أبت، تدخل على نفسك هذا الغم؟ قال: يا بني، ما لا أملكه، ثم مكثنا مدة لا نأخذ شيئًا، ثم كتب لنا بشيء فقبضناه، فلما بلغه هجرنا أشهرا، فكلمه فوران، ووجه إلي فوران فدخلت، فقال له: يا أبا عبد الله، صالح وحبك له، فقال: يا أبا محمد، لقد كان أعز الخلق علي، وأي شيء أردت له إلا ما أردته لنفسي؟ فقلت له: يا أبت، ومن رأيت أنت ممن لقيت قوي على ما قويت عليه أنت؟ فقال: وتحتج علي؟ ثم كتب إلى يحيى بن خاقان يسأله ويعزم عليه أن لا يعيننا على شيء من أرزاقنا ولا يتكلم فيه، فلما وصل رسوله بالكتاب إلى يحيى، أخذه صاحب الخبر، فأخذ نسخته ووصلت إلى المتوكل، فقال لعبيد الله: كم من شهر لولد أحمد بن حنبل؟ فقال: عشرة أشهر. فقال: تحمل إليهم الساعة أربعين ألف درهما من بيت المال صحاح ولا يعلم بها، فقال يحيى للقيم: أنا أكتبه إلى صالح أعلمه، فورد علي كتابه، فوجهت إلى أبي أعلمته، فقال الذي أخبره: سكت قليلا وضرب بذقنه صدره ثم رفع رأسه، وقال: ما حيلتي إذا أردت أمرا، وأراد الله ﷻ أمرًا.

- وعن البوشنجي، يقول: حُكي لنا عن المتوكل، أنه قال: إن أحمد ليمنعنا من بر ولده وذلك أنه كان وجه إلى ولده وإلى ولد ولده وإلى عمه بمال عظيم، فأخذوه دون علم أحمد، فلما بلغه ذلك، أنكر عليهم وتقدم إليهم برده، وقال لهم: لم تأخذوه والثغور معطلة غير مشحونة، والفيء غير مقسم بين أهله؟ فاعتلوا بخروج ذلك المال من أيديهم في ديونهم، وما كان

عليهم، ثم وجه المتوكل مالاً آخر، وقال: ليعط ولده من غير علم أحمد، فأخذوه فبلغ ذلك أحمد، فجمعهم وقال لهم: احتججتم في المال الأول بذهابه عنكم وبديونكم، فردوه، فأنا شهدت وقد سد بابًا كان بينه وبين صالح ابنه، وترك مسجده ومؤذنه عمّه وإمامه ابن عمير، وداره لزيقة المسجد، وهجرهم من أجل ذلك المال، وأنا رأيته يخرج من زقاقه ومن دربه إلى الشارع، ويدخل دربًا آخر فيه مسجد يقال له: مسجد سدرة، يصلي فيه الجماعة، ثم لما أشخص إلى العسكر أيام المتوكل، أُحضر دار الخلافة ليحدِّث فيها ولد المتوكل المعتز والمنتصر والمؤيِّد، وهم ولاة العهود، فجعل يتمارض، وإذا سُئل قال: لا أحفظ، وكتبي عني غائبة، حتى أعفي ووقع المتوكل في بعض ما وقع: أعفينا أحمد مما يكرهه.

ولقد جاءته تحفة رطب من قبل المتوكل مختومة فما طعم منها وبلغني أنه احتج في ذلك اليوم فقال: إن أمير المؤمنين أعفاني مما أكره، فإذا جاءه شيء قال: هذا مما أكره، فيعفى، فكانت هذه حاله.

❐ ❐ ❐

الباب الثاني والسبعون
في ذكر جماعة ممن لم يجب في المحنة

- عن أبي العباس بن سعيد المروزي، قال: لم يصبر في المحنة إلا أربعة كلهم من مرو: أحمد بن حنبل، وأحمد بن نصر، ومحمد بن نوح، ونعيم بن حماد.

قال أبو الحسين بن المنادي: وممن لم يجب أبو نعيم الفضل بن دكين، وعفان والبويطي، وإسماعيل بن أبي أويس، وأبو مصعب المدنيان، ويحيى الحماني.

- وعن حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله - يعني أحمد بن حنبل - يقول: شيخان قاما لله بأمر لم يقم به أحد - أو كثير أحد - مثل ما قام به عفان وأبو نعيم - يعني امتناعهما من الإجابة -.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل - وذكر أحمد بن نصر [الخزاعي] - فقال: رَحِمَهُ اللَّهُ ما كان أسخاه، لقد جاد بنفسه.

قلت: وعموم هؤلاء الذين لم يجيبوا أهمل منهم قوم، وحُبس منهم قوم، فلم يلتفت إليهم وإنما كان المقصود أحمد بن حنبل لجلالة قدره وعظم موقعه.

❐ ❐ ❐

الباب الثالث والسبعون
في ذكر مرضه

- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: سمعت أبي يقول: استكملت سبعا وسبعين سنة ودخلت في ثمان وسبعين، فحم من ليلته ومات يوم العاشر سنة إحدى وأربعين.

- وعن محمد بن يوسف الجوهري، قال: دخلت على أبي عبد الله أحمد بن حنبل في الحبس، وعنده أبو سعيد الحداد، فقال له: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ فقال: بخير في عافية والحمد لله، فقال له أبو سعيد: حممت البارحة؟ قال: إذا قلت لك أنا في عافية فحسبك. لا تخرجني إلى ما أكره.

- وعن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: لما كان في أول يوم في شهر ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين حم أبي ليلة الأربعاء، فدخلت عليه يوم الأربعاء وهو محموم يتنفس تنفسا شديدا، وكنت عرفت علته، وكنت أمرضه إذا اعتل، فقلت له: يا أبه، علام أفطرت البارحة؟ قال: على ماء باقلاء، ثم أراد القيام، فقال: خذ بيدي، فأخذت بيده، فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ علي، وكان يختلف إليه غير متطبب، كلهم مسلمون، فوصف له متطبب - يقال له: عبد الرحمن - قرعة تشوى ويُسقى ماءها - وهذا يوم الثلاثاء وتوفي يوم الجمعة - فقال: يا صالح، قلت: لبيك، قال: لا تُشوى في منزلك ولا في منزل عبد الله أخيك، وصار الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده، فحجبته، وأتى [ابن][(١)] علي بن

(١) زيادة من (سير أعلام النبلاء). (ح) (ت).

الجعد فحجبته، وكثر الناس فقلت: يا أبت، قد كثر الناس، قال: فأي شيء ترى؟ قلت: تأذن لهم فيدعون لك، قال: أستخير الله فجعلوا يدخلون عليه أفواجًا حتى تمتلئ الدار، فيسألونه ويدعون له، ثم يخرجون، ويدخل فوج آخر، وكثر الناس، وامتلأ الشارع، وأغلقنا باب الزقاق، وجاء رجل من جيرانه قد خضب، فدخل عليه، فقال: إني لأرى الرجل يحيي شيئًا من السنة فأفرح به، فدخل فجعل يدعو له، فجعل يقول: له ولجميع المسلمين، وجاء رجل فقال: تلطف لي بالإذن عليه، فإني قد حضرت ضربه يوم الدار، وأريد أن أستحله. فقلت له: فأمسك فلم أزل به حتى قال: أدخله، فأدخلته فقام بين يديه وجعل يبكي، وقال: يا أبا عبد الله، أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار، وقد أتيتك، فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك، وإن رأيتك تحلني فعلت، فقال: على أن لا تعود لمثل ذلك، قال: نعم، قال: قد جعلتك في حل، فخرج يبكي، وبكى من حضر من الناس، وكان له في خُريقةٍ قُطيعات، فإذا أراد الشيء، أعطينا من يشتري له، فقال لي يوم الثلاثاء وأنا عنده: انظر في خريقتي هذه؟ فنظرت، فإذا فيها درهم، فقال: وجه فاقتض بعض السكان، فوجهت فأعطيت شيئا. فقال: وجه فاشتر تمرًا وكفر عني كفارة يمين، فوجهت، فاشتريت وكفرت عنه كفارة يمين، وبقي ثلاثة دراهم، أو نحو ذلك فأخبرته، فقال: الحمد لله، وقال: اقرأ علي الوصية، فقرأتها عليه فأقرها. قلت: قد ذكرنا وصيته في قصة المحنة فغنينا عن الإعادة.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: مرض أبو عبد الله ليلة الأربعاء لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين، ومرض تسعة أيام، فلما اشتدت علته وتسامع الناس أقبلوا لعيادته، فكثروا، ولزموا

الباب الليل والنهار يبيتون، وسمع السلطان بكثرة الناس، فوكل السلطان ببابه وبباب الزقاق الرابطة وأصحاب الأخبار.

وكان أبو عبد الله ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجًا أفواجًا يسلمون عليه، فيرد عليهم بيده، فلما جاءت الرابطة منع الناس من ذلك، وأغلق باب الزقاق، فكان الناس في الشوارع والمساجد، حتى تعطل بعض الباعة وحيل بينهم وبين البيع والشراء، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل عليه ربما أدخل من بعض الدور وطرز الحاكة، وربما تسلَّق، وجاء أصحاب الأخبار من قبل إبراهيم بن عطاء وكان ابن عطاء يتعاهده بالغداة والعشي، وربما لم يجتمعا، وأصحاب الأخبار من قبل ابن طاهر يسألون عن خبره.

وقال أبو عبد الله: جاءني حاجب ابن طاهر، فقال: إن الأمير يقرئك السلام، وهو يشتهي أن يراك، قال: فقلت له: هذا مما أكره، وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره، وجاء حاجب ابن طاهر بالليل فسأل من يختلف إليه من المتطببين، وأصحاب الأخبار يكتبون بخبره إلى العسكر والبرد تختلف كل يوم، وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه، وجعلوا يبكون عليه، وجاء قوم من القضاة غيرهم فلم يؤذن لهم، وجاء غلام لأبي يوسف عمه ليروحه فأشار إليه بيده أن لا يفعل لأنه كان اشتراه من الشيء الذي يكره، وقال: لا تبرح قد تغيرت فقلت: لا أبرح.

فكان إذا أراد الشيء مما يتعالج أخرج جريقة فيها قطيعات فيعطيني منها فأشتري له، وكان قد كتب وصيته بالعسكر وأشهدنا عليها، فبلغني أنه قال: اقرؤوها، فقرأت عليه، ثم أمر بكفارة يمين، فاشترينا

له تمرا، فبقي عليه منه دانق ونصف أو أرجح، فلما جئت، قال: ما صنعتم؟ قلت: أخذنا التمر وقد بعثنا به، فأشار برأسه إلى السماء وجعل يحمد الله. وجاء عبد الوهاب، فلما استيأسوا له، قال أبو عبد الله: عز علي بمجيئه في الحر، فلما دخل عليه أكب عليه فأخذ بيده، فلم تزل يده في يده حتى قام. ودخل عليه جماعة فيها شيخ مخضوب فنظر إليه فقال: إني لأسر أن أرى الشيخ قد خضب أو نحو هذا من الكلام.

وقال له رجل ممن دخل عليه: أعطاك الله ما كنت تريده لأهل الإسلام. فقال: استجاب الله لك، وجعلوا يخصونه بالدعاء فجعل يقول: قولوا: ولجميع المسلمين.

وربما دخل عليه الرجل الذي في قلبه عليه الشيء، فإذا رآه غمض عينيه كالمعرض، وربما سلم عليه الرجل منهم، فلا يرد عليه.

ودخل عليه شيخ فكلمه، وقال: اذكر وقوفك بين يدي الله، فشهق أبو عبد الله، وسالت الدموع على خديه، فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين، قال: ادعوا الصبيان - بلسان ثقيل - يعني الصغار، فجعلوا ينضمون إليه، وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم، وعينه تدمع، فقال له رجل: لا تغتم لهم يا أبا عبد الله، فأشار بيده، فظننا أن معناه: أني لم أرد هذا المعنى، وكان يصلي قاعدا، ويصلي وهو مضطجع، ولا يكاد يفتر، ويرفع يديه في إيماء الركوع.

وأدخلت الطست تحته فرأيت بوله دمًا عبيطًا ليس فيه بول، فقلت للطبيب فقال: هذا الرجل قد فتت الحزن والغم جوفه، واشتدت به العلة يوم الخميس ووضأته، فقال: خلل الأصابع، فلما كانت ليلة

الجمعة ثقل، فظننت أنه قد قبض، وأردنا أن نمدده، فجعل يقبض قدميه وهو موجه، وجعلنا نلقنه، فنقول: لا إله إلا الله ونردد ذلك عليه، وهو يهلل، وتوجه إلى القبلة واستقبلها بقدميه، فلما كان يوم الجمعة، اجتمع الناس حتى ملؤوا السكك والشوارع، فلما كان صدر النهار قُبض رَحِمَهُ اللَّهُ، فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجَّت وقعد الناس فخفنا أن ندع الجمعة فأشرفت عليهم فأخبرتهم: إنا نخرجه بعد صلاة الجمعة.

- وعن حنبل، أعطى بعض ولد الفضل بن الربيع أبا عبد الله وهو في الحبس ثلاث شعرات، فقال: هذا من شعر النبي ﷺ. فأوصى أبو عبد الله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة وشعرة على لسانه ففُعل به ذلك عند موته.

- وعن صالح بن أحمد، قال: لم يزل أبي يصلي في مرضه قائمًا أمسكه فيركع ويسجد، وأرفعه في ركوعه وسجوده، ودخل عليه مجاهد بن موسى، فقال: يا أبا عبد الله قد جاءتك البشرى، وهذا الخلق يشهدون لك، ما تبالي لو وردت على الله عَزَّوَجَلَّ الساعة، وجعل يقبل يده ويبكي، وجعل يقول: أوصني يا أبا عبد الله، فأشار إلى لسانه، ودخل سوار القاضي فجعل يبشره و يخبره بالرخص وذكر له عن معتمر، أنه قال: قال لي أبي عند موته: حدثني بالرخص، واجتمعت عليه أوجاع الحصر وغير ذلك ولم يزل عقله ثابتا، وهو في خلال ذلك يقول: كم اليوم في الشهر؟ فأخبره وكنت أنام بالليل إلى جنبه، فإذا أراد حاجة حركني فأناوله، وقال لي: جئني بالكتاب الذي فيه حديث ابن إدريس، عن ليث عن طاووس، أنه كان يكره الأنين فقرأته عليه، فلم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها.

- وعن عبد الله بن أحمد، قال: قال لي أبي في مرضه الذي توفي فيه: أخرج كتاب عبد الله بن إدريس، فأخرجت الكتاب، فقال: أخرج أحاديث ليث بن أبي سليم، فأخرجت أحاديث ليث، فقال: اقرأ علي حديث ليث قال: قلت لطلحة: إن طاووسًا كان يكره الأنين في المرض، فما سمع له أنين حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ، فقرأت الحديث على أبي، فما سمعت أبي يئن في مرضه ذلك إلى أن توفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

سياق ذكر حاله عند احتضاره

- عن عبد الله بن أحمد، قال: لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشد بها لحييه، فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه ويقول بيده هكذا، لا بَعْدُ، لا بَعْدُ، لا بَعْدُ، ثلاث مرات، ففعل هذا مرة ثانية، فلما كان في الثالثة، قلت له: يا أبت أي شيء هذا؟ قد لهجت به في هذا الوقت؟ تغرق حتى نقول قد قضيت، ثم تعود فتقول: لا بَعْدُ، لا بَعْدُ، فقال لي: يا بني ما تدري؟ فقلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم حذائي عاض على أنامله يقول لي: يا أحمد، فتني، وأنا أقول له: لا بعد، حتى أموت.

- وعن أحمد بن محمد بن عمر، قال: سئل عبد الله بن أحمد: هل عقل أبوك عند المعاينة؟ قال: نعم، كنا نوضيه فجعل يشير بيده فقال لي صالح: أي شيء يقول؟ فقلت: هو ذا يقول: خللوا أصابعي فخللنا أصابعه فترك الإشارة، فمات من ساعته.

- وعن صالح بن أحمد، قال: جعل أبي يحرك لسانه إلى أن توفي.

❐ ❐ ❐

الباب الرابع والسبعون
في تاريخ موته ومبلغ سنه

- عن حنبل بن إسحاق، قال: مات أبو عبد الله في يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومئتين، وهو ابن سبع وسبعين سنة.

- وعن عبد الله بن أحمد، يقول: توفي أبي في يوم الجمعة ضحوة، ودفناه بعد العصر لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين.

- وعن أحمد بن داود الأحمسي، قال: مات أحمد بن حنبل في سنة إحدى وأربعين ومئتين يوم الجمعة مع طلوع الشمس ورفعنا جنازته مع العصر ودفناه مع غروب الشمس.

فصل

ومن فضل الإمام أحمد موته يوم الجمعة.

- عن عبد الله بن أحمد، قال: حدثني أبي قال: حدثنا أبو عامر، قال: حدثنا هشام - يعني ابن سعد - عن سعيد بن أبي هلال، عن ربيعة بن سيف، عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة إلا وقاه الله ﷻ فتنة القبر**»[(١)]، وقد توفي يوم الجمعة خلق كثير من السادات.

❐ ❐ ❐

(١) وهو في المسند (٦٥٨٢)، ورواه الترمذي (١٠٧٤) وفي اسناده كلام.

الباب الخامس والسبعون
في ذكر غسله وكفنه

- عن صالح بن أحمد، قال: لما توفي أبي واجتمع الناس في الشوارع وجهت إليهم أعلمهم بوفاته، وأني أخرجه بعد العصر، ووجه ابن طاهر بحاجبه مظفر معه مناديل فيها ثياب وطيب، فقالوا: الأمير يقرئك السلام ويقول: قد فعلت ما لو كان أمير المؤمنين حاضره كان يفعل ذلك له، فقلت له أقرئه السلام وقل له: إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه في حياته، فعاد وقال: يكو ن شعاره ولا يكون دثاره، فأعدت عليه مثل ذلك، وقد كان غزلت له الجارية ثوبا عشاريا قوم بثمانية وعشرين درهمًا ليقطع منه قميصين، فقطعنا له لفافتين وأخذنا من فوران لفافة أخرى، فأدرجناه في ثلاث لفائف، واشترينا له حنوطًا، وقد كان بعض أصحابنا من العطارين سألني أن يوجه بحنوط فلم أفعل، وصب في حب لنا ماء، فقلت: قولوا لأبي محمد يشتري راوية ويصب الماء في الحب الذي كان يشرب منه، فإنه كان يكره أن يدخل من منازلنا إليه شيء، وفرغ من غسله، وكفناه، وحضر نحو من مئة من بني هاشم ونحن نكفنه، وجعلوا يقبلون جبهته حين رفعناه على السرير.

- وعن أبي بكر المروذي، قال: لما أردت غسله جاء بنو هاشم فاجتمعوا في الدار خلقًا كثيرًا، فأدخلناه البيت، وأرخينا الستر، وجللته بثوب حتى فرغنا من أمره، ولم يحضره أحد من الغرباء ونحن نغسله، فلما فرغنا من غسله، وأردنا ان نكفنه، طلبنا عليه بنو هاشم، وجعلوا يبكون عليه، ويأتون بأولادهم فيكبونهم عليه ويقبلونه. فوضعناه على سريره

وشددناه بالعمائم، وأرسل ابن طاهر بأكفان فرددتها، وقال عمه للرسول: هو لم يدع غلامي يروحه، وقال له رجل: قد أوصى أن يكفن في ثيابه، فكفناه في ثوب كان له مروي، أراد أن يقطعه فزدنا فيه، وصيرناه ثلاث لفائف.

❐ ❐ ❐

الباب السادس والسبعون
في ذكر المتقدم للصلاة عليه

- عن عبد الله بن أحمد، قال: توفي أبي يوم الجمعة ضحوة، وصلى عليه محمد بن عبد الله بن طاهر، غلبنا على الصلاة عليه، وقد كنا صلينا عليه نحن والهاشميون داخل الدار، ودفناه بعد العصر.

- وعن صالح بن أحمد، قال: لما توفي أبي، وجه إلي ابن طاهر: من يصلي عليه؟ قلت أنا، فلما صرنا إلى الصحراء، إذا ابن طاهر واقف. فخطا إلينا خطوات وعزانا، ووضع السرير، فلما انتظرت هنية، تقدمت وجعلت أسوي الناس، فجاءني ابن طالون ومحمد بن نصر فقبض هذا على يدي وهذا على يدي، وقالوا: الأمير؟ فمانعتهم، فنحياني، فصلى ولم يعلم الناس بذلك، فلما كان من الغد علم الناس، فجعلوا يجئيون ويصلون عليه على القبر، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر.

- وعن عبيد الله بن يحيى أبو الحسن، قال: سمعت المتوكل يقول لمحمد بن عبد الله: طوبى لك يا محمد، صليت على أحمد بن حنبل.

❐ ❐ ❐

الباب السابع والسبعون
في ذكر كثرة الجمع الذين صلوا عليه

- عن الهيثم بن خلف، قال: دفنا أحمد بن حنبل يوم الجمعة بعد العصر سنة إحدى وأربعين، وما رأيت جما قط أكثر من ذلك.

- وعن ابن أبي صالح القنطري، يقول: شهدت الموسم أربعين عاما، ما رأيت جمعا قط مثل هذا.

قال الخلال: وسمعت عبد الوهاب الوراق، يقول: ما بلغنا أن جمعًا كان في الجاهلية والإسلام مثله، حتى بلغنا أن الموضوع مُسح وحزِر على التصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف، وحزرنا على السور نحوا من ستين ألف امرأة، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب، يُنادون من أراد الوضوء، وكثُر ما اشترى الناس من الماء فسقوه.

- وعن بُنان بن أحمد القَصَباني، أخبرهم: أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل مع من حضر، قال: فكانت الصفوف من الميدان إلى قنطرة باب القطيعة، وحزر من حضرها من الرجال ثمان مئة ألف. ومن النساء ستون ألف امرأة.

- وعن موسى بن هارون، يقول: يقال: إن أحمد بن حنبل لما مات مسحت الأمكنة المبسوطة التي وقف الناس عليها للصلاة عليها، فحزر مقادير الناس بالمساحة على التقدير، ست مئة ألف وأكثر، سوى ما كان في الأطراف والحوالي والسطوح والمواضع المتفرقة، أكثر من ألف ألف.

- وعن عبد الوهاب الوراق، قال: ما بلغنا أنه كان للمسلمين جمع أكثر منهم على جنازة أحمد بن حنبل إلا جنازة كانت في بني إسرائيل.

- وعن الفتح بن الحجاج، قال: بعث أمير المؤمنين عشرين حازرا ليحزروا كم صلى على أحمد بن حنبل، فحزروا ألف ألف وثلاث مئة ألف سوى من كانوا في السفن.

- وعن أبي زرعة، يقول: بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف عليه الناس، حيث صلي على أحمد بن حنبل، فبلغ مقام ألفي ألف وخمس مئة ألف.

- وعن أبو عبد الرحمن السلمي، قال: حضرت جنازة أبي الفتح القواس الزاهد مع أبي الحسن الدارقطني، فلما نظر إلى الجمع، قال: سمعت أبا سهل بن زياد القطان، يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز.

❐ ❐ ❐

الباب الثامن والسبعون
في ذكر ما جرى عند حمل جنازته من مدح السنةوذم أهل البدعة

- عن محمد بن إبراهيم البوشنجي، يقول: صلوا على أحمد بن حنبل في المصلى، وظهر اللعن على الكرابيسي، فأخبر بذلك المتوكل، فقال: من الكرابيسي؟ فقيل: إنه رجل أحدث قولا لم يتقدمه أحد، فأمره بلزوم بيته حتى مات.

- وعن جعفر بن محمد النسوِي، يقول: شهدت جنازة أحمد بن حنبل وفيها بشر كثير، والكرابيسي يلعن لعنا كثيرًا بأصوات عالية، والمريسي أيضًا.

- وعن عبد الوهاب الوراق، يقول: أظهر الناس في جنازة أحمد بن حنبل السنة والطعن على أهل البدع، فسر الله المسلمين بذلك على ما عندهم من المصيبة، لما رأوا من العز وعلو الإسلام، وكبت الله أهل البدع، والزيغ والضلالة.

- وعن علي بن مهرويه، يقول: سمعت خالتي - وهي امرأة حارث المحاسبي - قالت: ما صلوا ببغداد في مسجد العصر يوم مات أحمد بن حنبل إلا في مسجد حارث.

❐ ❐ ❐

الباب التاسع والسبعون
في ذكر ما خلف من التركة

- عن محمد بن أبي هارون، أن إسحاق حدثهم، قال: مات أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وما خلف إلا ست قطع، أو سبع كانت في خرقته، خرقة كان يمسح بها وجهه قدر دانقين.

❐ ❐ ❐

الباب التاسع والسبعون
في ذكر تأثير موته عند الجن

- عن أبي بكر المروذي، قال: قال رجل بطرسوس: أنا من اليمن وكانت لي بنت مصابة، فجئت بالعزامين فعزموا عليها ففارقها الجني على أن لا يعاود، فعاود بعد سنة، فقلت: أليس قد فارقت على أن لا تعاود؟ قال: بلى، ولكن مات اليوم رجل بالعراق يقال له أحمد بن حنبل، فذهبت الجن كلها تصلي عليه إلا المردة وأنا منهم، و لست أعود بعد يومي هذا، فما عاد.

وقد رويت لنا هذه الحكاية على وجه آخر.

❐ ❐ ❐

الباب الثمانون
في ذكر التعازي به

قد ذكر أولاد أحمد ﷺ: أن خلقًا كثيرًا عزوهم عنه، وأن جماعة من الصالحين لم يعرفوا جاءوا للتعزية، فلم أطل بذكر ذلك، وإنما ذكرت نبذة من مشهور ذلك.

- عن صالح بن أحمد، قال: جاء كتاب المتوكل بعد أيام من موت أبي إلى محمد بن عبد الله بن طاهر يأمره بتعزيتنا، ويأمر بحمل الكتب فحملتها، وقلت: إنها لنا سماع، فتكون في أيدينا وتنسخ عندنا، فقال: أقول لأمير المؤمنين، فلم يزل يدافع الأمر، ولم تخرج عن أيدينا والحمد لله رب العالمين.

- وعنه، قال: كتب إلى أخ لي يعزيني عن أبي:

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإن الله ﷻ حتم الموت على عباده حتمًا عدلًا، على بريته كافة قضاء فصلا، حتى يأتي ذلك على جميع من ذرأ وبرأ؛ وكان ممن أتى عليه حتم الله وقضاؤه أبو عبد الله رحمة الله عليه، دعاه الله إليه فأجابه رضيًا مرضيًا نقيًا من الدنس والعيب، طاهر الثوب، غير مبتدع ولا ضال، ولا مضل، ولا زائغ عن هدى ولا مائل إلى هوى، لم يرهبه وعيد إلى أن نقله الله ﷻ إلى جواره، فلمثل ما صار إليه من كرامة الله فليعمل العاملون، وعلى أن المصيبة به قد مضت وأرمضت وأبلغت القلوب، وأنا أعزيك وعامة المسلمين ممن يقرأ كتابنا هذا بما أمر الله به تنجزا لما وعد من صلواته ورحمته وهداه، لمن احتسب وصبر وسلم ورضي بحكم الله النافذ على جميع خلقه، فقد مضى على أحسن حالاته وأحسن قصده وهديه، ثابتا

على حزمه وعزمه، أرادته الدنيا ولم يردها، ولم تأخذه في الله لومة لائم، فقد كلم وثلم في الإسلام فقده، وأنا أسأل الله الذي يجود بالجزيل، ويعطي الكثير، أن يصلي على محمد عبده ورسوله، وأن يعطي أبا عبد الله أفضل ما أعطى أحدًا من أوليائه الذين خلقهم لطاعته، وأن يعلي درجته، ويرفع ركنه، ويجعل مجلسه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وأن يهب لك صبرًا يبلغك ما وعد الصابرين، ويقينا يوجب لك ثواب المحسنين فإنه ولي النعم، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

- وعن أحمد بن إبراهيم الصوفي، قال: قال لي رجل من أهل العلم -وكان خيرا فاضلا يكنى بأبي جعفر- في العشية التي دفنا فيها أبا عبد الله: تدري من دفنا اليوم؟ قلت: من؟ قال: سادس خمسة، قلت: من؟ قال: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن عبد العزيز، وأحمد بن حنبل. قال: فاستحسنت ذلك منه، وعنى بذلك أن كل واحد في زمانه.

قال مهذبه الفقير إلى عفو مولاه عبد القادر بن محمد الغامدي، عفا الله عنه: إلى هنا انتهى ما أردت ذكره وانتقاؤه من مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأسأل الله مرضاته والفوز بجناته، كان الفراغ منه في ٢٧/ ١٢/ ١٤٢١هـ. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد إمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين.

❐ ❐ ❐

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	٧
مقدمة المؤلف	١٣
الباب الأول: في ذكر مولده وأصله	١٥
الباب الثاني: في ذكر نسبه	١٧
الباب الثالث: في ذكر منشئه في صباه	٢٠
الباب الرابع: في ذكر ابتدائه في طلب العلم ورحلته فيه	٢٣
الباب الخامس: في تسمية من لقي من كبار العلماء وروى عنهم	٣١
الباب السادس: في ذكر تأدبه عند مشايخه احترامًا للعلم	٣٢
الباب السابع: في ذكر إقباله على العلم واشتغاله به	٣٣
الباب الثامن: في ذكر حفظه وقدر ما كان يحفظ	٣٤
الباب التاسع: في بيان غزارة علمه وقوة فهمه وفقهه	٣٧
الباب العاشر: في ذكر ثناء مشايخه عليه	٤١
الباب الحادي عشر: في ذكر من حدث عنه من مشايخه ومن الأكابر	٥٣
الباب الثاني عشر: في ذكر من حدَّث عن أحمد على الإطلاق من الشيوخ والأصحاب	٥٩
الباب الثالث عشر: في ذكر ثناء نظرائه وأقاربه ومقاربيه في السن	٦٠
الباب الرابع عشر: في ذكر ثناء كبار أتباعه عليه بما عرفوه منه في صحبته	٧٩

الموضوع | الصفحة

الباب الخامس عشر: في ذكر تنويه ذكره ٨٣
الباب السادس عشر: في ذكر اعتقاده في الأصول ٨٧
الباب السابع عشر: في ذكر تمسكه بالسنة والأثر ٩٧
الباب الثامن عشر: في ذكر تعظيمه لأهل السنة والنقل ١٠٠
الباب التاسع عشر: في ذكر إعراضه عن أهل البدع ونهيه عن كلامهم وقدحه فيهم ١٠٢
الباب العشرون: في ذكر تبركه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم وشعر الرسول ﷺ وقصعته ١٠٦
الباب الحادي والعشرون: في ذكر الوقت الذي ابتدأ فيه بالتحديث والفتوى ١٠٧
الباب الثاني والعشرون: في ذكر بذله للعلم واحتسابه في ذلك ١٠٩
الباب الثالث والعشرون: في ذكر مصنفاته ١١١
الباب الرابع والعشرون: في ذكر كراهيته وضع الكتب المشتملة على الرأي ليتوافر الالتفاف إلى النقل ١١٢
الباب الخامس والعشرون: في ذكر نهيه أن يكتب كلامه أو يروى وكراهته لذلك ١١٣
الباب السادس والعشرون: في ذكر كلامه في الإخلاص والرياء وستر التعبد ١١٤
الباب السابع والعشرون: في ذكر كلامه في الزهد والرقائق ١١٥
الباب الثامن والعشرون: في ذكر كلامه في فنون مختلفة ١١٨
الباب التاسع والعشرون: في ذكر ما أنشده من الشعر أو نسب إليه ١٢٠

الموضوع | الصفحة

الباب الثلاثون: في ذكر مكاتباته ١٢١
الباب الحادي والثلاثون: في ذكر صفته وهيئته وسمته ١٢٢
الباب الثاني والثلاثون: في ذكر هيبته ١٢٤
الباب الثالث والثلاثون: في ذكر نظافته وطهارته ١٢٥
الباب الرابع والثلاثون: في ذكر سهولة أخلاقه وحسن معاشرته ١٢٦
الباب الخامس والثلاثون: في ذكر حلمه وعفوه ١٣٢
الباب السادس والثلاثون: في ذكر ماله ومعاشه ١٣٤
الباب السابع والثلاثون: في ذكر تعففه عن أموال الناس وظلف نفسه عنها وقطع طمعه منها ١٣٦
الباب الثامن والثلاثون: في ذكر كرمه وجوده ١٤٤
الباب التاسع والثلاثون: في ذكر قبوله الهدية ومكافأته عليها ١٤٦
الباب الأربعون: في ذكر زهده ١٤٧
الباب الحادي والأربعون: في ذكر صفة بيته وآلاته ١٥١
الباب الثاني والأربعون: في ذكر مطعمه ١٥٣
الباب الثالث والأربعون: في ذكر رفقه بنفسه ١٥٥
الباب الرابع والأربعون: في ذكر لباسه ١٥٦
الباب الخامس والأربعون: في ذكر ورعه ١٥٩
الباب السادس والأربعون: في ذكر إعراضه عن الولايات ١٦٧
الباب السابع والأربعون: في ذكر حبه للفقر والفقراء ١٦٩
الباب الثامن والأربعون: في ذكر تواضعه ١٧٠

الموضوع الصفحة

الباب التاسع والأربعون: في إجابته الدعوة وخروجه لرؤية المنكر .. ١٧٣
الباب الخمسون: في ذكر إيثاره العزلة والوحدة ١٧٤
الباب الحادي والخمسون: في ذكر إيثاره خمول الذكر واجتهاده في ستر الحال ١٧٦
الباب الثاني والخمسون: في ذكر خوفه من الله ﷻ ١٧٨
الباب الثالث والخمسون: في ذكر غلبة الفكر والهم على قلبه ١٨٠
الباب الرابع والخمسون: في ذكر تعبده ١٨١
الباب الخامس والخمسون: في ذكر عدد حجاته ١٨٤
الباب السادس والخمسون: في ذكر دعائه ومناجاته ١٨٥
الباب السابع والخمسون: في ذكر كراماته وإجابة سؤاله ١٨٧
الباب الثامن والخمسون: في ذكر عدد زوجاته ١٨٩
الباب التاسع والخمسون: في ذكر سراريه ١٩٢
الباب الستون: في ذكر عدد أولاده ١٩٤
الباب الحادي والستون: في ذكر أخبار أولاده وعقبه ١٩٥
الباب الثاني والستون: في ذكر ابتداء المحنة وسببها ١٩٩
الباب الثالث والستون: في ذكر قصته مع المأمون ٢٠٠
الباب الرابع والستون: في ذكر ما جرى له بعد المأمون ٢٠٤
الباب الخامس والستون: في ذكر خبره مع المعتصم ٢٠٦
الباب السادس والستون: في ذكر تلقي المشايخ إياه بعد انقضاء المحنة ودُعائهم له ٢٢١

الموضوع	الصفحة
الباب السابع والستون: في ذكر تحديثه بعد موت المعتصم	٢٢٦
الباب الثامن والستون: في ذكر قصته مع الواثق	٢٢٧
الباب التاسع والستون: في ذكر قصته مع المتوكل	٢٢٩
الباب السبعون: في ذكر ما جرى له مع ابن طاهر من طلب استئزاره وامتناعه عليه	٢٤٩
الباب الحادي والسبعون: في ذكر ما جرى له مع ولديه وعمه حينما قبلوا صلة السلطان	٢٥١
الباب الثاني والسبعون: في ذكر جماعة ممن لم يجب في المحنة	٢٥٥
الباب الثالث والسبعون: في ذكر مرضه	٢٥٦
الباب الرابع والسبعون: في تاريخ موته ومبلغ سنه	٢٦٢
الباب الخامس والسبعون: في ذكر غسله وكفنه	٢٦٣
الباب السادس والسبعون: في ذكر المتقدم للصلاة عليه	٢٦٥
الباب السابع والسبعون: في ذكر كثرة الجمع الذين صلوا عليه	٢٦٦
ذم أهل البدعة:	٢٦٨
الباب التاسع والسبعون: في ذكر ما خلف من التركة	٢٦٩
الباب الثمانون: في ذكر تأثير موته عند الجن	٢٧٠
الباب الثمانون: في ذكر التعازي به	٢٧١
فهرس الموضوعات	٢٧٥

❐ ❐ ❐

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة

مفكرة